تصدر سنويا عن كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة محمد الخامس
بالرباط، المملكة المغربية

مجلة بحوث الدكتوراه:

آفاق بحثية في بينيات العلوم الإنسانية والاجتماعية

مجلة علمية دولية محكمة
العدد الأول: سنة 2025

تنسيق العدد: عثمان احمياني

"مجلة بحوث الدكتوراه: آفاق بحثية في بينيات العلوم الإنسانية والاجتماعية"

مجلة علمية دولية محكمة، تصدر سنويا
عن كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة
محمد الخامس بالرباط المملكة المغربية

المشرفة العامة على المجلة
ومديرتها الإدارية:
الأستاذة الدكتورة ليلى منير
العميدة بالنيابة لكلية الآداب والعلوم
الإنسانية بالرباط

فريق التنسيق العام:

ليلى منير- بثينة غلبزوري – عثمان احمياني

رئيس تحرير المجلة

الأستاذ عثمان احمياني

الهيئة العلمية الاستشارية

أ.د ليلى منير
أ.د أ.د بثينة الغلبزوري
أ.د محمد الداهي
أ.د محمد التاقي
أ.د أحمد البوكيلي
أ.د كريمة بوعمري
أ.د محمد أدرغال
أ.د نادية مشوري
أ.د عادل حدجامي
أ.د محمد بندحان
أ.د عبد الغني منديب
أ.د أوشلح مرية
أ.د الجلالي العدناني
أ.د بنمنصور هدى
أ.د حسن بلحياح
أ.د زكرياء بودحيم
أ.د عثمان احمياني

اللجنة العلمية

حافظ الريح
حسن السليماني
حميد دغوج
حنان بوكطابة
سالم الرامي
سفيان أزواغ
سمية المنديلي
عبد الرحيم البيدق
عبد الكريم العلوي
عثمان احمياني
عز الدين الطاهري
عزيز قميشو
كريمة البلغيتي
ليلى احمياني
محمد اخريصي
محمد سعيد المرتجي
المعتمد الخراز
المنور بوبكر
نادية مشهور

للمزيد من التفاصيل يرجى زيارة الموقع الإلكتروني للمجلة:

Dépôt Légal:

ISSN:

"مجلة بحوث الدكتوراه: آفاق بحثية في بينيات العلوم الإنسانية والاجتماعية"

مجلة علمية دولية محكمة، تصدر سنويا عن **كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة محمد الخامس بالرباط، المملكة المغربية** تنشر المجلة المقالات العلمية الأكاديمية الرصينة والمتميزة للباحثين في سلك الدكتوراة، في مجالات اللغات، الآداب، العلوم الإنسانية، والعلوم الاجتماعية. المشاركون في **المؤتمر الدولي** الذي تنظّمه كلية الآداب والعلوم الإنسانية بتنسيق مع **مركز دراسات الدكتوراة**.

رسالة المجلة

1. **توفير منصة علمية رصينة** لنشر الأبحاث المتميزة لطلبة الدكتوراة والباحثين.
2. **تشجيع البحث العلمي المبتكر** في مجالات اللغات، الآداب، العلوم الإنسانية، والعلوم الاجتماعية.
3. **دعم الحوار الأكاديمي** بين الباحثين والمتخصصين في المجالات الإنسانية والاجتماعية.
4. **التركيز على الأبحاث المعروضة** في المؤتمر الدولي المنظم من قبل كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة محمد الخامس بالرباط.
5. **إثراء المعرفة العلمية** من خلال نشر أعمال محكّمة تساهم في تقديم رؤى جديدة.
6. **تطوير الدراسات الإنسانية والاجتماعية** عبر تقديم حلول مبتكرة للتحديات المعاصرة.
7. **تعزيز مكانة البحث العلمي** كأداة فاعلة في فهم وتحليل القضايا الإنسانية والاجتماعية.
8.

خصوصية المجلة:

تتميز مجلة "آفاق بحثية في بينيات العلوم الإنسانية والاجتماعية" عن غيرها من المجلات العلمية. في كونها:

- تمثل لسان حال طلبة **سلك الدكتوراة** في تخصصات اللغات، الآداب، العلوم الإنسانية، والعلوم الاجتماعية، وفرصتهم لنشر أبحاثهم العلمية. مما يجعلها مرجعا أكاديميا مهما في هذه التخصصات.
- تنشر المجلة أبحاثا علمية محكمة **(Peer-reviewed)** وفق معايير أكاديمية صارمة، مما يضمن جودة ونزاهة المحتوى المنشور.
- تسعى المجلة إلى **التصنيف الدولي**، مما يعزز مكانتها الأكاديمية ويزيد من فرص الاعتراف بأبحاثها عالميا.
- تقبل المجلة الأبحاث بجميع اللغات المتاحة في **تكوينات الدكتوراة** دون تمييز، مما يعكس انفتاحها على التنوع الثقافي واللغوي.
- تنشر المجلة الأبحاث التي تم عرضها في **المؤتمر الدولي** المنظم من قبل كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة محمد الخامس بالرباط، مما يعطيها طابعا خاصا يرتبط بفعاليات أكاديمية ملموسة.
- تعمل المجلة بتنسيق مع **مركز دراسات الدكتوراة**، مما يعكس التكامل بين البحث العلمي والبرامج الأكاديمية المقدمة. فالمجلة بذلك جزء من منظومة تعليمية وبحثية تعمل على دعم الباحثين وتعزيز جودة البحث العلمي في مراحله المتقدمة.
- تستقبل المجلة عروض النشر من باحثين من مختلف أنحاء العالم، مما يعزز الحوار العلمي بين الثقافات.
- تصدر المجلة، مرحليا، مرة واحدة سنويا، مما يسمح باختيار الأبحاث بعناية وضمان جودة المحتوى المنشور.
- تشجع المجلة الأبحاث التي تقدم رؤى جديدة وحلولا مبتكرة للتحديات المعاصرة في المجالات الإنسانية والاجتماعية.
- تُعامل جميع التخصصات الفرعية في العلوم الإنسانية والاجتماعية بنفس الأهمية.

شروط النشر العامّة

1. **اللغة والتنسيق:**
   - تُقبَل البحوث المكتوبة بلغة سليمة، ومراعيةً لقواعد الضبط العلمي.
   - **باللغة العربية:**
     - الخط: **Traditional Arabic** بحجم **14** للمتن.
     - الهوامش: **2.54سم** من جميع الجهات.
   - **باللغات الأجنبية:**
     - الخط: **Times New Roman** بحجم **12** للمتن.

- تُرسل الملفات بصيغتي: **Word** و**PD.**

2. **معلومات الباحث**:
   - يُكتَب اسم الباحث كاملاً (بدون ألقاب) بعد العنوان مباشرةً، مع ذكر المؤسسة التابع لها والبريد الإلكتروني.
   مثال:

الباحث: [الاسم الكامل]
الجامعة: [اسم المؤسسة]

البريد الإلكتروني: [example@university.edu]

متطلبات هيكل البحث

1. **الملخّص والكلمات المفتاحية**:
   - يُرفق البحث بثلاثة ملخّصات:
     - باللغة الأصلية للبحث.
     - باللغة العربية.
     - باللغة الإنجليزية.
   - ألا يتجاوز كل ملخّص **200 كلمة**، ويُرفق بـ **5 كلمات مفتاحية**.
2. **حجم البحث**:
   - يجب أن يتراوح بين **(5000 و10000 كلمة)** شاملة المراجع والملاحق.
3. **الجداول والرسوم التوضيحية**:
   - تُدرَج في موضعها ضمن النص، مع:
     - توثيق المصدر كاملاً.
     - عناوين توضيحية واضحة.
     - حجم مناسب (بدون تشويه أو إطالة).

   - تُرفق منفصلةً كصور إلكترونية عالية الجودة بصيغة **JPEG** أو **PNG** بدقة لا تقل عن **300 dpi**.

نظام التوثيق (APA الإصدار السابع)

1. **توثيق الأفكار دون الاقتباس داخل المتن**:
   - مؤلف واحد: (اللقب، السنة). مثال: (السميري، 2023).
   - مؤلفان: (اللقب الأول واللقب الثاني، السنة). مثال: (الخالد والغامدي، 2022).
   - ثلاثة مؤلفين أو أكثر: (اللقب الأول **وآخرون**، السنة). مثال: (الناصر وآخرون، 2021).
2. **الاقتباس الحرفي**:
   - أقل من 40 كلمة: يوضع بين علامتي تنصيص مع ذكر الصفحة. مثال: "النص المقتبس" (اللقب، 2023، ص. 10).
3. **المؤلف المجهول**:
   - يُستخدم أول كلمتين من العنوان بين علامتي تنصيص.
   مثال: ("دليل الباحث"، 2020).

قائمة المراجع

1. **الترتيب**:
   - هجائي حسب لقب المؤلف الأول (بالعربية: من اليمين لليسار، وبالأجنبية: من اليسار لليمين).
   - يُبدأ كل مرجع جديد من بداية السطر، مع مسافة **2سم** للسطور التالية.
2. **أمثلة**:
   - **كتاب**:

العتيبي، خ. (2020). *مناهج البحث العلمي* (ط. 3). دار النشر.

   - **مقال في مجلة**:

الحربي، م. (2021). "اتجاهات حديثة في التعليم الإلكتروني". *مجلة العلوم التربوية*، 15(2)، 45-60. https://doi.org/...

   - **موقع إلكتروني**:

وزارة التعليم. (2023، يناير 10). *سياسات التعليم العالي في المملكة*. https://www.moe.gov.sa

دليل التنسيق النهائي

1. **هيكل البحث**:
   - صفحة العنوان ← الملخّص ← الكلمات المفتاحية ← النص ← المراجع ← الجداول/الرسوم ← الملاحق (اختياري).
2. **ترقيم العناوين**:
   - يُستخدم الترقيم العربي (1، 1.1، 1.1.1) مع محاذاة من اليمين للعربية، ومن اليسار للأجنبية.
3. **إرشادات فنية**:
   - تباعد الأسطر: **1.15**.

- عدم ترك مسافات قبل علامات الترقيم (مثل: النقطة، الفاصلة).
- ترقيم الصفحات: أعلى الهامش الأيمن.

المستندات المطلوبة مع البحوث المقدمة للنشر في المجلة:

1. **ملخص البحث**:
   - ملخص باللغة العربية وباللغة الإنجليزية. وإذا كان البحث مكتوبًا بلغة غير العربية أو الإنجليزية، يُرفق ملخص ثالث بلغة تحرير البحث. على ألا يتجاوز كل ملخص **300 كلمة**.
2. **الكلمات المفتاحية**:
   - قائمة بالكلمات المفتاحية التي تعبر عن محتوى البحث في نهاية كل ملخص لا تتجاوز خمس كلمات.
3. **السيرة الذاتية للباحث**:
   - سيرة ذاتية موجزة باللغة العربية وباللغة الإنجليزية لا يتعدى حجم كل واحدة 200 كلمة
   - شهادة التسجيل بسلك الدكتوراة

إجراءات النشر

1. إشعار استلام البحث:
   - تتعهد المجلة بإخطار الباحث فور استلام بحثه.
2. إشعار قبول البحث للتحكيم:
   - تتعهد المجلة بإخطار الباحث في مدة أقصاها شهر من تاريخ استلام البحث، بقبول البحث لعرضه على المحكمين، وذلك في حال استيفائه لشروط النشر المعتمدة.
3. إرسال البحث للتحكيم السري:
   - تُرسل الأبحاث التي تستوفي معايير النشر إلى المحكمين بشكل سري.
4. إعلام الباحث بنتائج التحكيم:
   - يتم إخطار الباحث بنتائج التحكيم (قبولا أو تعديلات) في مدة أقصاها ثلاثة أشهر من تاريخ إشعاره باستيفاء البحث للشروط الشكلية وبدء عملية التحكيم.
5. حالات رفض البحث:
   - في حال رفض البحث، لا تلتزم المجلة بإخطار الباحث بأسباب الرفض.
6. التعديلات المطلوبة:
   - إذا طلب المحكمون إجراء تعديلات على البحث، يتم إخطار الباحث بذلك، وعليه الالتزام بالفترة الزمنية المحددة لإجراء التعديلات.
7. التزام الباحث بالتحرير والتدقيق اللغوي:
   - يجب على الباحث الالتزام بتحرير البحث وتدقيقه لغويّا وفقا للمعايير الدولية المعتمدة في الدوريات العلمية.
8. حقوق إعادة النشر:
   - تحتفظ المجلة بحق إعادة نشر البحث بأي صيغة تراها مناسبة.
9. حظر النشر المسبق:
   - لا يُسمح بنشر البحث في أي مكان آخر بعد قبوله نهائيّا وإخطار الباحث بذلك، إلا في حال عدم التزام المجلة بالنشر في الوقت المحدد.
10. التعويض المادي:
    - لا تقدم المجلة أي تعويض مادي مقابل نشر الأبحاث، ولا تتقاضى أي رسوم من الباحثين مقابل النشر، وفقا للممارسات المعتمدة في الدوريات العلمية.

تعبر البحوث المنشورة عن رأي صاحبها
ترسل جميع المواد على الموقع البريد الإلكتروني للمجلة

المشاركون في العدد:

- إبراهيم ضرقيق
- حميد اليوسفي
- رضوان الفجري
- شيماء البهتري
- عبد العزيز النقر
- عبد اللطيف التقي
- عبد الواحد معارف
- عمر الطاوسي
- كريم أيوب
- مجدولين العلمي
- محمد المودن
- سعيد عبد الكبير
- أيوب بلمجدال
- فاطمة لعرش
- نجاة الصادقي

محتوى المجلة

ليلى منير

تصدير

بثينة الغلبزوري

تصدير

عثمان احمياني

تقديم المجلة

الكلمة التوجيهية للمتحدث الرئيسي محمد غاليم

عن المعرفة واتصال العلوم

إبراهيم ضرقيق .....

الديناميات البيئية ووقعها على الموارد الطبيعية بالريف الشرقي: حالة الطرف الغربي من حوض كرت الأوسط (مقاربة جيوماتية)

حميد اليوسفي .....

الهوية الجماعية من منظور العلاج والمرض، دراسة انثروبولوجية

رضوان الفجري .....

ليفيناس والتقاء حكمة الفلسفة بحكمة الدين

شيماء البهتري .....

نحو فهم سلطة الكلمة: العنصرية في ضوء التحليل النقدي للخطاب

عبد العزيز النقر .....

نقد التصور العقلاني للأسطورة حسب غادامير

عبد اللطيف التقي .....

معجمة الأفعال الثلاثية المجردة السالمة حسب مساراتها الاشتقاقية

عبد الواحد معارف .....

تأثير التغير المناخي على وضعية الموارد المائية الجوفية بالبحيرة الغربية استراتيجيات تدبير الخصاص المائي.

عمر الطاوسي .....

تأثير تقارب واندماج وسائل الإعلام على المتلقي في المغرب

كريم أيوب .....

الشعـر الجديـد بالمغـرب - من فعل الكتابة إلى فعل الانكتاب -

مجدولين العلمي .....

الإقناع في الخطاب السياسي: خطاب رئيس الحكومة في البرلمان حول قطاع الثقافة نموذجا

محمد المودن .....

التوليد الآلي لجذور المفردة العربية: مقاربة صواتية-حاسوبية

مولود بيكم .....

منهج العلم في الإبستمولوجيا البوبرية

وسعيد عبد الكبير .....

دينامية الأراضي بعالية سد سيدي محمد بن عبد الله: حالة حوض كرو الأوسط

BELMEJDAL Ayoub …….

Unveiling the Tactics: Moroccan Journalists' Approach to News Reporting and Data Authentication during Breaking News

Laarach Fatiha ……

Empathetic Communication and Care for Hospitalized Sub-Saharan Refugee Patients at the Ibn Sina University Hospital Center

Moqaddem laila ……

Étude de l'Image de Destination Touristique du Maroc : Une analyse netnographique des sources d'information et de communication touristique

Najate Es Sadeqy …….

La Traduzione Nell'era Dell'intelligenza Artificiale: Analisi Delle Capacità Di Chatgpt Nella Traduzione Tra Italiano E Darija - Un Caso Di Studio Sul Racconto Popolare Marocchino "Hayna"

تصدير العدد الأول من مجلة "آفاق بحثية في بينيات العلوم الإنسانية"

ليلى منير

العميدة بالنيابة لكلية الآداب والعلوم الإنسانية

جامعة محمد الخامس بالرباط، المملكة المغربية

بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبي الأمين، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وصحابته الكرام، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد،

بمداد من الفخر والاعتزاز، نُوقّع اليوم إصدار النسخة الأولى للعدد الأول من مجلة "آفاق بحثية في بينيات العلوم الإنسانية والاجتماعية"، التي أعتبرها منصة جديدة ومبتكرة للباحثين في سلك الدكتوراه في مجالات اللغات والآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية. التي تعكس أحد قناعاتنا الأساسية في تطوير مركز دراسة الدكتوراة بكلية الآداب والعلوم الإنسانية.

فلطالما كانت فكرة إنشاء مجلة علمية تدعم طلبة الدكتوراه لتكون تقليدًا جامعيًا راسخًا في الكلية من الاستراتيجيات الأساسية التي تراودنا. واليوم، ونحن في غاية السعادة، نشهد هذه الفكرة الإصلاحية تتبلور وتجد طريقها إلى النور. هذه المجلة ليست مجرد منصة للنشر فحسب، بل هي إنجاز هائل يعوض النقص الذي تعانيه العديد من كليات الآداب والعلوم الإنسانية في ربوع الوطن العربي، كما تسهم في بناء جيلٍ من الباحثين المتميزين الذين يعملون على إثراء المعرفة العلمية.

تأتي هذه المجلة تجسيدا لرؤيتنا المستشرفة لمستقبل كلية الآداب والعلوم الإنسانية، حيث نؤمن بأهمية دعم البحث العلمي وتعزيز الحوار الأكاديمي بين الطلبة والأساتذة، باعتباره حجر الزاوية في بناء مجتمع أكاديمي متكامل ومزدهر.

إن البحث العلمي ليس مجرد نشاط أكاديمي، بل هو عملية حيوية تسهم في تطوير المعرفة وتوسيع آفاق الفهم الإنساني. فمن خلال تشجيع الطلبة على الانخراط في البحث والنشر، نساعدهم على تطوير مهارات التفكير التحليلي والنقدي، مما يمكنهم من مواجهة التحديات المعقدة التي يطرحها العالم المعاصر. علاوة على ذلك، يعزز الحوار الأكاديمي بين الطلبة والأساتذة تبادل الأفكار والخبرات، مما يخلق بيئة تعليمية غنية ومثمرة. فعندما يتفاعل الطلبة الباحثون مع أساتذتهم،

فإنهم لا يتلقون المعرفة فحسب، بل يشاركون أيضا في بنائها، مما يعزز شعورهم بالانتماء إلى مجتمع أكاديمي نابض بالحياة. ويسهم في تحفيز الإبداع والابتكار، حيث يمكن للطلبة التعبير عن أفكارهم وآرائهم بحرية، مما يؤدي إلى تطوير مشاريع بحثية جديدة ومبتكرة.

نحن نؤمن إيمانا صادقا بأن دعم البحث العلمي يعزز من قدرة مؤسستنا على المساهمة في النقاشات الوطنية والدولية حول القضايا الاجتماعية والثقافية والاقتصادية. ومن خلال الأبحاث التي يقوم بها طلبتنا، يمكننا تقديم رؤى جديدة تسهم في حل المشكلات المعقدة التي تواجه مجتمعاتنا. إن هذه الأبحاث ليست مجرد أوراق علمية، بل هي أدوات للتغيير والتطوير، تعكس التزامنا بتحقيق التنمية المستدامة وتعزيز الوعي الاجتماعي.

إن دعم البحث العلمي وتعزيز الحوار الأكاديمي، على هذا الأساس، هو استثمار في المستقبل. نحن نؤمن بأن كل فكرة جديدة، وكل بحث مبتكر، يمكن أن يكون له تأثير عميق على المجتمع، وباعتبارنا أكاديميين، فإننا نتحمل مسؤولية كبيرة في توجيه هذه الجهود نحو تحقيق التقدم والازدهار.

إن إقامة البحث العلمي على أسس الجدة والإبداع ليست مجرد نتائج يطمح الباحثون إلى تحقيقها، بل هي بذور للتغيير تحمل في طياتها إمكانيات قوية لتحسين حياة الأفراد والمجتمعات. فعندما نطلق العنان للإبداع ونشجع على التفكير النقدي، فإننا نفتح الأبواب أمام حلول مبتكرة للتحديات المعقدة التي تواجهنا.

أبنائي الطلبة الباحثين في سلك الدكتوراه، زملائي الأكاديميين، أحباء العلوم الإنسانية، تعتبر مجلة "آفاق بحثية في بينيات العلوم الإنساني" منصة متخصصة لنشر الأبحاث والدراسات المتميزة التي يقوم بها طلبة الدكتوراه والباحثون الشباب في مجالات اللغات والآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية. وتهدف المجلة إلى تشجيع البحث العلمي الرائد، وفتح آفاق جديدة للمعرفة في هذه التخصصات.

تركز المجلة على نشر الأبحاث المبتكرة والمتطورة، مما يسلط الضوء على الأفكار الجديدة والرؤى المتميزة في هذه المجالات. وتتبنى عملية تحكيم صارمة وموضوعية لضمان جودة المحتوى المنشور. كما تستهدف طلبة الدكتوراه والباحثين الشباب المنتسبين إلى كليات الآداب والعلوم

الإنسانية في المغرب والوطن العربي والعالم، وتهدف إلى تعزيز التنافس الشريف بينهم وإتاحة الفرصة لنشر أبحاثهم المتميزة.

إن هذه المجلة هي ثمرة لتتويج المقالات المتميزة المعروضة في فعاليات المؤتمر الدولي الذي تنظمه كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة محمد الخامس بالرباط بتنسيق مع مركز دراسات الدكتوراة، وتعتزم ترسيخه تقليدا سنويّا لفائدة طلبة الدكتوراه.

بهذه الميزات، تسعى مجلة "آفاق بحثية في بينيات العلوم الإنسانية" إلى أن تكون منصة رائدة لنشر الأبحاث المتميزة في مجال العلوم الإنسانية، وتعزيز مسيرة البحث العلمي لدى الباحثين الشباب في المغرب والوطن العربي والعالم.

في هذا العدد، ستجدون مجموعة من المقالات والأبحاث التي تعكس تنوع اهتمامات طلبتنا وعمق أفكارهم. نأمل أن تكون هذه المجلة مصدر إلهام وتحفيز للجميع، وأن تسهم في تعزيز ثقافة البحث العلمي في مؤسستنا.

وبهذه المناسبة السعيدة، أتوجه بخالص الشكر والعرفان إلى كل من ساهم في إنجاز هذا العدد المميز، بدءا من هيئة التحرير واللجنة العلمية لما بذلوه من جهود جبارة، وصولا إلى الباحثين الأفاضل الذين قدموا أفكارهم وأبحاثهم القيّمة للمشاركة في فعاليات المؤتمر الذي توج بهذه المجلة العلمية المتفردة. إن جهودكم المخلصة هي التي ستكسب هذه المجلة مكانتها وتجعلها واقعا ملموسا يُحتذى به.

أسأل الله تعالى أن يمنح فريق المجلة التوفيق والسداد، وأن يُمِدَّهم بالثبات والاستمرارية في هذا المسار العلمي المبارك. كما أتمنى لقرائنا الأعزاء أن يجدوا في صفحاتها الفائدة العلمية والمتعة الفكرية، وأن تكون هذه المجلة نبراسًا يُضيء طريق المعرفة للجميع.

01/ 02/ 2025

الأستاذة ليلى منير
العميدة بالنيابة لكلية الآداب والعلوم الإنسانية
جامعة محمد الخامس بالرباط، المملكة المغربية

تصدير العدد الأول من مجلة "آفاق بحثية في بينيات العلوم الإنسانية"

بثينة الغلبزوري

مديرة مركز دراسات الدكتوراة بكلية الآداب والعلوم الإنسانية

جامعة محمد الخامس بالرباط، المملكة المغربية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

يطيب لي، بصفتي مديرة مركز دراسات الدكتوراة في كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة محمد الخامس بالرباط، أن أبصم العدد الأول من مجلة "آفاق بحثية في بينيات العلوم الإنسانية والاجتماعية" بهذا التصدير. يُعدّ هذا الإصدار تتويجاً لجهود علمية متواصلة، وثمرة تعاون مخلص بين الباحثين والأكاديميين الذين يسعون إلى إثراء المعرفة وتطوير البحث العلمي في مجالات اللغات والآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية.

إن إطلاق هذه المجلة يأتي في إطار تنزيل رؤية مركز دراسات الدكتوراة الذي لا ينفك عن الاستراتيجية الشمولية للسيدة العميدة بالنيابة لكليتنا العتيدة الرامية إلى تعزيز البحث العلمي الرصين، وتوفير منصة أكاديمية محكمة تسهم في نشر الدراسات والأبحاث التي تتناول القضايا الإنسانية والاجتماعية بمنهجية علمية وعميقة. كما نهدف من خلال هذه المجلة إلى تشجيع الحوار العلمي البنّاء بين الباحثين، وفتح آفاق جديدة للبحث والتفكير النقدي في القضايا التي تهمّ مجتمعاتنا العربية والإسلامية، بل والإنسانية جمعاء.

في هذا العدد الأول، حرصنا على أن تكون الأبحاث المنشورة متنوعة في موضوعاتها، عميقة في تحليلاتها، ومتوافقة مع أعلى المعايير الأكاديمية الدولية. فقد تضمنت المجلة دراسات تسلط الضوء على إشكالات معرفية ومنهجية في مجالات اللغويات والآداب والتاريخ والجغرافيا وعلم الاجتماع والفلسفة وعلم النفس والعلوم التربوية، وغيرها من التخصصات التي تشكل نسيج العلوم الإنسانية والاجتماعية.

ولا يفوتني في هذا المقام أن أتوجه بالشكر الجزيل إلى جميع الباحثين الذين ساهموا بأعمالهم العلمية القيّمة، وإلى الأساتذة المحكمين الذين بذلوا جهوداً كبيرة لضمان جودة المحتوى العلمي للمجلة. كما أتوجه بالشكر إلى فريق العمل في مركز دراسات الدكتوراة، الذين عملوا بإخلاص وتفانٍ لإخراج هذا العدد بأفضل صورة.

إن هذا الإصدار ليس سوى بداية لمسيرة علمية نأمل أن تكون طويلة ومثمرة، وأن تسهم في تعزيز مكانة البحث العلمي في كلية الآداب بجامعتنا العريقة، جامعة محمد الخامس بالرباط، وفي خدمة المجتمع والإنسانية بشكل عام.

ختاماً، أدعو جميع الباحثين والمهتمين إلى المساهمة في إثراء هذه المجلة بأفكارهم وأبحاثهم، وأن نعمل معاً لتحقيق رؤيتنا في أن تكون "مجلة بحوث الدكتوراه آفاق بحثية" منبراً علمياً مرموقاً، يسهم في تعزيز المعرفة والإبداع الفكري.

والله ولي التوفيق...

الأستاذة بثينة الغلبزوري
مديرة مركز دراسات الدكتوراة
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
جامعة محمد الخامس بالرباط

تقديم العدد الأول من - مجلة بحوث الدكتوراه: آفاق بحثية في بينيات العلوم الإنسانية والاجتماعية"

عثمان احمياني
كلية الآداب والعلوم الإنسانية-
جامعة محمد الخامس بالرباط
المملكة المغربية

يشهد العالم اليوم تسارعا مذهلا في البحوث العلمية والتقنية ونتائجها، ورغم التركيز المتزايد على منجزاتها، يظل البحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية مطلبا أساسا لفهم الإنسان والمجتمع؛ إذ تعد هذه العلوم ركيزة لا غنى عنها لتفسير الظواهر الثقافية والفكرية التي تشكل هوياتنا وتوجه مساراتنا الفكرية والحضارية. فمن خلالها نستطيع تقديم رؤى عميقة تساعد على فهم تعقيدات الوجود الإنساني، وتحليل التحولات الفكرية والاجتماعية التي تشكل تاريخنا وحاضرنا، وتستشرف مستقبلنا.

تكمن أهمية البحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية فيسعيها إلى تقديم تفسيرات متعددة الأبعاد للظواهر الإنسانية، بدءا من تحليل النصوص الأدبية واللغوية، وصولا إلى دراسة التحولات الاجتماعية والسياسية. كما تسهم هذه البحوث في تعزيز التفكير النقدي والإبداعي، وتقديم حلول مبتكرة للتحديات المعاصرة، مما يجعلها شريكا أساسا للعلوم الطبيعية والتقنية (Smith, 2020). وفي هذا السياق، تؤكد مجلتنا على دور البحث العلمي فيمدّ جسور بين التخصصات المختلفة، وتعزيز التكامل بين العلوم الإنسانية والعلوم الأخرى، لأن التحديات المعاصرة تتطلب مقاربات متعددة التخصصات تسهم في توجيه التطور العلمي والتقني نحو خدمة الإنسانية (Johnson, 2019).

تأتي "مجلة بحوث الدكتوراه: آفاق بحثية في بينيات العلوم الإنسانية والاجتماعية"، الصادرة عن كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة محمد الخامس، منصة علمية تعنى بنشر البحوث المتميزة لطلبة الدكتوراة في مجالات اللغات والآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، هدفها تعزيز الحوار الأكاديمي بين الباحثين، وتقديم بحوث تسهم في إثراء المعرفة الإنسانية، وفتح آفاق جديدة للبحث العلمي.

تعكس تسمية المجلة، "مجلة بحوث الدكتوراه: آفاق بحثية في بينيات العلوم الإنسانية والاجتماعية"، رؤيتها ورسالتها العلمية. فكلمة " الدكتوراة "تشير تركيز المجلة على البحوث التي يقدمها طلبة هذا السلك، وهذه الفئة من الباحثين هي التي تحمل مشعل مستقبل البحث العلمي، ويُنتظر منها إحداث تغيير معرفي وعملي. ويبرز مصطلح "آفاق بحثية "طموح المجلة إلى استكشاف جوانب جديدة للمعرفة، وفتح آفاق غير مسبوقة في البحث العلمي.

أما لفظة "بينيات "فتعكس التداخل والتكامل بين التخصصات، الناتج عن تفاعل علوم متعددة مثل الفلسفة، والعلوم الاجتماعية، والعلوم الطبيعية، وغيرها. ويعد هذا التكامل بين التخصصات محددا أساسا للمجلة، حيث تسعى إلى تقديم رؤية شمولية للقضايا العلمية والإنسانية. بينما نقصد بـ"العلوم الإنسانية والاجتماعية "تعبيرا عميقا يعكس اهتمام المجلة بالعلوم التي تلامس جوهر الإنسان وتفكيره وتفاعله مع العالم. وهو تعبير يبرز التزام المجلة بدراسة القضايا التي تهم البشرية جمعاء، مثل التنمية المستدامة، والأخلاق، والعدالة الاجتماعية، والتفاعل بين الإنسان والبيئة...

وبذلك تعكس تسمية المجلة أهدافها السامية الرامية إلى دعم البحث العلمي عبر خلق منصة تعرف بجهود طلبة الدكتوراة، وتسد الفجوة المعرفية التي كانوا يعانون منها سابقا في نشر بحوثهم وتداولها على نطاق أكاديمي عام واسع. وبذلك كله تؤكد المجلة التزامها بخلق مساحة علمية تعاونية تعرف بجهود طلبة الدكتوراة في مجالات التنمية المستدامة، وتسهم في مد الجسور بين البحث العلمي وتطبيقاته العملية لخدمة المجتمع والإنسانية.

لا غرو أن بحوث طلبة الدكتوراة تشكل ركيزة لاستشراف آفاق البحث العلمي ودفع عجلة التقدم الأكاديمي؛ إذ تمثل جسرا بين المعرفة الراسخة والابتكار العلمي، عبر تقديم طرح جديد ومبتكر يعكس الفهم العميق للمشكلات البحثية، ويعالجها بموضوعية وفق مناهج علمية دقيقة. كما تتميز هذه البحوث بالانفتاح على مراجع أصيلة وحديثة موثقة توثيقا علميا متينا، مما يعزز شمولية النتائج وموثوقيتها، ويثري مخرجات البحث ويجعله قادرا على مواكبة التطورات العالمية في مختلف المجالات.

ومن خلال هذا التكامل بين الجدة في الطرح، والموضوعية في المعالجة، والانفتاح على المصادر الغزيرة والمتنوعة، تسهم بحوث طلبة الدكتوراة في تحقيق الريادة العلمية، وترسخ مكانة البحث العلمي باعتباره أداة فاعلة في فهم التحديات المعاصرة وابتكار حلول مستديمة لها.

في هذا الإطار، تكتسب البحوث العلمية الجامعية المتمحورة حول اللغات والآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية أهمية قصوى. فمن خلال البحث في اللغات، يمكننا فك رموز الهويات الثقافية وتتبع تطور الحضارات، مما يفتح آفاقا جديدة لفهم التنوع الثقافي واللغوي في العالم. ولا تقتصر دراسة اللغات على البحوث النظرية التي تستكشف قواعدها ومفرداتها ودلالاتها فحسب، بل تمتد إلى فهم أسسها البيولوجية العصبية، وانعكاسات ذلك على معالجة إشكالات مجتمعية مثل تدريس اللغات، والسياسة والتخطيط اللغويين، والاضطرابات اللغوية، وتطوير اللسانيات الحاسوبية التي تسهم في تحسين تقنيات الذكاء الاصطناعي ومعالجة اللغات الطبيعية (Byram, 1997).

بينما تسهم البحوث الأدبية في تسليط الضوء على القيم الإنسانية الكونية المشتركة وتقديم رؤى نقدية للواقع المعاصر (Crystal, 2000; Nussbaum, 1997). وذلك من خلال التحليل المعمق للنصوص وتطوير مناهج نقدية جديدة، مما يعمق فهمنا للأعمال الأدبية وينوع من وجهات النظر التفسيرية لها. كما تسلط الضوء على التطور التاريخي للحركات والتيارات الأدبية، وتسهم في إبراز التراث الأدبي وحفظه.

في حين تقدم العلوم الاجتماعية أدوات تحليلية لفهم الظواهر المجتمعية المعقدة، مثل: الهجرة والتفاوت الاجتماعي والتحولات السياسية، مما يسهم في صياغة سياسات تنموية مستدامة (Sen, 1999).

بينما تطلعنا الدراسات التاريخية عن الرؤية الشاملة لتطور المجتمعات، والأحداث التي شكلت العالم كما نعرفه اليوم، وتساعد في تحليل أنماط التغيير الاجتماعي والسياسي (Tosh, 2006).

وتكشف الدراسات في مجال الجغرافيا، عن تحليلات عميقة للعلاقة بين الإنسان والبيئة، مما يسهم في فهم التحديات البيئية مثل التغير المناخي والتصحر ونقص الموارد المائية (Johnston, 2000).

أما الفلسفة، فهي منارة الفكر الإنساني، تطرح الأسئلة الكبرى حول الوجود والمعرفة والقيم، وتعزز الحوار بين الثقافات والأديان (Blackburn, 2005). وفي علم النفس، تقدم الدراسات النفسية فهما عميقا للسلوك الإنساني والدوافع التي تحركه، مما يسهم في تحسين الصحة النفسية وجودة الحياة(Myers, 2010) . ويعد علم التواصل من التخصصات الحيوية في عصر المعلومات، حيث يدرس كيفية انتقال الأفكار والمعلومات بين الأفراد والمجتمعات، ويسهم في تعزيز التفاهم بين الثقافات.(McQuail, 2010)

أما البحث في الدراسات الإسلامية، فيعد مجالا حيويا يقدم إجابات مضيئة للتحديات المعاصرة التي تواجه المجتمعات الإسلامية، خاصة في القضايا المتعلقة بالتشريع والحياة اليومية. فمن خلال البحث في الفقه الإسلامي وأصوله، يمكن تقديم تفسيرات معاصرة لقضايا الأحوال الشخصية بكل تفاصيلها، مما يسهم في تحقيق التوازن بين الثوابت الشرعية ومتطلبات العصر (Ramadan, 2009; Saeed, 2006).

نقدم في هذا العدد الافتتاحي، مجموعة من البحوث الجادة التي تمثل جسرا بين المعرفة الراسخة والابتكار العلمي. تعكس هذه الأعمال الفهم العميق للمشكلات البحثية، وتعالجها بموضوعية، وتخضعها لمناهج علمية ومقاربات دقيقة تتسم بالتنويع والانفتاح على مراجع أصيلة وحديثة. ومن خلال هذا التكامل بين الجدة في الطرح، والموضوعية في المعالجة، والانفتاح على المصادر الأصيلة والحديثة، تسهم بحوث طلبة الدكتوراة في تحقيق الريادة العلمية، وترسخ مكانة البحث العلمي كأداة فاعلة في فهم التحديات المعاصرة واقتراح حلول مبتكرة لها.

تتناول المقالة الأولى؛ التي أعدها الطالب الباحث إبراهيم ضرقيق بإشراف الأستاذة نادية مشوري والأستاذ محمد صابر، موضوع "الديناميات البيئية وتأثيراتها على الموارد الطبيعية في الريف الشرقي المغربي، مع التركيز على الطرف الغربي من حوض كرت الأوسط". وتركز الدراسة على تحليل التغيرات البيئية التي شهدتها منطقة الريف الشرقي المغربي، خاصة في العقود الثلاثة الأخيرة، والتي نتجت عن عوامل داخلية وخارجية مثل النزوح القروي والفلاحي. تستخدم المقالة منهجية الجيوماتية (نظم المعلومات الجغرافية والاستشعار عن بعد) لرصد وتحليل أشكال استعمالات الأراضي وتأثيراتها على الموارد الطبيعية الهشة (التربة، الماء، والغطاء النباتي). تهدف

الدراسة إلى فهم ديناميات هذه التغيرات وتحليل نتائجها المجالية والبيئية، مع تقديم نتائج أولية من البحث.

بينما تتخذ المقالة، التي أعدها الطالب الباحث حميد اليوسفي بإشراف الأستاذ الدكتور جمال فزة، الموسومة بـ: "الهوية الجماعية من منظور العلاج والمرض: دراسة أنثروبولوجية". مفهوم الهوية الجماعية من خلال منظور العلاج والمرض موضوعا لها؛ وتركز الدراسة على تحليل الفكرة باستخدام منهج أنثروبولوجي. معتمدة على دراستين ميدانيتين: الأولى تتناول مجتمع "الواجانا"، والثانية تتناول المجتمع المغربي. تهدف الدراسة إلى فهم كيفية تمييز الأفراد بين الطب الشعبي والعلاج الحيوي، وكيفية إضفاء المعاني الثقافية على المرض وطرق علاجه. وقد كشفت الدراسة عن أن الهوية الجماعية تتشكل وتتجلى من خلال الممارسات العلاجية والتصورات الثقافية حول المرض. رغم اختلاف السياقات الثقافية بين مجتمع "الواجانا" والمجتمع المغربي، فإن كلا المجتمعين يظهران تمييزا واضحا بين الطب الشعبي والعلاج الحيوي، ويعكسان هوية جماعية مخصوصة من خلال هذه الممارسات.

في حين قدم الطالب الباحث رضوان الفجري بإشراف الأستاذ الدكتور أحمد الفرحان، دراسة موسومة بـ: "ليفيناس والتقاء حكمة الفلسفة بحكمة الدين". تركز الدراسة على نقد الفيلسوف إيمانويل ليفيناس لأطروحة مارتن هايدغر التي ترى أن الوجود هو الموضوع الوحيد للفلسفة، كما تنتقد التقليد الفلسفي الغربي لتجاهله الحكمة والمعاني العميقة الموجودة في النصوص الدينية. يرى ليفيناس أن النصوص الدينية والأدبية تحمل تجارب ما قبل-فلسفية غنية بالحكمة والنزعة الإنسانية، وقد استلهم منها أفكاره لتأسيس فلسفة إيتيقية (أخلاقية) تعتمد على الغيرية والمسؤولية المطلقة تجاه الآخر.

يدرس البحث العلاقة الإشكالية بين الفلسفة والدين عند ليفيناس، مع التركيز على كيفية ترجمة حكمة الدين إلى لغة الفلسفة. وتظهر الدراسة أن ليفيناس يعتبر الدين مصدرا مهما للحكمة، مما يسهم في إثراء الفلسفة وتوسيع آفاقها، خاصة في مجال الإيتيقا (الأخلاق) والمسؤولية تجاه الآخر.

وقدمت المقالة التي أعدتها الباحثة شيماء البهتري بإشراف الأستاذ الدكتور عبد العالي قادا والمعنونة بـ: «نحو فهم سلطة الكلمة: العنصرية في ضوء التحليل النقدي للخطاب" دراسة

تستكشف العلاقة بين العنصرية والخطاب باستخدام منهجية التحليل النقدي للخطاب (CDA) Critical Discourse Analysis وتهدف من خلال بحثها إلى فهم كيف يسهم خطاب النخبة في استمرار العنصرية من خلال التمييز اللفظي وتعزيز التحيزات العرقية. كما تسلط الضوء على دور اللغة في تشكيل التسلسلات الهرمية الاجتماعية وإعادة إنتاج الإيديولوجيات العنصرية، خاصة في سياق صعود اليمين المتطرف وزيادة الكراهية ضد المهاجرين. فخلصت الدراسة إلى أن العنصرية ليست مجرد تحيز فردي، بل هي دينامية سلطة تعتمد على الخطاب لإدامة التمييز العنصري. من خلال تحليل الخطاب، تظهر كيف تستخدم اللغة كأداة قوية في بناء وإعادة إنتاج الإيديولوجيات العنصرية، مما يؤكد الحاجة إلى فهم أعمق لدور الخطاب في نشر العنصرية ومكافحتها.

وتناولت المقالة التي أعدها الطالب الباحث عبد العزيز النقر بإشراف الأستاذ عزيز قميشو، موضوع "نقد التصور العقلاني للأسطورة حسب غادامير". ركزت الدراسة على نقد التصور العقلاني الذي يفصل بين اللوغوس (العقل) والميتوس (الأسطورة)، والذي تعزز في الفكر الحديث بفعل تأثيرات الفكر الأنواري والتطور العلمي-التكنولوجي. تعتمد المقالة على إسهامات الفيلسوف الألماني هانس غيورغ غادامير Hans-Georg Gadamer ، الذي أعاد تقييم الأسطورة وأبرز قيمتها الإيجابية كشكل من أشكال المعرفة التي تتجاوز التفسير العلمي، سعت الدراسة إلى إبراز تصور غادامير الخاص بالعلاقة بين العقل والأسطورة، مع توضيح كيف أن الأسطورة تحمل نوعا من المعرفة التي لا يمكن اختزالها في التفسيرات العقلانية أو العلمية. كما تهدف إلى إظهار أهمية هذا التصور في مواجهة الفكر الحداثي الذي يبالغ في تقدير العقل على حساب أشكال المعرفة الأخرى.

وأعد الطالب الباحث عبد اللطيف التقي بإشراف أستاذه الدكتور محمد التاقي، مقالة موسومة بـ: "معجمة الأفعال الثلاثية المجردة السالمة حسب مساراتها الاشتقاقية". ركز فيه على تحليل الجذور الثلاثية المجردة السالمة في اللغة العربية، من حيث اشتقاقها في صيغة المضارع، والعوامل التي تحدد مساراتها الاشتقاقية. تبحث المقالة في كيفية اتخاذ الجذور صيغا مختلفة، سواء بتفرد التوجه أو تعدد التوجه، معتمدا على مرجعيات صوتية وصرفية ودلالية. وقد هدفت الدراسة إلى الكشف عن الآليات التي تتحكم في مسارات اشتقاق الأفعال الثلاثية المجردة السالمة، مع التركيز على دور صوامت الجذور (الحروف الصامتة) في تحديد حركة عين الفعل. وانتهت

الدراسة إلى أن السمات الصوتية والصرفية والدلالية لهذه الصوامت تلعب دورا محوريا في توجيه حركة عين الفعل، مما يسهم في فهم أعمق لطبيعة الاشتقاق في اللغة العربية.

وقدم الطالب الباحث عبد الواحد معارف ومشرفيه الأستاذ الدكتور موسى المالكي والأستاذ الدكتور محمد كلاد، دراسة معنونة بـ: "تأثير التغير المناخي على وضعية الموارد المائية الجوفية بالبحيرة الغربية واستراتيجيات تدبير الخصاص المائي". هدفت الدراسة إلى تحديد خصائص التغير المناخي في المنطقة من خلال تحليل السلسلة المناخية المتوفرة بمحطة الشماعية، وربط هذه التغيرات بظاهرة الخصاص المائي (نقص المياه) التي تعاني منها المنطقة. وتوصلت الدراسة إلى وجود علاقة سببية بين التغيرات المناخية وتراكم العجز المائي الشهري والسنوي في فرشة البحيرة الغربية، مما أدى إلى اختلال في الميزانية المائية. وقد اعتمدت الدراسة الأدوات الخرائطية وسيلة لتشخيص الوضع المائي في المنطقة، واقترحت استراتيجيات لتدبير الخصاص المائي، مع التركيز على تنويع العرض المائي وتقليص الطلب عليه.

وناقش البحث الذي أعده الباحث عمر الطوسي بإشراف الأستاذ الدكتور رضوان حسبان موضوع "تأثير تقارب واندماج وسائل الإعلام على المتلقي في المغرب". أجابت الدراسة عن إشكالية أساسية تستفهم عن تأثير التقارب الإعلامي على المتلقي من الناحية الثقافية والاقتصادية؟ فهدف البحث إلى فهم كيفية تأثير التقارب والاندماج الإعلامي على المتلقي في المغرب، مع التركيز على الجوانب الثقافية والاقتصادية. وقد اعتمد الباحث على إطار نظري متين لتوضيح المفاهيم الأساسية، واستمارة تطبيقية كأداة قياس موجهة إلى عينة من المتلقين والفاعلين في المجال السمعي البصري. خلصت في نهاية البحث إلى تقديم رؤية شاملة حول كيفية تأثير هذه التحولات الإعلامية على طبيعة استهلاك المحتوى الإعلامي والتفاعل معه في السياق المغربي.

ودافع الباحث كريم أيوب بإشراف أستاذيه الدكتور المعتمد الخراز والدكتورة العالية ماء العينين عن طرح في الشعر موسوم بـ: "الشعر الجديد بالمغرب: من فعل الكتابة إلى فعل الانكتاب" وقد ركزت الدراسة على تحولات الشعر المغربي الحديث، الذي انتقل من كونه تعبيرا جماعيا يحمل شعارات التكتل والدفاع عن مواقف راسخة، إلى كونه فعلا فرديا يركز على الذات ويتميز بصوت خاص. يناقش البحث مفهوم "الانكتاب (Inkitab) "، الذي يعبر عن تحول الشعر من مجرد كتابة تعبيرية أو جمالية إلى فعل وجودي فردي ينتمي إلى النص بحد ذاته. تهدف الدراسة

إلى تتبع مسار الشعرية المغربية وتحولاتها من الشعر الجيلي الجماعي إلى الحساسية الجديدة التي تركز على الفردية والذات. يعكس الشعر الجديد بالمغرب رفضا للتنظيمات الجماعية وانتماء للنص كفعل وجودي فردي. تسلط المقالة الضوء على كيفية تحول الشعراء المغاربة من الكتابة التقليدية إلى "الانكتاب"، مما يجعل الشعر تعبيرا عن الذات بموقف فردي وصوت خاص.

وقد أسهم البحث الذي شاركت به الباحثة مجدولين العلمي بإشراف الأستاذ الدكتور محمد الداهي في موضوع "الإقناع في الخطاب السياسي: خطاب رئيس الحكومة في البرلمان حول قطاع الثقافة نموذجا". في تحليل الآليات الإقناعية التي استخدمها رئيس الحكومة المغربية عزيز أخنوش في خطابه السياسي معتمدة إطارا نظريا يكشف كيفية تنظيم الخطاب وترتيب الحجج والأدلة لتحقيق أقصى درجات الإقناع، سواء تجاه البرلمانيين أو النخب المثقفة أو الجمهور... واستمالتهم إلى تصديق توجهات الحكومة في مجال الثقافة. وإقناعهم بالإنجازات الحكومية في هذا المجال. وقد خلصت الدراسة إلى إضاءة آليات الخطاب التي اعتمدها رئيس الحكومة كأداة للإقناع بهدف تعزيز التصالح مع العمل الحزبي والعودة إلى الممارسة السياسية الفعلية. بالإضافة إلى كشف التفاعل بين السياسة والثقافة في الواقع المغربي.

وفي مساهمة موسومة بـ: "التوليد الآلي لجذور المفردة العربية: مقاربة صواتية-حاسوبية". للباحث محمد المودن وبإشراف الأستاذ محمد التاقي، اقترح الباحث تطوير منهجية لتوليد جذور الكلمات العربية آليا باستخدام مقاربة تجمع بين الصواتة (علم الأصوات) والحوسبة. محاولا استبدال الاعتماد على قواعد البيانات الضخمة للكلمات العربية بدوال رياضية تعتمد على مبادئ صواتية تتحكم في تكوين الجذور الثلاثية. وقد توصلت الدراسة إلى تحديد مبدأ صواتي عام ومبادئ صواتية خاصة تتحكم في تكوين الجذور الثلاثية من الصوامت الثمانية والعشرين في اللغة العربية. تم تحويل هذه المبادئ إلى قواعد رياضية تسمح بتوليد الجذور الثلاثية الممكنة في النظام اللغوي العربي، مع تفسير سبب استحالة توليد جذور أخرى. منتهيا إلى تطوير برامج صرفية تعتمد على الدوال الرياضية بدلا من قواعد البيانات التقليدية.

وفي موضوع "دينامية الأراضي بعالية سد سيدي محمد بن عبد الله: حالة حوض كرو الأوسط". ركزت دراسة الباحث سعيد عبد الكبير بإشراف أستاذته الدكتورة نادية مشوري على تحليل دينامية الأراضي في حوض كرو الأوسط، الذي يتميز بوسط هضبي متقطع ونشاط كبير

للتعرية المائية على السفوح. أبرز الباحث دور نظم المعلومات الجغرافية (GIS) في فهم التوزيع المجالي لمظاهر التدهور التي يعاني منها الحوض، والتي تهدد استقرار الأوساط الطبيعية واستدامة استغلال السكان المحليين للموارد. فكشفت الدراسة عن أن حوض كرو الأوسط يعاني من تدهور بيئي بسبب التعرية المائية المكثفة التي تفاقمت بسبب الظروف الطبيعية والتدخلات البشرية. وسعى البحث إلى تفسير مظاهر التدهور وتحديد أسبابها. وهي مقاربة تقترح الأدوات الفعالة لإدارة الموارد الطبيعية والحفاظ على توازن الأوساط الهشة في المنطقة باستخدام نظم المعلومات الجغرافية.

تتناول المقالة، التي أعدها الباحث أيوب بلمجدال، بإشراف من أستاذه الدكتور المصطفى زنزون موضوع "منهجية الصحفيين المغاربة في تغطية الأخبار والتحقق من البيانات أثناء الأحداث العاجلة".

تركز الدراسة على تحليل التحديات والفرص التي توفرها وسائل التواصل الاجتماعي للصحفيين، خاصة في مجال جمع المعلومات والتحقق من الحقائق ومراجعة المحتوى. مع التركيز على بعض الصحفيين المغاربة، تهدف الدراسة إلى استكشاف الاستراتيجيات التي يستخدمونها لجمع المعلومات والتحقق منها، وذلك في ظل الانتشار الواسع للمعلومات على منصات مثل فيسبوك وتويتر ويوتيوب.

اعتمدت الدراسة على منهجية جمع البيانات النوعية، من خلال إجراء مقابلات مع 21 صحفيا مغربيا لاستكشاف تصوراتهم ومواقفهم تجاه جمع الأخبار والتحقق من المعلومات عبر الإنترنت. كشفت النتائج أن الصحفيين المغاربة يعبرون عن مواقف إيجابية تجاه استخدام وسائل التواصل الاجتماعي، لكنهم يؤكدون على أهمية امتلاك مهارات نقدية لفحص مصداقية البيانات. كما أشار المشاركون إلى تنوع وثراء الآراء والروايات التي توفرها هذه المنصات، لكنهم يدركون أيضا مخاطر التلاعب ونشر المعلومات المضللة.

وفي موضوع "التواصل التعاطفي ورعاية المرضى اللاجئين من أفريقيا جنوب الصحراء في المركز الاستشفائي الجامعي ابن سينا". اقترحت الباحثة فاطمة لعرش بإشراف الأستاذ الدكتور جمال الوفاء، دراسة نفسية عملت على تحليل تمثلات المرضى اللاجئين من أفريقيا جنوب الصحراء للتواصل التعاطفي من قبل مقدمي الرعاية في المركز الاستشفائي الجامعي ابن سينا

بالرباط. تهدف إلى تحديد الثغرات التواصلية التي غالبا ما تكون مصدرا للتوترات والنزاعات، وقد اعتمدت الدراسة على إجراء مقابلات شبه موجهة مع ستة مرضى لاجئين ناطقين بالفرنسية ممن قضوا عشر أيام على الأقل في المستشفى، بالإضافة إلى ستة أطباء مقيمين وستة ممرضين متعددي التخصصات. أظهرت النتائج أن المرضى أعربوا عن رضاهم العام عن الرعاية الطبية والتواصل اللفظي، لكنهم أبدوا استياءهم من نقص التواصل غير اللفظي، مثل الاتصال البصري والوضعية المناسبة والتقارب العلاجي والتعاطف، وهي عناصر تعزز العلاقة بين مقدم الرعاية والمريض وتقلل من التوترات. وقد أعزى مقدمو الرعاية هذه الثغرات إلى نقص الكوادر الطبية وضغط العمل المرتفع.

وقدمت الباحثة نجاة الصادقي، بإشراف الأستاذة الدكتورة ليلى منير وبمساعدة الخبيرة في الترجمة العربية-الإيطالية أنجيليكا بالميجياني، بحثا موسوما بـ: "الترجمة في عصر الذكاء الاصطناعي: تحليل قدرات ChatGPT في الترجمة من الدارجة المغربية إلى الإيطالية - الحكاية الشعبية المغربية 'هاينا' نموذجا"، حللت الدراسة فعالية أداة الذكاء الاصطناعيChatGPT في ترجمة مقتطفات من الحكاية الشعبية المغربية "هاينا" من الدارجة المغربية إلى الإيطالية، مع التركيز على التحديات اللغوية والثقافية. وأكدت الدراسة أنه على الرغم من التقدم الكبير الذي أظهرته الترجمة الآلية بفضل الذكاء الاصطناعي، يظل الاستبدال الكامل للمترجم البشري غير مرجح في الوقت الحالي.

إننا نسعى من خلال هذا العدد من **مجلة بحوث الدكتوراه: آفاق بحثية في بينيات العلوم الإنسانية والاجتماعية، والأعداد التي ستليه أن تكون المجلة** منبرا علميا رائدا يسهم في إثراء المعرفة الإنسانية وفتح آفاق جديدة للبحث العلمي. ومن خلال هذا العدد الافتتاحي، تبرز المجلة جهود طلبة الدكتوراة في تقديم بحوث مبتكرة تعكس الفهم العميق للتحديات المعاصرة، وتعالجها بمنهجية علمية دقيقة. تظهر هذه الجهود أن البحث العلمي في العلوم الإنسانية والاجتماعية ليس مجرد نشاط أكاديمي، بل هو أداة فاعلة لفهم تعقيدات الوجود الإنساني وابتكار حلول مستدامة للتحديات التي تواجهها المجتمعات.

ولضمان استمرارية هذه المسيرة العلمية المتميزة، يتطلب الأمر تعاونا وثيقا بين جميع الأطراف المعنية. فجهود الطلبة الباحثين، التي تمثل الجسر بين المعرفة الراسخة والابتكار العلمي،

تحتاج إلى دعم وتشجيع من لجان التحكيم التي تعمل على تقييم البحوث بموضوعية ودقة، مما يضمن جودة المخرجات العلمية وموثوقيتها. كما أن انخراط القراء، سواء من الأكاديميين أو المهتمين بالشأن العلمي، يلعب دورا محوريا في تفعيل الحوار الأكاديمي وتبادل الأفكار، مما يعزز من قيمة المجلة ويوسع من تأثيرها.

في ختام هذه الكلمة، لا يسعني إلا أن أعبر عن فخري واعتزازي الكبير بالمشاركة في تنسيق أعمال هذه المجلة، التي تعد ثمرة جهد جماعي. أشعر بفخر كبير أن أكون جزءا من هذه التجربة العلمية الرائدة، التي أرسينا قواعدها بمعية السيدة العميدة بالنيابة الأستاذة الدكتورة **ليلى منير**، التي نعتز بالتعاون معها لما تتحلى به من رؤية ثاقبة وقيادة حكيمة، كانت دائما مصدر إلهام لنا جميعا. كما أتوجه بجزيل وعظيم الامتنان إلى أ.د. بثينة الغلبزوري **مديرة مركز دراسات الدكتوراة**، التي أبدت تعاونا ودعما لا محدودين، مما أسهم بشكل كبير في إنجاح هذه المبادرة. ولا يفوتني أن أتقدم بالشكر الجزيل إلى جميع **الباحثين المساهمين** في المجلة، الذين قدموا أبحاثا متميزة. كما أتوجه بالشكر والتقدير إلى **أعضاء اللجنة العلمية** الذين تفاعلوا بإيجابية مع هذه التجربة، وأسهموا بكل جدية في إنجاحها، والشكر موصول إلى **الهيئة الاستشارية** التي قدمت كل أشكال الدعم والتوجيه.

وما كان لهذا الإنجاز أن يرى النور لولا التعاون المثمر والرؤية المشتركة لجميع الأطراف المشاركة. فلنستمر معا في دعم مسيرة العلم والمعرفة.

وفي ختام هذه الكلمة نرجو أن تُتقبل ا**لمجلة** بقبول حسن عند جمهور القراء، وتحظى بدعمهم، قراءة ونقدا، لأنها ليست مجرد منصة لنشر الأبحاث، بل نريد لها أن تكون جسرا بين الباحثين والمجتمع. ففي استمراريته ترسيخ لمكانة البحث العلمي. فبالعلم نرتقي، وبالتعاون نحقق التميز، وبالتفاعل نعزز الحوار المعرفي الذي يفتح آفاقا جديدة للبحث والابتكار.

20/ 02/ 2025

عثمان احمياني
رئيس هيئة التحرير
كلية الآداب والعلوم الإنسانية-
جامعة محمد الخامس بالرباط المملكة المغربية

عن المعرفة واتصال العلوم

الأستاذ الدكتور محمد غاليم

الكلمة التوجيهية للمتحدث الرئيسي في العدد
معهد الدراسات والأبحاث للتعريب،
جامعة محمد الخامس بالرباط. المملكة المغربية

تقديم

من مميزات العلوم المعرفية، وهي أساس الأنموذج المعرفي،[1] أنها تربط تدريجيا علوم الذهن (أو العلوم الإنسانية والاجتماعية) بعلوم المادة (أو العلوم الطبيعية). وهو ما يعني أننا بصدد موقف يسعى إلى بناء طبيعي للذهن البشري، ويعتبر أن كل الظواهر الذهنية، بما فيها اللغة، حالات أو أحداث أو عمليات طبيعية كباقي الظواهر الطبيعية الأخرى. وذلك على غرار ما سبق أن عبر عنه هونري بوانكاري Henri Poincaré قائلا:

"لو لم تكن أجزاء الكون المختلفة كأعضاء الجسم الواحد، لما عمل بعضُها في البعض الآخر، ولجهل بعضُها البعضَ الآخر؛ ولما عرفنا، نحن على وجه الخصوص، سوى جزء واحد فقط. لذلك ليس علينا أن نتساءل ما إذا كانت الطبيعة واحدة؛ ولكن كيف تكون واحدة".[2]

فالأنموذج المعرفي إطار علمي تعاوني موسَّع يجمع بين مختلف علوم المادة والذهن؛ إذ تشمل صفةُ *المعرفي* وحدةً عضوية بين الذهنيّ وعِمادِه الماديّ والتفاعل مع المحيط (أو: الدماغ/الجسد/المحيط). فليس المقصود فقط مجمل وظائف المعرفة البشرية ومحتوياتها وعمليات تحليلها وتخزينها واسترجاعها، الخ، ولكن أيضا، الأساسَ العضوي (الدماغي/الجسدي)، أي الطبيعيَّ الفيزيائي، للآليات والبرامج الأحيائية التي تُمَكّن من تنفيذ تلك الوظائف والعمليات وتَحَقُّقِها في التفاعل مع قيود المحيط. إنه مشروع وحدة تجْمَع المادةَ والطاقة والجزيئات المادية إلى الجزيئات العضوية والخلايا الحية إلى الأعضاء والكائنات وقدراتها الإدراكية والتصورية.

إنه بناء طبيعي تدريجي ترابطي، وليس اختزاليا كما كان في ق. 17، لما فُرِّق عبر تاريخ المعرفة العلمية البشرية. والصيغة الترابطية صيغة أساسها الأوّلي الكشف عن مبدأ مشترك بين مجالين أو

---

[1] انظر تفاصيل عن الأنموذج المعرفي في غاليم (2021ب)، الباب الثاني خاصة.

[2] هونري بوانكاري (1902)، ص. 258.

أكثر من المجالات العلمية التي كانت تعتبر من قبل مجالات مختلفة ومتباعدة. ومن الأمثلة التي توضح ذلك، توحيد الفيزياء والكيمياء والأحياء في القرن التاسع عشر؛ وهي مجالات أصبحت تبدو بعد التوحيد بمثابة مناطق مختلفة لنفس الإقليم. وخلافا للصيغة الأولى الاختزالية، تعبر الصيغة الثانية عن توحيد ترابطي تفاعلي يعكس المبادئ والخصائص الطبيعية والمطردة المشتركة. فتتخذ وحدة العلم بذلك شكل شبكة تعددية منظمة، أو مُتَّصِلٍ (continuum) بين شتى أنواع التخصصات العلمية الرئيسة والفرعية. إنه توحيد أساسه تفاعل مكونات المعرفة العلمية في إطار نظرية شاملة للمعرفة مبنية على اندماج نتائج مختلف العلوم وترابطها السببي واتساقها؛ بعيدا عن اختزال الظواهر في هذا البعد أو ذاك، سواء أكان بعدا اجتماعيا-ثقافيا أم أحيائيا أم فيزيائيا.[3] بهذا يسعى الموقف الطبيعي الجديد الذي نقصده هنا إلى وضع العلوم الاجتماعية والإنسانية، *من حيث موضوعاتها*، على مسافة من علوم الطبيعة مشابهة لتلك التي يمكن أن تفصل بين أي علمين طبيعيين. وهذا يعني أن علاقة علم النفس واللسانيات وعلم الاجتماع والأناسة، الخ. بالأحياء والفيزياء، الخ. لا تختلف من حيث المبدأ عن علاقة علم الفلك، مثلا، بالرياضيات، أو علوم الأرض بالفيزياء، أو الأحياء بالكيمياء. إنه مشروع يسعى إلى ربط العلوم الاجتماعية والإنسانية بعلوم الطبيعة عبر شبكة من الروابط التصورية أو التجريبية، تزداد كثافتها باستمرار مع تقدم المعرفة العلمية.[4]

وفي نفس السياق العام يقوم هذا الموقف الطبيعي على "أطروحة الاستمرارية" بين الفلسفة والعلم. وهي أطروحة تَعتبر الفلسفةَ استمرارا للعلوم الطبيعية، تُشاركُها، أو ينبغي أن تشاركها، نفسَ الهدف المتمثل في فهم العالم، ونفسَ المنهج. وهو تصور للفلسفة ذو علاقة وثيقة بالتحول الذي أحدثه الموقف الطبيعي في المجال الإبستمولوجي وسمي "منعطفا طبيعيا" (naturalistic turn).[5]

1 بعض تطورات العلم المعرفي من التأسيس إلى الثمانينيات

شهدت المرحلة الممتدة من بدايات "الثورة المعرفية"، كما سماها هوارد غاردنر (1986) Gardner، في أواخر الثلاثينيات وبداية الأربعينيات إلى الستينيات، عدة تطورات ستؤثر في

---

[3] وانظر أندلر (2011أ)؛ وتوبي وكوسميدس (1992 و2016).

[4] وانظر أندلر (2011ب)، صص. 129-130؛ وغرانطام (2004) Grantham، ص. 134، وغاليم (2021ب).

[5] انظر، مثلا، كولبوت (1993) Callebaut.

مسارات العلم المعرفي بدرجات متفاوتة. ومن هذه التطورات تطورات المنطق الرياضي، وآلة تيورينغ، ونظرية المعلومات، والنمذجات الحاسوبية للذهن، ونظرية الأنساق المركبة (أو السيبرانية (Cybernetics)؛ ماككلاك وبيتس McCulloch and Pitts 1943، وفينر Weiner 1948، 1950)، وعلم الأعصاب، وعلم الأحياء الجزيئي، والصيغ الأولى للسانيات الأحيائية (Biolinguistics) مع تأسيس مختبر *اللسانيات الأحيائية* الذي أداره موشكنس منذ 1929 وأَثْمَرَ كتابَ ميدر وموشكنس Meader and Muyskens (1962/1950 بعنوان: *Handbook of Biolinguistics*، ثم كتاب إيريك لينبرغ (1967)، والنماذج الأولى للسانيات التوليدية (شومسكي 1957 و1965)، إلى غير ذلك.

وقد اتخذ العلم المعرفي في مرحلة التأسيس هذه صيغة نظرية حاسوبية للقدرات الذهنية تجلت خاصة عند أولريك نيسر Neisser الذي رأى في علم النفس المعرفي *الإطار الموحَّد* لدراسة مجموع الظواهر المعرفية، واعتُبِر "أبَ" هذا العلم. وأسّس نيسر دَمْجا منهجيا بين الظواهر المعرفية المدروسة آنذاك (وظلت مشتتة) مكَّن من تحويل علم النفس المعرفي إلى *علم للنمذجة* (*modeling science*). وظهر ذلك في كتابه سنة 1967: *علم النفس المعرفي* (*Cognitive Psychology*)، الذي قام فيه بإدماج مختلف المجالات الفرعية في معالجة واحدة هي المعالجة النفسية المعرفية. وهي معالجة تجمع بين البحث في الإدراك وملكات كالبصر والسمع والذاكرة والانتباه وحل المشاكل والفكر واللغة. وكلها تخصصات فرعية استدل نيسر على أنها ليست منفصلة بل تشكل مجالا متسقا موحَّدا، قائما على أن: "كلَّ ظاهرة نفسية ظاهرةٌ معرفية".[6]

وشهدت السبعينيات والثمانينيات تطورات أخرى متسارعة في مجالات العلم المعرفي، نذكر من أبرزها على وجه الخصوص ما يلي:

- **أولا**، اغتناء مجالات علم النفس المعرفي بتخصصات نفسية أخرى من أهمها علم النفس التطوري الذي يعمل على الربط بين حالة القدرات البشرية في مرحلتها المبكرة لدى حديثي الولادة (الحالة الأولى) وحالة تحولاتها لدى البالغين؛[7]

[6] انظر نيسر (1967)، ص. 4؛ وغاليم (2021أ).

[7] وانظر التفاصيل في غاليم (2021ب)، الفصل الثاني من الباب الثاني.

- **ثانيًا**، تجاوز نطاق الاهتمامات الأولية كالتعلم والذاكرة والتفكير واللغة والتحكم الحركي، والبصر، وتعرف الأشكال (لدى الإنسان والآلة)، والعمليات المنطقية، وبناء التصورات السُّلَّمي، وحل المشاكل، الخ، إلى مجالات أخرى يتزايد عددها كمجال العواطف، والوعي، واللاوعي، والذات، والقدرات الاجتماعية (كمفهوم التأطير (framing) القائم على مفهوم الإطار (frame) الذي يعتبره غوفمان Goffman (1974): "مبادئ لتنظيم أوضاع تَحْكُم الأحداثَ الاجتماعيةَ واشتراكَنا الذاتي فيها"؛[8] ويعرفه مينسكي Minsky (1974) باعتباره: "بنية ينتقيها الفرد من ذاكرته حين يواجه وضعا جديدا أو يغير رؤيته لوضع حاضر، وتسمى إطارا. وهو إطارُ عملٍ يجري تذكُّرُه وتكييفُه ليناسب الواقع عن طريق تغيير بعض التفاصيل عند الضرورة".[9] ومن أمثلة الإطار من حيث هو بنيةُ معطيات لتمثيل وضع "مجسَّم" (stereotyped)، حفلة عيد ميلاد؛

- **ثالثًا**، أصبحت المعرفة "غير العادية" عند المصابين باضطرابات ذهنية، والمعرفة "غير البشرية" عند الحيوانات الأخرى (وخاصة الرئيسات منها)، والمعرفة "غير اللغوية" عند الرئيسات والرضع من البشر، جزءًا لا يتجزأ من دراسة الفكر والمعرفة تهتم به علوم كعلم الرئيسات وعلم النفس المقارن (بين الإنسان والحيوان).

وقد كان ولفغنغ كوهلر Wolfgang Köhler في كتابه الكلاسيكي: *عقلية القِرَدَة* (1927) سباقا إلى دراسة المعرفة غير البشرية في وصفه للشامبانزي وحيوانات أخرى وهي تحل المشاكل التي يطرحها عليها في مختبره. وكان كوهلر يسعى إلى دحض تفسيرات سلوك الحيوانات على أساس الإشراط، وإلى الاستدلال على أنها تملك قدرا من الفكر الخلاق ودرجة من البنيات الإدماجية في ما تخطط له من أعمال تقوم بها. واهتم باحثون آخرون في نفس المجال، خلال الثمانينيات وما بعدها، بدراسة المعرفة الاجتماعية في فكر الرئيسات. ومن ذلك أعمال شيني Cheney وسيفارت Seyfarth التي أوضحا فيها أن المعرفة الاجتماعية عند القردة مجال مبني من تصورات لا تُدرَك بالحواس إلا بكيفية غير مباشرة، كالسيطرة، والقرابة، وأنماط التزاوج، والتحالف، والانتماء إلى

[8] غوفمان (1974)، صص. 10-11.

[9] مينسكي (1974)، صص. 112-113.

المجموعة، وبوادر نظرية الذهن. وأن كل ما تقوم به القِرَدة مألوف وله مقابلات بديهية في السلوك الاجتماعي البشري.[10]

ومن الفوائد الجوهرية لمثل هذه الدراسات في تطوير العلم المعرفي أنها تفتح طريقا آخر للتحقق من الافتراضات حول بنية الفكر البشري غير الطريق الذي يمر عبر تحليل اللغة. فننتظر من نظرية الدلالة اللغوية أن تتلاقى ونظرية الفكر غير اللغوي. وطالما أمكننا أن نصوغ فرضيات حول ما هي العناصر التي يجب أن توجد في فكر الشامبانزي، مثلا، من أجل تفسير سلوكه، ينبغي أن نتوقع وجود عناصر مماثلة في فكر الإنسان، وإن كانت متطورة بدرجة عالية.

وتمثل معرفة الرُّضَّع مصدرا آخر للحجج المتعلقة بطبيعة الفكر غير اللغوي. وبالنظر إلى أسس المعنى غير اللغوية هذه، تبين إلى حد كبير أن "دراسة دلالة اللغة الطبيعية هي دراسة علم النفس المعرفي"، كما عبر عن ذلك راي جاكندوف (1983).

- **رابعًا**، التزايد الكبير والحاسم لأهمية علم الأحياء وعلم الأعصاب. فقد حقق علم الأحياء تطورا مذهلا، مستخدما ثلاثة برامج بحث متمايزة لكنها مترابطة ومتفاعلة هي: علم الأعصاب المدعوم بالتصوير العصبي الوظيفي والنمذجة الحاسوبية، وعلم الوراثة (genetics)، والنظرية التطورية.[11]

- **خامسا**، إعادة الاعتبار إلى مبادئ علم النفس الجشطلتي (عند كوهلر Köhler وفيرتيمر Wertheimer وكوفكا Kofka، ودنكر Karl Duncker 1935)؛ وتوسيع استعمال مبادئه الاستكشافية في نظريات مختلفة ومتنوعة. منها، مثلا، نظرية النمط النموذجي (prototype theory)؛ ونظرية الدلالة التصورية (من خلال قواعد التفضيل (preference rules) واستحالة التعاريف "الجامعة المانعة" للكلمات)؛ ونظرية الأمثلية (optimality theory) في الصواتة والدلالة والتركيب. فاتخذ العلم المعرفي منذ منتصف السبعينيات خاصة، صورة تحليل مندمج متعدد المستويات والتخصصات لبنية "الذهن/الدماغ" ووظائفه. وهو ما عزز اتصال وتفاعل مختلف علوم المادة والذهن التي تدرس هذه التخصصات.

2 بعض التطورات من الثمانينيات حتى اليوم

[10] انظر، مثلا، شيني وسيفارت (1990 و2007).

[11] وانظر أندلر (2022)؛ وغاليم (2020).

-أولاً، اتضاح التفاعل بين العلوم المعرفية والاجتماعية والإنسانية والأدبية. أو الانتقال من *نموذج العلم الاجتماعي المعيار* (*Standard Social Science Model*)، إلى *النموذج السببي المندمج* (*Integrated Causal Model*).[12] ومن مظاهر ذلك أن أغلب علوم الإنسان والمجتمع، إن لم نقل كلها، أضحت تتضمن فرعا معرفيا (cognitive)، وتشهد بناء نماذج (أو نَمْذَجَات) معرفية للظواهر التي تدرسها. بما في ذلك العلوم الاجتماعية والإنسانية، ونظرية العمل.

ورغم اهتمامات سابقة فقد بدأ ارتباط الدراسات الأدبية "الرسمي"، أو "زواجُها الإبستيمي" بالعلوم المعرفية، ومنها اللسانيات المعرفية، خاصة بصدور كتاب ليكوف وجونسون: *الاستعارات التي نحيا بها* سنة 1980. وتعزز الارتباط بظهور ما سمي "شعرية معرفية" (" cognitive poetics"). وهي نظرية نسقية للذهن لا يكون الأدب فيها هامشيا بل مركزيا في فهم الذهن البشري؛ واعتُبِرت، منذئذ، مكونا "رسميا" من مكونات العلوم المعرفية ليصبح "النقد الأدبي فرعا من العلم المعرفي" كما يقول هربرت سيمون 1995.

وانصب الاهتمام على الآليات المعرفية لفهم بناء المعنى في المعرفة الأدبية، ولإعادة صياغة مفاهيم تستعمل بدلالات غامضة مثل: المعنى والسياق والاستحضار والتعرف والصورة (الذهنية)، إلخ. ولبلورة نظريات *للتمثيلات الأدبية* عموما، ولتَشكُّلها على أساس الدوافع الأوَّلية لدى الإنسان وانفعالاته العاطفية القاعدية. فتطورت دراسات في *نظرية الشعر*، مثل تسور (1992)، تسعى إلى تقديم تفسير واضح للآليات المعرفية التي يقوم عليها الأثر الانفعالي للغة الشعرية؛ وللتقنيات الشعرية التي تمكّن من حمل تجارب ذات طبيعة قبْل مَقُولية عبْر لغة مقُولية. وقد كان كتاب بيتر ستوكويل Peter Stockwell، *مقدمة للشعرية المعرفية*، الصادر في 2002 كتابا بالغ الأهمية في التعريف بالشعرية المعرفية على نطاق واسع.

كما تطورت أعمال في نظرية *المعرفة السردية* تؤكد أهمية العمليات الذهنية السردية، منها "التخيل السردي"، باعتبارها أداة جوهرية من أدوات الفكر المعتمَدة في عمليات كالتخطيط والتقييم والتفسير وتذكر الماضي وتخيل المستقبل وبناء نماذج ذهنية للعالم، كما يقول مارك تورنر في كتابه: *الذهن الأدبي* الصادر سنة 1996.[13]

---

[12] وانظر التفاصيل في توبي وكوسميدس (1992)، صص. 21-22، و(2016)، صص. 3-4؛ وانظر غاليم (2021أ)، الفصل العاشر.

[13] انظر غاليم (2004)، وغاليم (2021ب)، الباب الثالث.

-ثانيا، اكتساب النظرية التطورية أهميةً قصوى في دراسة التاريخ التكيفي التطوري للذهن/الدماغ/الجسد. وخاصة في إطار علم النفس التطوري (evolutionary psychology) الذي يدرس سلوك الإنسان وفكره وعواطفه من خلال مبادئ علم الأحياء التطوري، والذي عرف انتشارا واسعا بصدور بحث توبي وكوسميدس (1992): "الأسس النفسية للثقافة".

وفي نفس السياق، عرفت الدراسات التطورية الخاصة باللغة انطلاقة جديدة وجادة، خاصة بعد عمل بنكر وبلوم (1990).

-ثالثا، تزايد الربط العضوي بين الأدمغة والأجساد وقيود المحيط، لتتضح في أواخر الثمانينيات وبداية التسعينيات تصورات الجيل الثاني من علماء المعرفة بعد جيل المؤسسين. وهي تصورات لا تكتفي ببناء المعرفة البشرية على الدماغ وحده، بل تُبْنى من تأليف عضوي من الخصائص التي تملكها العمليات المعرفية. وهي أنها معرفة:

*متجسِّدة (embodied): وتكون العملية المعرفية متجسِّدة من خلال العمليات الجسدية إذا كانت تعتمد جزئيًا عملياتٍ موجودةً في الجسد وليس في الدماغ.

*مُدْمَجة (embedded): وتكون العملية المعرفية مُدْمَجَةً إذا كانت تعتمد سببيًا عملياتٍ خارج الجسد في المحيط (كمثال الآلة الحاسبة التي تسهل تفكير مستعملها عن طريق استغلاله السببي لها باعتبارها موضوعا في المحيط).

*موسَّعة (extended): وتكون العملية المعرفية موسَّعةً إذا كانت تعتمد جزئيًا على الأقل عملياتٍ خارج الجسد، أي إذا استلزمت بكيفية جوهرية مكونات أو أدوات خارج الجسد (كما هو الحال في ما يصطلح عليه بالإمكانات المتاحة affordances)؛ فما يتيحه شكل مقبض الباب من إمكانات القبض عليه يشكل جزءا جوهريا من العملية المعرفية التي تحدد الهيئة التي تتخذها اليد لإحكام القبض على المقبض وفتح الباب).

*مُفعَّلة (enacted): وتكون العملية المعرفية مفعَّلة إذا كانت تستلزم اشتراكا فعليا نشطا في محيط المنفذ ومع هذا المحيط، فيكون التاثير متبادلا.

وتبدأ هذه المصطلحات بالحرف e في لذلك أطلق عليها مصطلح: *4e cognition*. ويمكن أن نقابله بمصطلح: معرفة *الميمات الأربع*، ما دامت المقابلات العربية تبدأ بالميم. وقد اضيفت إلى هذه الخصائص الأربع خاصيتان هما: التجريبية والعاطفية.

خلاصات

يبدو الوضع الحالي للأنموذج المعرفي في صورة برنامج بناءٍ علمي طبيعي متعدد الجوانب والتخصصات للطبيعة البشرية عموما والذهن البشري خصوصا. ويمكن إجمال مسارات هذا البرنامج في ثلاثة مسارات كبرى متميزة ومترابطة:

- **أولا**، رصْدٌ للذهن من حيث هو مجموعة معقدة من القدرات المعرفية التي يمكن تخصيصها على المستوى الوظيفي لتحليل المعلومات، باعتبارها قدرات أساسها أوَّليات ومبادئ تأليف، تولِّدُ ما لا نهاية له من البنيات السليمة في القدرة المعنية.

- **ثانيا**، رصْد أحيائي للنظام المادي الذي يَتجسَّد فيه كل نسق؛ فدعامة هذه القدرات المعرفية هي الدماغ/الجسد/المحيط، إذ لا ذهن بدون دماغ/جسد/محيط؛ وبنية الذهن المعقدة تابعة لهذا المرَكَّب، وتعكس بالفعل بنيتَه وعملَه بأمانة تامة. ليس الذهن أكثر من نسق مندمج من وظائف الدماغ/الجسد/المحيط، ورصْدُ خصائص هذا المرَكَّب الأخير يعني البناء الطبيعي للأول.

- **ثالثا**، رصْد تطوري لهذه الأنساق المعرفية؛ إذ لها وظائف أحيائية، ومن ثمة فهي نتاج للتطور الأحيائي. ويجب أن يتم هذا الرصد التطوري سواء على المستوى الوظيفي لبناء الذهن المتطور (evolved mind)، أو على المستوى الأحيائي لبناء الدماغ/الجسد المتطور (evolved brain/body)؛ لدراسة تاريخهما الأحيائي-التكويني ووظائفهما التكيفية مع قيود المحيط.

مراجع

غاليم، محمد، 2004، "الدرس الأدبي والعلوم المعرفية"، مجلة: *المناهل*، السنة 27، عدد: 72/71، منشورات وزارة الثقافة، الرباط.

غاليم، محمد، 2020، "الهندسة المتوازية، أو النحو التوليدي في بيئته المعرفية الطبيعية"، مقدمة لترجمة كتاب: *اللغة والوعي والثقافة، أبحاث في البنية الذهنية*، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت.

غاليم، محمد، 2021أ، *اللغة بين ملكات الذهن، بحث في الهندسة المعرفية*، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت.

غاليم، محمد، 2021ب، *الأُنْمُوذَج الْمَعْرفِيّ إطارًا لاتِّصال العُلوم، بحث في وحدة المنهج وترابط الموضوعات*، الدار التونسية للكتاب، تونس.

Andler, D. 2011a, “Le naturalisme est-il l'horizon scientifique des sciences sociales?” In : Martin, T. (dir.), *Les sciences humaines sont-elles des sciences?* Vuibert, Paris, pp. 15-34.

Andler, D. 2011b, “Unity Without Myths”. In: Symons, J., Pombo, O. and Torres, J. M. (eds.), *Otto Neurath and the Unity of Science*, Springer, pp. 129- 144.

Andler, D. 2022, ‘’Critical naturalism for the human sciences’’. In : De Caro, Mario and Macarthur, David (eds.), The Routledge handbook of liberal naturalism, pp. 419-428, Routledge

Callebaut, W. 1993, *Taking the naturalistic turn, or, How real philosophy of science is done*, The University of Chicago Press.

Cheney, D. L. and Seyfarth, R. 1990, *How Monkeys see the World*, Chicago: Chicago University Press.

Cheney, D. and Seyfarth, R. 2007, *Baboon metaphysics: the evolution of a social mind*, The University of Chicago Press.

Chomsky, N. 1957, *Syntactic Structures*, The Hague: Mouton.

Chomsky, N. 1965, *Aspects of the Theory of Syntax*, MIT Press.

Duncker, K. 1945, On problem solving (L. S. Lees, Trans.), *Psychological Monographs, 58 (Whole No.270)*. (Original work published 1935 : *Zur Psychologie des produktiven Denkens* [*The Psychology of Productive Thought*]. Springer, Berlin).

Gardner, H., 1985, *The Mind's New Science, a History of the Cognitive Revolution*, N. Y., Basic Books.

Goffman, E. 1974 [1986], *Frame Analyses: an essay on the Organization of Experience*, Northeastern University Press.

Grantham, T. A. 2004, "Conceptualizing the (Dis)unity of Science", *Philosophy of Science*, Vol. 71, No. 2, pp. 133-155.

Jackendoff, R. 1983, *Semantics and cognition*, MIT Press.

Köhler, Wolfgang. 1927, *The Mentality of Apes*. New York: Vintage Books.

Lakoff, G. and Johnson, M. 1980, *Metaphors we live by*, University of Chicago Press.

Lenneberg, Eric H. 1967, *Biological Foundations of language*, John Wiley and Sons, Inc. New York.

McCulloch, W. and Pitts, W. 1943. "A Logical Calculus of the Ideas Immanent in Nervous Activity," *Bulletin of Mathematical Biophysics* 5: pp. 115-33.

Meader, C. L. and Muyskens, J. H. 1950, *Handbook of Biolinguistics, Part one: The Structures and Processes of Expression, with General Introduction to Biolinguistics*. Published by H. C. Weller, Sc.D. Toledo Speech Clinic, Inc. Toledo 2, Ohio.

Minsky, M. 1974, “A Framework for Representing Knowledge”. In: Haugeland, J. (ed.), *Mind Design II: Philosophy, Psychology, Artificial Intelligence*, Revised and enlarged edition, 1997, pp. 111-143, MIT Press.

Neisser, U. 1967/2014, *Cognitive psychology*, Classic Edition by Taylor and Francis Group, Psychology Press.

Pinker, S. and Bloom, P. 1990, ‘’Natural language and natural selection’’, *Behavioral and Brain Sciences* 13 (4), pp. 707-784.

Poincaré, H. 1902, *La science et l’hypothèse*, Numilog.

Simon, H. 1995, “Literary Criticism: A Cognitive Approach”, *Stanford Electronic Humanities Review* (*SEHR*), 4.1: Bridging the Gap. http://web.stanford.edu/group/ SHR/4-1/text/toc.html.

Stockwell, P. 2002, *Cognitive Poetics. An introduction*, Routledge.

Tooby, J. and Cosmides, L. 1992, “The Psychological Foundations of Culture”. In: Barkow, Cosmides and Tooby (eds.): *The Adapted Mind, Evolutionary Psychology and the Generation of Culture*, Oxford University Press.

Tooby, J. and Cosmides, L. 2016, “The Theoretical Foundations of Evolutionary Psychology”. In: Buss, David M. (ed.), *The handbook of evolutionary psychology*, 2nd Edition, Volume 1: Foundations, John Wiley & Sons, Inc, pp. 3-87.

Tsur, R. 1992, *Toward a Theory of Cognitive Poetics*, Amsterdam: Elsevier (NH) Science Publishers.

Turner, M.1996, *Literary Mind*, Oxford University Press.

Wiener, Norbert, 1948, *Cybernetics, or control and communication in the animal and the machine*, (second edition, 1961), MIT Press.

Wiener, Norbert, 1950, *The human use of human beings: cybernetics and society*, Free Association Books.

الديناميات البيئية ووقعها على الموارد الطبيعية بالريف الشرقي: حالة الطرف الغربي من حوض كرت الأوسط

(مقاربة جيوماتية)

Environmental Dynamics and Their Impacts on Natural Resources in the Eastern Rif: Case Study of the Western Part of the Middle Kert Basin (Geomatic Approach)

الباحث: إبراهيم ضرقيق
ibrahim_darkik@um5.ac.ma
الأستاذة: نادية مشوري
n.machouri@um5r.ac.ma
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
جامعة محمد الخامس بالرباط
المملكة المغربية
الأستاذ محمد صابر
المدرسة الوطنية الغابوية للمهندسين بسلا
المملكة المغربية
miloudsaadia@hotmail.com

الملخص:

عرفت جبال وأحواض الريف الشرقي المغربي في العقود الثلاثة الأخيرة تحولات عنيفة ومعقدة في مكونات بنيته وفي مشاهده (El abbassi,1997). وشكل النزوح القروي والفلاحي الحادين محليا أبرز تجلياتها، اللذان يعتبران آلية أساسية في إعادة تشكيل المجال المحلي، وتحكمت في هذه التحولات، مجموعة من العوامل داخلية وخارجية. يُعد تغير أشكال استعمالات الأراضي تمظهرا مجاليا ونتيجة لها ومرآة عاكسة لموازين القوى وحدود تأثيرها وطبيعة الوقع الناجم عنها. وبالتالي، خضع المجال في سيرورة تشكله وإعادة تشكيله إلى تأثير عوامل متفرعة (Gauche,2005)، ومن هذا المنطلق يهدف البحث إلى معالجة إشكالية واقع استعمالات الأراضي بجزء من جبال وأحواض الريف الشرقي المغربي ووقعها على الوسط الطبيعي الذي تتميز موارده بالشح والهشاشة (Maurer,1992) (تربة، ماء وغطاء نباتي)، بتوظيف مقاربات وأدوات حديثة خاصة نظم المعلومات الجغرافية والاستشعار عن بعد (الجيوماتية) في دراسة المظاهر العامة لهذه

الاستعمالات، ورصد أشكال توزيعها الجغرافي وديناميتها وتحليل نتائجها المجالية والبيئية ، وفق مقاييس مجالية مختلفة(Gibson et al., 2000) . نسعى من خلال هذه الورقة عرض جزء من نتائج البحث المتوصل إليها، خاصة نتائج الباب الأول منه.

الكلمات المفاتيح: ديناميات بيئية - الجيوماتية - استعمالات الأراضي - تشكيل المجال المحلي - الموارد الطبيعية - الريف الشرقي

Abstract:

Over the past three decades, the mountains and basins of the eastern Moroccan Rif have undergone profound and complex transformations that have affected both the structure and the geographical landscape (El Abbassi, 1997). These changes, characterized notably by a massive rural exodus, have led to a reorganization of local space under the influence of numerous internal and external factors. The new forms of land use, as spatial manifestations, consequences, and impacts of these transformations, reveal the existing power dynamics, their limits, and their consequences (Gauche, 2005). It is within this context that this study is framed, focusing on land use in certain parts of the mountains and basins of the eastern Moroccan Rif and its impacts on natural resources. The study aims to address the question of vulnerability by using geographical approaches and tools to examine the common manifestations of these land uses, track their geographical distribution and dynamics, and analyze their spatial/environmental impacts at different spatial scales.

Keywords: Environmental Dynamics, Geomatics, Land Use, Reorganization of Local Space, Natural Resources, Eastern Rif.

مقدمة:

يكتسي موضوع استعمالات الأراضي أهمية كبيرة من طرف الجغرافيين، بسبب طبيعة إشكالياته التي تنبني أساسا على العلاقة التفاعلية القائمة بين المجتمعات وأوساط عيشها في أبعادها المجالية والزمنية في تاريخ محدد(Lambin et al., 2006) . تعد جبال وأحواض الريف الشرقي مجالات نموذجية لدراسة الموضوع، ذلك أن الوسط يعرف تعددا على مستوى هذه الأنماط وفي توزيعها المجالي، بسبب التأثير الذي يمارسه الإطار الجغرافي عليها، باعتبار مكوناته الطبيعية والبشرية تشكل في نفس الوقت وسطا حاضنا لهذه الاستعمالات وعوامل فاعلة في تنوعها وتعددها.

يعتبر مجال الدراسة من روافد واد كرت، تم تحديده في الطرف الغربي من حوض كرت الأوسط انطلاقا من حدود طبيعية تتوافق مع حدود حوض مائي، على السفوح الجنوبية الشرقية لكتلة آيت توزين آيت سعيد التي تحده في جهته الغربية، باتجاه سهول سفسا. ويشكل وادي إزران محور التصريف للحوض، يتوسع على مساحة تناهز 15.000 هكتار (150 كلم²)، وهو نموذج من الأحواض الطي-جبلية الجافة Les bassins Intramontagneux تتوسع داخله بعض الأحواض الصغيرة كحوض عين أغبال في جهته الشمالية الشرقية وحوض تفرسيت في الجهة الغربية منه.

نعتبر هذا الحوض نموذجيا لبلوغ الهدف الذي نتوخاه. فهو يضم جزءاً جبليا تستقر فيه مجموعة من المداشر، وآخر منبسط استقطب عددا متزايدا من السكان، ويعرف ظهور مراكز حضرية تنمو بوتيرة متسارعة.

خريطة رقم (1): مجال الدراسة داخل إطاريه الطبيعي والإداري الحالي

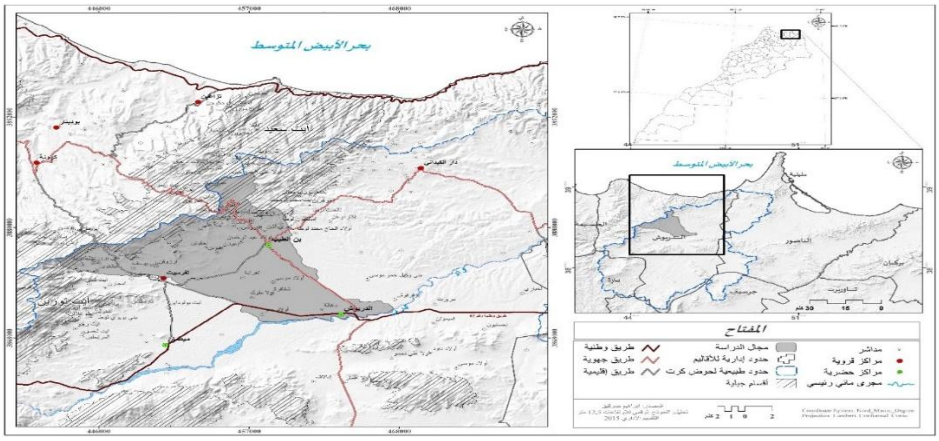

المصدر: تحليل النموذج الرقمي للارتفاعات، والتقسيم الإداري لسنة 2015

الإشكالية العامة

يعرف مجال الدراسة تعددا على مستوى دينامياته المحلية. انطلاقا من العلاقة التفاعلية بين وحداته المجالية التي تختلف في غالبيتها من حيث تركيبها وتنظيمها، والتي تفرز نظاما مجالي محلي (Système spatial local) ينبني على ثنائية تلعب دورا كبيرا وحاسما على مستوى هيكلته (العلاقة التفاعلية بين المجال الجبلي والتي تشكل المجالات المرتفعة وعلاقتها بالمجالات المنخفضة أي بسوطها)، والتي تعد نتيجة هذا النظام. نعبر عن هذه الإشكالية العامة من خلال (شكل رقم: 1).

شكل رقم(1): خطاطة تشخص الوضع العام لإشكالية الدراسة

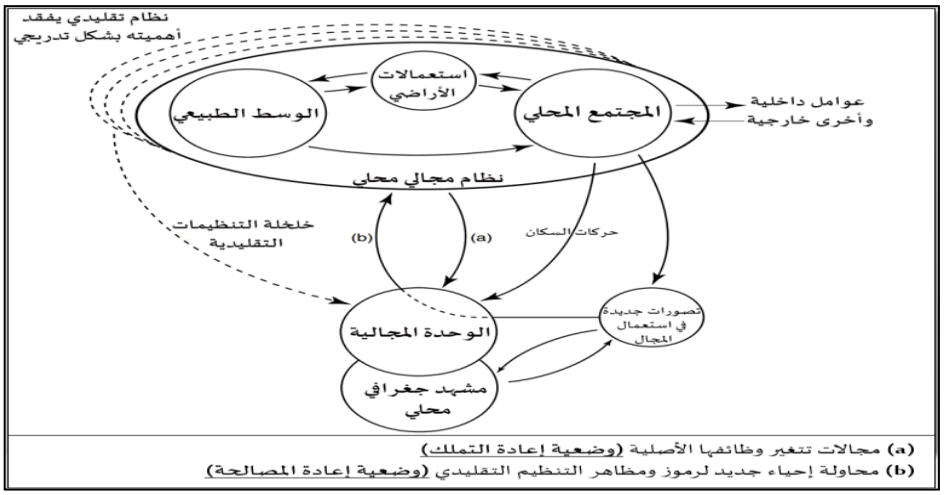

المصدر: تصور بناء على قراءة في عدة مصادر ومراجع أهمها(Denis, G.1997)

طرح هذا الواقع إشكالية التفاوت بين الوحدات المجالية، ما أنتج أوساط تعيش أزمة حقيقية ومتعددة المظاهر وأخرى تعرف حيوية كبيرة. فكيف تفاعل كلا من العنصر البشري "المجتمعات المحلية" والمعطى الطبيعي ليفرز لنا تنظيمات سوسيو-مجالية وبيئية متنوعة داخل نفس المجال؟ وكيف انعكست النتائج على المشهد المحلي وموارده الطبيعية المتميزة بالشح والهشاشة؟

أهداف وأهمية البحث

نهدف إلى التعريف بمكونات المجال المختلفة وتحديد خصوصياتها وضبط أشكال ومواقع توزيعها، ثم رصد ودراسة أشكال الديناميات الحالية المرتبطة باستعمالات الأراضي، مع تحديد العوامل والآليات المتحكمة فيها. وأخيراً، انعكاساتها على الموارد وتنظيم المجال على ضوء

سيروراتها المتباينة التي تؤدي إلى إنتاج مجال متعدد الوظائف، وبذلك نسهم في إغناء الخزانة الجغرافية خاصة على مستوى العلاقات بين المجال والإنسان، مما يستدعي معالجتها استعمال وسائل وتقنيات حديثة لما تتيحه من مزايا تمكن من الإحاطة بمختلف جوانبها. ومن خلال النتائج التي تم استقراؤها ميدانياً، أو باستثمار الأفكار المستخلصة من الأعمال ذات الصلة بالمجال وبالموضوع.

تتمثل أهمية البحث في إغناء الأعمال السابقة حول المجال، وإضافة معطيات جديدة عن مكوناته وتطوراته في أبعادها الزمنية والمجالية. ويُعد من أولى الأبحاث الأكاديمية التي قاربت الإشكاليات المرتبطة باستعمالات الأراضي من هذه الزاوية بمقياس كبير وبعد تفصيلي. وتتجلى إضافته النوعية في إيلاء الاهتمام بتمثيل بعض الظواهر الجغرافية الملاحظة ميدانيا في شكل عمل خرائطي نال حيزا وافرا داخل مضامين البحث، وتم ذلك بفضل استثمار أدوات الجيوماتية بوسائلها ومقارباتها المختلفة، وشكلت عناصر التحليل المجال-زمني الموجه الأساسي لكل مراحل البحث. وتبلورت الجهود التي بذلناها في معالجة إشكالية الديناميات المجالية المحلية في إنتاج عمل خرائطي دقيق حول أشكال استعمالات الأراضي وخصوصياتها والديناميات التي عرفتها ونتائجها المجالية والبيئية.

المقاربة المنهجية المتبعة: أدواتها ومراحلها

يتجسد مضمون المناهج والمقاربات في عدة عناصر انسجاماً مع طبيعة الأدوات الموظفة وخصوصيات مجال الدراسة ترتكز أساساً على التحليل المجالي[...]، وبمنهج علمي معاصر يدمج بين الاستقراء والاستنباط، ومنهج وصفي تحليلي.

مقاربة جيوماتية

اعتماد الجيوماتية كأداة لوضع وتحليل خريطة استعمالات الأراضي داخل الحوض عبر مراحل التشخيص التحليل والتفسير، بهدف دراسة أنظمة الاستعمالات والكشف عن مظاهر التنظيم المكاني بداخل المجال، وخصوصياته ورصد أهم الإشكاليات المترتبة عن هذا الوضع، وكذا الاشتغال على مظاهر الوقع الناجم عن الديناميات التي عرفتها.

المناهج: اعتماد المنهج العلمي المعاصر الذي يدمج بين الاستقراء والاستنباط

أصبحت الجغرافية تستند على المنهج الاستقرائي التجريبي الذي يبدأ بالملاحظة والتجربة[14] تمهيداً لصياغة الفرضية والتأكد من صدقها وتمحيصها، ومن تم التوصل إلى النظرية المفسرة للمشكلة. ولتحليل إشكاليتنا سنعمل على اعتماد المنهجين معاً، لأن المنهج العلمي المعاصر ليس استقراء أو استنباطاً فقط، بل هو الدمج بينهما[15] (القواق، 2020). كما استندنا إلى المنهج الوصفي خاصة مرحلة التشخيص المجالي بغرض تحديد أهم مكونات المجال وبنيته ووظائفه.

تحت هذا الإطار، عملنا على تطبيق هذه المناهج في جميع مراحل البحث، مرحلة جمع المعطيات (معطيات ميدانية باعتماد منهجية المجال-شبكة...)، ثم مرحلة عرض المعطيات (جداول، رسومات بيانية، تمثيل كرطوغرافي بواسطة أدوات الجيوماتية....) وأخيراً مرحلة تحليل النتائج.

يرجع اهتمامنا بهذه المناهج إلى حرصنا على مواكبة التطور الحاصل في الفكر الجغرافي، حيث لم تعد الجغرافية وصفية فقط كما كانت عليه سابقاً، بل تطورت إلى جغرافيا وصفية وكمية. يعتبر هذا التحول حلقة مهمة من حلقات تطور الفكر الجغرافي. (شكل رقم: 2)

شكل رقم (02): المراحل المتبعة في الجانب التطبيقي والتقني من الدراسة بتوظيف نظم المعلومات الجغرافية

---

[14] تم تقسيم مرحلة التجريب إلى قسمين:

الأول: كل بحث يتناول ظاهرة / ظواهر معينة في فترة زمنية محددة يمكن اعتباره بمثابة تجربة (القواق، 2020)

الثاني: عبارة عن اختبارات ميدانية متكررة ومحددة مسبقا، والتي تتم وفق قواعد (بروتوكول) مضبوطة.

[15] إن هذا المنهج العلمي المعاصر يمر بأربع مراحل رئيسية مرحلة البحث تعتمد على الملاحظة والتجربة مرحلة الكشف: تقوم على الفروض العلمية للكشف عن العلاقات بين الظواهر المختلفة مرحلة البرهان البرهنة على صحة هذه الفروض أو تلك بالطرق المتعارف عليها، ثم مرحلة الفرضية حينما يتأكد صدق إحدى الفرضيات تصبح قانوناً كلياً أو نظرية.

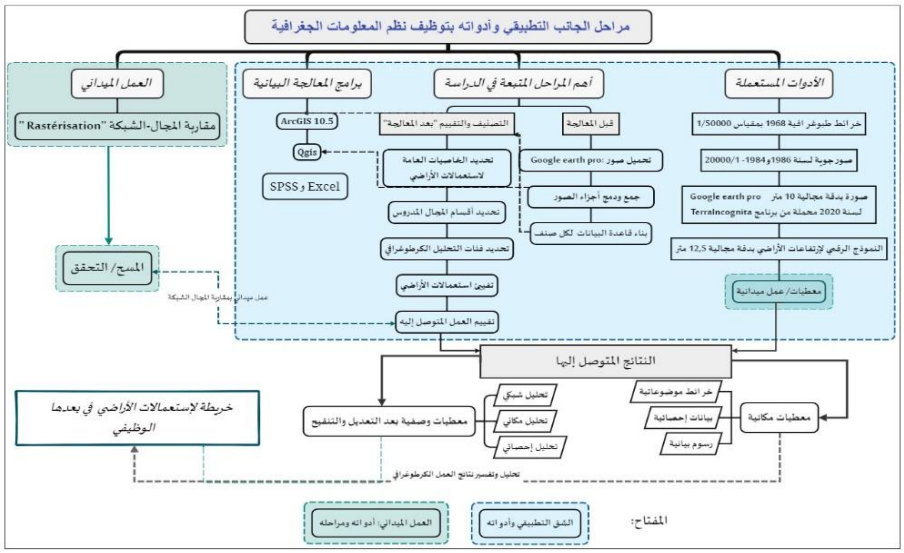

المصدر: تم وضع الخطاطة بناء على تصور للمراحل التي سلكناها في العمل الميداني والكرطوغرافي

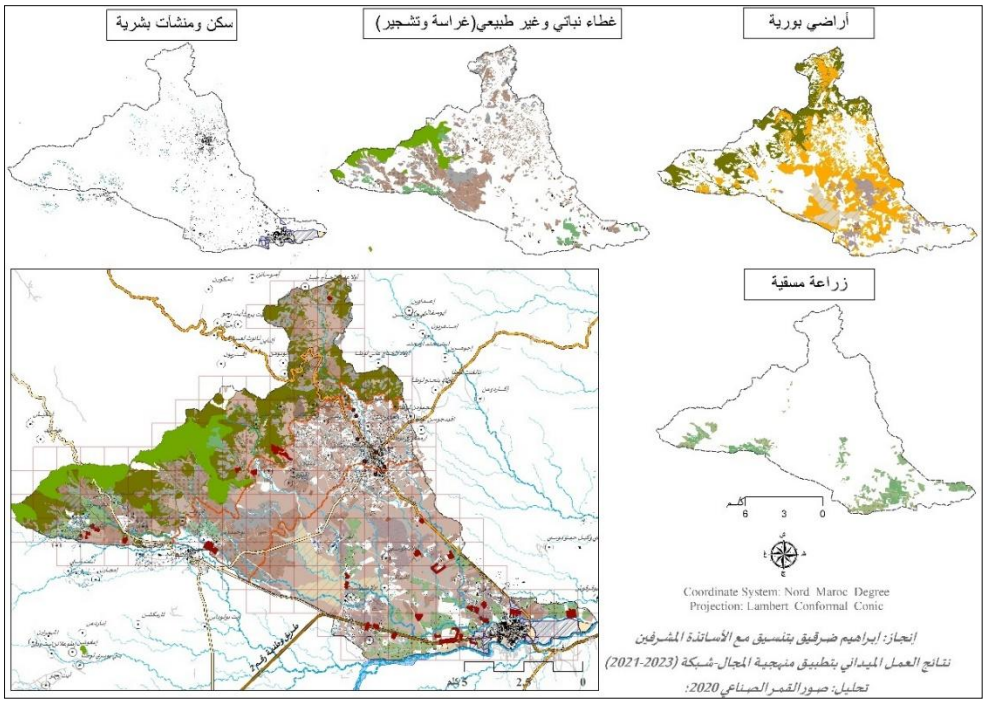

خريطة رقم (02): استعمالات الأراضي بجزء من جبال وأحواض الريف الشرقي "حوض وادي إزران" لسنة 2020

أهم نتائج البحث: مناقشة وتأويل

ساعدتنا المقاربات والمناهج المعتمدة في البحث على معرفة وفهم وضعية المجال داخل كل مرحلة، وتحليل طبيعة سيرورة تغير مكونات المشهد المحلي، ارتباطا بحضور الإنسان أو بغيابه، وتعد أهمية أشكال استعمال الأراضي أهم هذه المكونات.

إنتاج خريطة استعمالات الأراضي ببعد تفصيلي لسنة 2020

صنف حوض وادي إزران ضمن المجالات الجبلية كونها تغطي أكبر مساحة الحوض (63%)، هنا يبقى لهذا المجال بالخصوص وقع بالغ الأهمية في تحديد أنماط استعمالات الأراضي وحتى نوع استغلالها، كما أنه بطريقة أو بأخرى المسؤولة عن كل توزيع تعرفه بسوطه المجاورة ويبقى مصدرا رئيسا لجل الموارد التي تستفيد منه سافلته.

مكننا العمل الميداني بمراحله المختلفة وباعتماد مقاربة منهجية **المجال-الشبكة** Rastérisation (ضرقيق، وآخرون. 2023) من ضبط المعطيات الممثلة جيوماتيا بتوظيف نظم المعلومات الجغرافية ومطابقتها للواقع إلى حد كبير، خاصة بعد تصحيح الأخطاء الهندسيةCorrection géométrique للفئات ميدانيا، وإضافة فئات أخرى. على مستوى الحوض انتقلت المساحة الموطنة مما يقارب 9.000 هكتار بنسبة (60%) إلى 13.800 هكتار (92%) بعد المسح العام بفارق (32%)، ما سمح لنا بتقديم منتوج خرائطي بصيغ ومقاييس متعددة، بخمس تصنيفات رئيسية كبرى و24 فئة فرعية، الشيء الذي ساعدنا على معالجة إشكاليات جغرافية متعددة بمعطيات متنوعة. تعكس نتائج خريطة استعمالات الأراضي الشاملة في بعدها التفصيلي أهمية المنهجية المتبعة والتي تجسد أهم نتائج العمل الميداني.

تميزت بتعددها وتنوع خصوصيتها على مستوى الأجزاء المختلفة للمجال. فمنها أنماط تقليدية طبعت أشكال الاستعمال همت الأجزاء الجبلية، التي شكلت مركز الحياة في المنطقة لمدة زمنية طويلة، بعد أن عرفت تراجعا متواصلا في عدد سكانها، تمثل أساسا في توسع غير مسبوق للأراضي الراقدة أو المهجورة، وبعودة النباتات الطبيعية في المشاهد المحلية. وأخرى عصرية حديثة عند بسوطها المجاورة، والتي شهدت ارتفاعا غير مسبوق في أعداد سكانها، انتشار واسع للسكن الحديث، نمو متسارع للمراكز القروية والحضرية، توسع في المغروسات، تنوع كبير في الأنشطة غير الفلاحية. (خريطة رقم:02)

المصدر: نتائج العمل الميداني بتطبيق منهجية المجال-شبكة (2021- 2023) وتحليل صورة 2020 Google earth Pro

يتضح جليا الهيمنة القوية للأراضي البورية على التوالي، بمساحة 6.500 هكتار بنسبة تقارب 42 %، للأراضي المستغلة في الزراعة بدون مغروسات شجرية، و2.495 هكتار بنسبة 17 % للأراضي

المستغلة في الزراعة بمغروسات شجرية، و1.973 هكتار بنسبة 14 % مقسمة بين (زراعية مهجورة، بوار ومراعي). بينما يلاحظ وجود استعمالات ذات مساحة متوسطة لفئتي المغروسات الشجرية المسقية بمساحة تقارب 991 هكتار بنسبة 6 % و795 هكتار للغطاء الغابوي المشجر، أما باقي الفئات فمساحتها ضعيفة لا تتعدى في الغالب 300 هكتار. (مبيان رقم: 1)

إجمالا، على الرغم من أوجه التباين، **تبقى الاستعمالات التقليدية الفلاحية أكثر هيمنة داخل المجال المدروس**. وفي مقابل ذلك، تؤكد النتائج أهمية الأنشطة العصرية كذلك، ولاسيما نسبة حضور المنشآت البشرية التي تأتي في المرتبة الثالثة داخل هذه الاستعمالات بحوالي 525 هكتار.

مبيان رقم (01): توزيع مساحة أشكال استعمالات الأراضي في بعدها التفصيلي (بالهكتار)

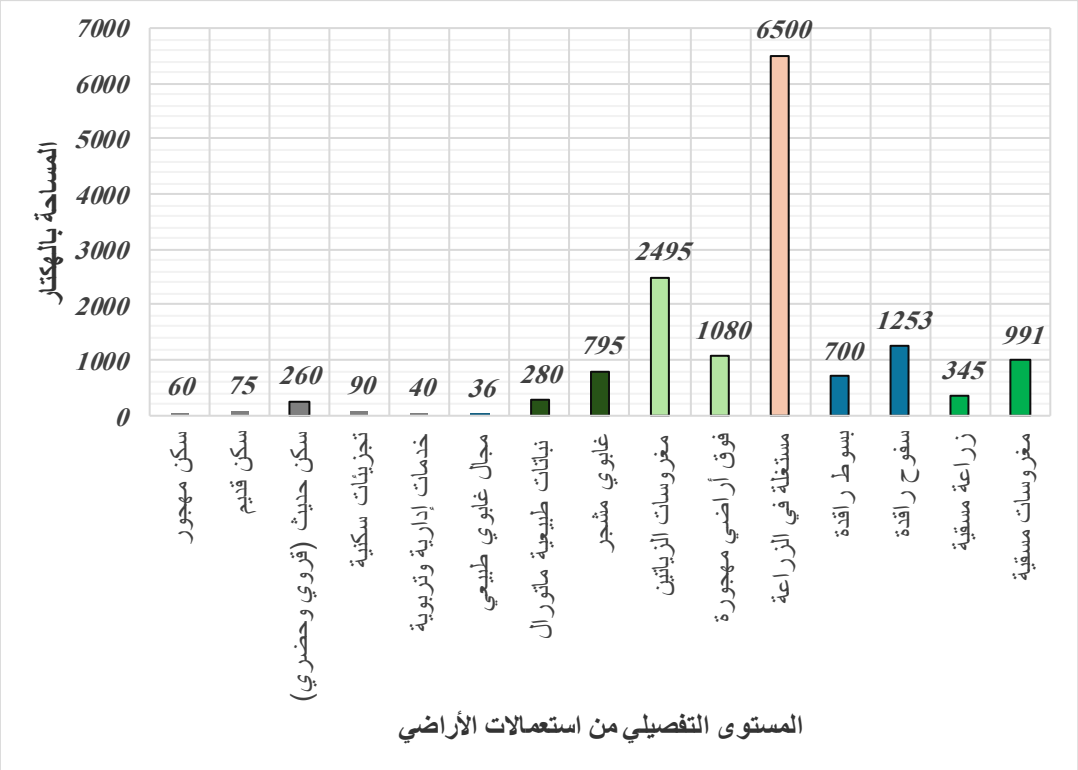

المصدر: نتائج العمل الكرطوغرافي والميداني 2020 - 2023

مكنتنا نتائج المقاربة المتبعة من تمثيل الفئات ضمن خرائط تعكس الجانب الدينامي للمجال حسب الفترات الزمنية المدروسة. ولعل حساب ومقارنة مساحاتها حسب هذه الفترات الزمنية يعد عملا ذو أهمية. إذ يفيدنا في معرفة حضورها داخل المجال على مر هذه المحطات التاريخية. كما يعكس طبيعة واتجاهها ووتيرة تغيرها من تاريخ لآخر.

عملية التشجير أهم مظاهر دينامية المجال وتحول المشهد الريفي بالحوض

تطور المساحات العامة لشجرة الزيتون وتغير المشهد الفلاحي

عرف المشهد الزراعي تحولات مهمة طبعت المجال بشكل واضح، وذلك بسبب المساحات التي أصبحت تشغلها الغراسة بكل أجزاءه، ولا يفسر هذا التوسع المجالي إلا بملاءمة الظروف المورفومناخية، إلى جانب الاهتمام المولى لها من طرف الفلاح بعد تراجع اهتمامهم بالرعي التقليدي، وبعد تحكمهم في الموارد المائية على اختلاف مصادرها واستغلالهم لها بواسطة المضخات التي مثلت عاملا حاسما في دينامية المجال (حفر الابار).

توسعت الغراسة على أراض طبوغرافيتها صعبة، وعلى أراض كانت رعوية تكسوها الغطاءات النباتية الشوكية، كلها عوامل لم تشكل عائق أمام توسع هذه المغروسات. تعتبر الغراسة إذن، من أهم مظاهر التحول المجالي، وفي مقدمتها شجرة الزيتون ذات أهمية بالغة بحوض كرت الأوسط على الخصوص والريف الشرقي على العموم. هذا نظرا لارتفاع مردوديتها، وتوسع المساحات التي تشغلها. (خريطة رقم: 03)

خريطة رقم (03): التوزيع الجغرافي وتطور بنية ومساحة مغروسات الزياتين بين 1986 و2020

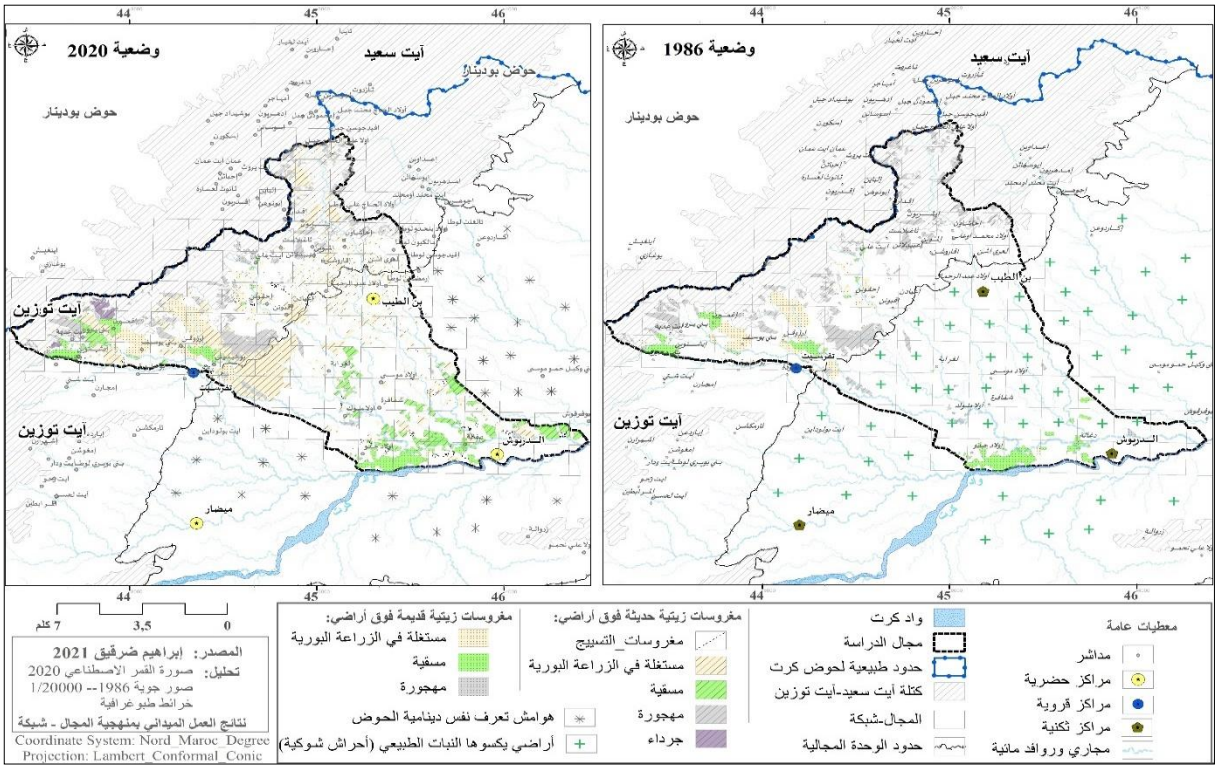

المصدر: نتائج العمل الميداني 2020 - 2023؛ تحليل مرئيات فضائية مختلفة l'images Aérospatiale

بعدما كانت الزراعة الشجرية وفي مقدمتها شجرة الزيتون لا تشكل من الاستعمال الفلاحي إلا نمطا ثانويا، أصبحت مساحاتها اليوم تشكل النمط الرئيسي ضمن أشكال استعمالات الأراضي المتنوعة داخل المجال. فمن مساحة تقارب 1.060هكتار لسنة 1958، منتشرة داخل مداشر محدودة من القسم الجبلي، (مثالا: إحياثن، إعتشوشن، أولاد محند أو علي، إحقونن، آيت علي، إرزوقن) بنسبة لا تتعدى 7 % (من مجموع النسبة الإجمالية للحوض). ارتفعت هذه المساحة لتشغل ما يناهز 1.700هكتار لسنة 1986 لتصل إلى حوالي 4.750 هكتار لسنة 2020 بكل أصنافها، همت كل أجزاء الحوض بنسبة 31 % بنسبة تزايد وصلت 31 % [16] (بوري ومسقي). (مبيان رقم: 2)

مبيان رقم (02): نسبة تزايد مساحة أشكال استعمالات الأراضي في بعدها التفصيلي (بالهكتار)

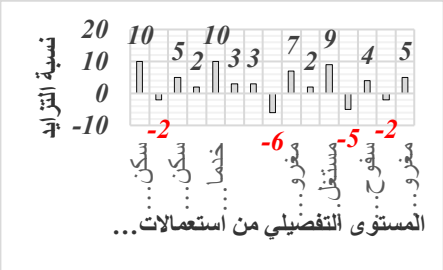

المصدر: نتائج العمل الكرطوغرافي والميداني 2020 – 2023

[16] تم حساب هذه التغيرات من خلال المعادلتين:

$$T_c = \left[\left(\frac{S_2}{S_1}\right)^{\frac{1}{\Delta t}} - 1\right] \times 100 \qquad T_g = \left[\left(\frac{S_2}{S_1}\right) - 1\right] \times 100$$

2.2.4. المساحات المغروسة تعرف تفاوتا بين أجزاء الحوض شكلا ونوعا

بناء على التصنيفات المعتمدة في المقاربة، فقد عرفت المساحات المغروسة تفاوتا بين مختلف أجزاء الحوض ويبقى هذا واضحا بين الأجزاء الجبلية التي عرفت دينامية مهمة، انتقلت به مغروسات الزيتون من 1.020 هكتار سنة 1986، إلى 2.000هكتار سنة 2020، أي بمعدل زيادة ناهز 980هكتار.

داخل هذه الوحدة تظهر المغروسات على شكلين أولهما عبارة عن مغروسات منتشرة على طول المجاري المائية للحوض، بعضها يستفيد من السقي، والثانية مغروسات شجرية بورية تتوسع بشكل كبير خاصة على السفوح الجنوبية الشرقية والجنوبية الغربية لكتلة آيت توزين. هنا للإشارة فالمساحة التي شغلها مشروع "الديرو" داخل الحدود التي رسمناها، تقارب 500هكتار، وأخرى حديثة ضمن مشروع "مخطط المغرب الأخضر"، بمساحة تناهز 300هكتار.

أما على مستوى البسوط، هي الآخرى عرفت نفس الوتيرة، حيث انتقلت به المساحة المغروسة من 317 هكتار سنة 1986، إلى 2.566هكتار سنة 2020، بمعدل زيادة 2.249هكتار، بعدما كانت به المغروسات شبه غائبة لسنة 1980. باستثناء مصب الحوض، قام المعمّر الإسباني بغراسة حوالي 130 هكتار، وكانت هذه المساحة هي الأولى من نوعها داخل البسوط، وأطلق عليها السكان المحليون اسم "غارسية". وقد تحولت هذه الأراضي اليوم من استعمالات فلاحية، إلى استعمالات تهم السكن ومشاريع الإعداد. (مبيان رقم :3)

مبيان رقم (03): تطور مساحة مغروسات الزياتين بين أجزاء الحوض ما بين 1986 و2020

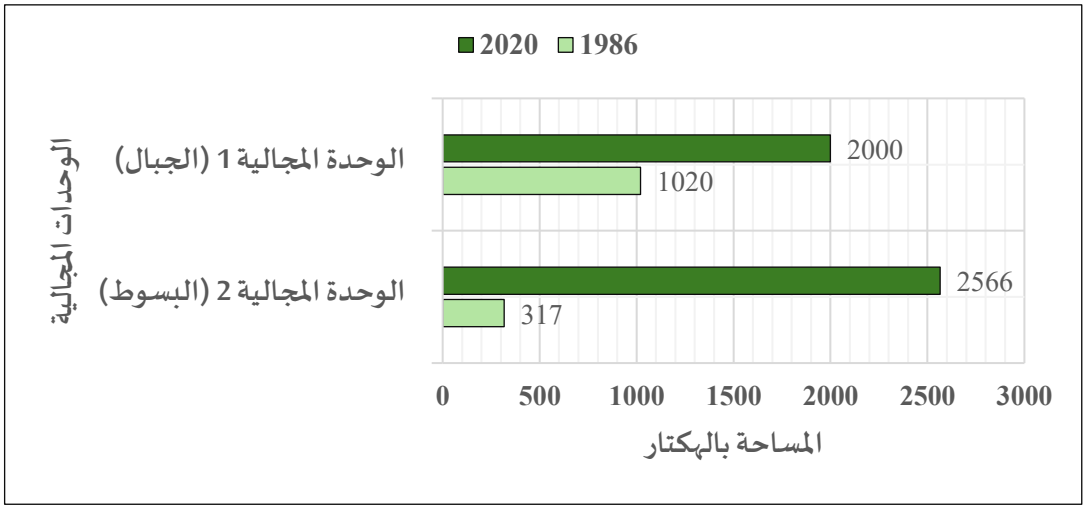

المصدر: نتائج العمل الكرطوغرافي والميداني 2020 - 2023

توسعها داخل الحوض يغلب عليه طابع التشتت وعدم الانتظام، فتارة تتوزع بها الأشجار بشكل منتظم، وتارة أخرى تكون بها عبارة عن سياج يحيط بالمشارة. عموما فعدد الأشجار الموجود داخل الاستغلالية لا يلعب إنتاجها دورا رئيسيا في تكوين دخل الاستغلالية. ومن بين التغيرات التي عرفها قطاع الغراسة هو أن الشجرة لم تعد مهملة، بل أصبحت على العكس من السنوات الماضية تلقى عناية ويرجى منها منفعة. هذا يعبر عن درجة من درجات التغيير في موقف الفلاحين فيما يخص الغراسة.

تعطي مغارس الزيتون دينامية مستمرة للمجال حيث أن كل جزء منه يعرف انتشارا لمغارس جديدة، وإن لم تكن كذلك فإن معظمها تبدوا فتية لم يمر على غرسها مدة طويلة من الزمن، وهي بارزة في المجال كأشجار صغيرة إلى متوسطة الحجم، وذات مردودية ضعيفة مقارنة بالأشجار القديمة التي يكون حجمها أكبر وجذعها أعرض ومردوديتها أكبر مقارنة بالصنف الأول، ففي الغالب مردودية الواحدة منها يصل إلى حوالي قنطار ونصف إلى قنطارين، عندما يكون الموسم الفلاحي جيدا، مقارنة بالأشجار الحديثة التي لا يتجاوز منتوجها 50 إلى 80 كيلوغرام للشجرة الواحدة خلال نفس الموسم[17].

مظاهر إعادة تشكل المجال المحلي

1-5. نمو الظاهرة الحضرية في حوض كرت الأوسط

إذا كانت الظاهرة الحضرية تفرض نفسها كواقع بكل الجهات وتغطي كل التراب الوطني، فإن حوض كرت لا يخرج عن هذا السياق حيث ظهرت وتطورت داخله مجموعة من المراكز تمت ترقية بعضها إلى مدن. بدت هذه الظاهرة على شكل تجمعات أو مراكز قروية صغيرة ثم تطورت بعد ذلك بشكل سريع خلال العقود الأخيرة لتصبح مكونا أساسيا في المشاهد المحلية.

لم يعد النمو الديمغرافي مرتبطا بالزيادة الطبيعية فحسب، بل يساهم فيه عامل الهجرة نحو المراكز الحضرية. يوضح (مبيان رقم: 04)، ملاحظات مرتبطة ببعض تفاصيل نمو السكان الحضريين والريفيين بالمراكز الحضرية الثلاث، والتي عرفت تطورا سكانيا مهما؛ ففي سنة 1994 هيمنة أعداد السكان القرويين لمركز الدريوش ب 19445 نسمة، في المقابل مدينة ميدار عكس

[17] مركز الاستشارة الفلاحية، ميدار 2021.

الدريوش 11131 نسمة للحضريين كأعلى معدل داخل هذه المجموعة. نمو بطيء وتراجع مستمر للساكنة القروية يقابله ارتفاع الساكنة الحضرية حققت به نسبة 4,19% سنة 2004.

بخصوص عدد سكان 2014 و2024 فقد همت نفوذ المجال الحضري (بلدية) بعد التقسيم الإداري الأخير (2009) يلاحظ التقارب الكبير في عدد السكان الحضريين بين هذه المراكز، لتسجل الجماعة الحضرية ميضار أكبر عدد ب 15020 نسمة لسنة 2014 و15661 للجماعة الحضرية الدريوش. انتقلت الساكنة الحضرية بمركز بن الطيب في ظرف لا يتعدى 20 سنة من 6246 إلى 14257 بفارق 8000 نسمة، وقد كان للعوامل السابقة الذكر خاصة الموقع الطرقي وظهور أنشط اقتصادية وتجارية ومرافق عمومية، آثارا مهمة ساعدت على ارتفاع وتوجيه هذه الحركات نحو هذه المراكز الناشئة. (مبيان رقم: 4)

مبيان رقم (04): التطور السكاني للمراكز الحضرية لإقليم الدريوش

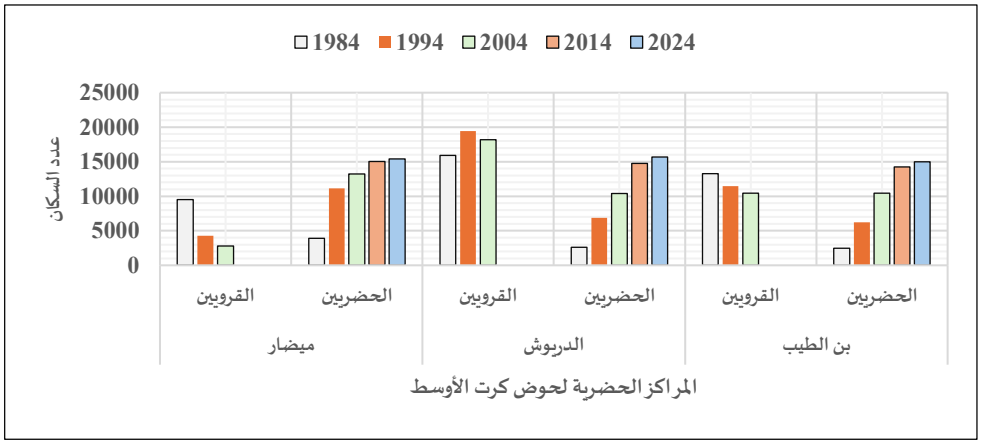

المصدر: الإحصاء العام للسكان والسكنى 1994-2004-2014

فعلى سبيل المثال فقد شكل مركز بن الطيب مركز حضري ناشئ يفرض نفسه ضمن نسق التمدن الحديث، ونقصد هنا بالمركز الناشئ كل تجمع سكاني يفوق عدد قاطنيه 500 نسمة، ويعرف وتيرة تزايد ديموغرافي وتوسع لمجاله المبني، وتطورا لممارسة الأنشطة غير الفلاحية، وانتشار العديد من الأنشطة الاقتصادية الإنتاجية، إضافة إلى تواجد بعض الخدمات الإدارية والاجتماعية، والتجهيزات الأساسية من الماء الشروب والكهرباء وشبكة التطهير والطرق، هذا ما يزيد من أهمية استقطابه للسكان.

2-5. نتائج الديناميات المجالية والبيئية على المجال المحلي

ارتباطا بمجمل التطورات فقد انعكست مختلف الديناميات المجالية والبيئية بتفاوت كبير بين وحدات الحوض، ويمكن التمييز بين نوعين من الأوساط تبعا لمظاهر الديناميات التي تميزها (تناقص- تزايد):

- أوساط تعيش أزمة حقيقية ومتعددة المظاهر وهي مجالات تقليدية تفقد أهميتها بشكل تدريجي، بعدما كانت **تشكل الحيز الحي** على مستوى هذا المجال (كثافة سكانية مهمة، أراضي فلاحية، غطاءات نباتية متنوعة...)، لتفقد أهميتها بشكل تدريجي ومتواصل، ومن بين أهم المؤشرات الرئيسية التي تدل على هذا التراجع نذكر:

- هجر الساكنة وتراجع مستمر في أعدادها: أدى هذا الوضع إلى تطور أنماط هذه الأوساط من حالة أصلية إلى حالة أخرى جديدة، تطور السكن التقليدي إلى سكن مهجور كمؤشر ميداني يعكس الظاهرة؛
- تراجع مساحة الأراضي البورية خاصة المستغلة في الزراعة، وتوسع غير مسبوق للأراضي الراقدة، ارتفاع مساحة الأراضي الزراعية المهجورة بشكل نهائي كمؤشر يعكس الظاهرة؛
- أراضي وسفوح جرداء تعرف تراجعا كبيرا في الحمولة الرعوية (عدد رؤوس الأغنام داخل مساحة محددة)؛
- غطاء نباتي متدهور يظهر على شكل ماطورال مخلخل داخل السفوح....

فبناء على نتائج الديناميات المجالية/ البيئية ومختلف المؤشرات الميدانية التي أبانت لنا وبشكل واضح، كيف أن هذه الأوساط تحولت إلى مجالات أزمة بعدما كانت تشكل الحيز الحي بالحوض، والتي تم تحديدها داخل الكتل الجبلية (الوحدة المجالية الأولى).

- أوساط يعاد تملكها من جديد وتعرف تغيرا في وظائفها الأصلية، تعرف دينامية كبيرة جدا على جميع مستوياتها وتتميز بحيوية كبيرة بمؤشرات ميدانية تتمثل في:

- ارتفاع متواصل في عدد السكان الذين يتوافدون على هذه المجالات، وظهور تجمعات سكانية حديثة؛
- تعرف توسعا كبيرا للسكن والمنشآت البشرية المتنوعة، خاصة السكن الحديث بصنفيه الريف والحضري؛

- ظاهرة حضرية حديثة بارتقاء ونمو متسارع للمراكز القروية والحضرية، عرفت تطورا وتوسعا كبيرا ولا يزال خاصة بقطاع التعمير؛
- أراضي زراعية سقوية حديثة، تستعمل فيها التقنيات الحديثة والمتطورة؛
- توسع مهم لملكيات خاصة، على حساب أراضي بورية تغرس فيها شجرة الزيتون بالأساس، والتي أصبحت تشغل الحيز الأكبر بهذه المجالات (بورية ومسقية)؛
- تنوع كبير في الأنشطة غير الفلاحية كما يوضح عدد المحلات التجارية والحرفية والخدماتية التي ترافق التمدن وتوسع السكن القروي؛

من خلال هذه العناصر تبين لنا كيف أن هذه المجالات يعاد تملكها، وتغير وظائفها الأصلية إلى أخرى حديثة. بناء على النتائج، تم تحدد هذه المجالات إجمالا داخل البسوط الممتدة عند أقدام الجبال على طول مجال الدير بن الطيب ميضار، باتجاه بسوط حوض كرت الأوسط وتتميز عكس الأولى بحركية كبيرة ومتنوعة المظاهر تحدث تحولات واسعة داخل مكونات مشاهدها المحلية. أعطت مجمل هذه التطورات قوتين مجاليتين متناقضتين، فالجبال التي شكلت مركز الحياة في المنطقة لمدة زمنية طويلة، فقدت مكانتها لصالح المناطق المنخفضة المجاورة التي كانت مهجورة من طرف السكان الذين استعملوها بشكل متقطع في الأنشطة الزراعية، وبطريقة مستمرة كمراعي.

وتعود المراحل الأولى في هذا التغيير إلى فترة الحماية التي شهدت ظهور مجموعة من المركز حول الثكنات العسكرية. وستلعب الهجرة الدولية بعد ذلك دورا حاسما في التطور نحو الوضع الحالي. ويجب التأكيد على أن مجموعة من العوامل الأخرى ساعدت بشكل كبير على هذا المنحى في تطور المجال، تتعلق بتوفر المنخفضات على تجهيزات أساسية مختلفة كالطرق والمصالح الإدارية في مرحلة أولى، والتعليم والصحة في مرحلة ثانية.

خاتمة:

أظهرت مراحل ونتائج البحث، على مستوى المقاربات المعتمدة، أهمية استثمار أدوات الجيوماتية في تشخيص وفهم المجال والتعبير عن نتائج لا يعبر عنها العمل الميداني التقليدي، خاصة العمل الكرطوغرافي بمقاييسه المختلفة. كما تبين إلى حد كبير جدا نجاعة منهجية "المجال الشبكة" في عملية المسح الميداني والتأكد من المعلومات المنتجة تقنيا مع تقليص هامش الخطأ فيها.

أهمية العمل الميداني خاصة على مستوى الإنتاج الخرائطي، ومن مخرجاتها أن العلاقة، علاقة تكامل في إنتاج المعلومة الرصينة وضيق هامش الخطأ في دقة معلومة اليقين.

بناء على نتائج البحث تبين أن الديناميات والتطورات التي عرفها الريف الشرقي، عملت على تغيير المشاهد الجغرافية المحلية، شكلت فيه الأقسام الجبلية المحرك الأساس في توجيه هذه التطورات نتيجة النزوح القروي والفلاحي الكبير الذي عرفه لصالح أراضيه، والتي أفرزت تنظيمات سوسيو-مجالية/ بيئية تجسدت في تغيير بنية المشاهد الزراعية أساسا. والتي أدت في نهاية المطاف إلى تشكيل بنية المجال المحلي وإعادة تنظيمه.

المصادر والمراجع:

باللغة العربية:

مقالات، أعداد ومساهمات في موسوعات ومجلات متنوعة

ضرقيق، إبراهيم والعباسي، حسن ومشوري، نادية. (2020). (تنسيق عبد اللطيف جمال وأحمد لكرد) "حركات السكان وإعادة تشكيل المجال بالريف الشرقي: "حالة الجزء الغربي من حوض كرت الأوسط (المغرب)" أعمال الندوة الوطنية: المجال والديناميات السكانية، يومي 04 و05 مارس 2022 منشورات مختبر: إعادة تشكيل المجال والتنمية المستدامة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الجديدة، ص ص. 341-356

ضرقيق، إبراهيم ومشوري، نادية ومحمد، صابر (2023). "الجوماتية والميدان: أية علاقة في إنتاج ودقة المعلومات؟ نموذج وضع خريطة استعمالات الأراضي بجزء من جبال وأحواض الريف الشرقي: (المغرب)" أعمال الندوة الوطنية: ديناميات المجال المغربي: السيرورات ورهانات التنمية: " مقاربات جغرافية"، يومي 25 و26 ماي 2023 منشورات مختبر: إعادة تشكيل المجال والتنمية المستدامة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الجديدة، ص ص. 321-3

ضرقيق، إبراهيم ومشوري، نادية ومحمد، صابر (2024). " دينامية استعمالات التربة بالريف الشرقي: أي وقع على التغطية النباتية؟ حالة حوض كرت الأوسط (المغرب) " أعمال الندوة الدولية: المخاطر الهيدرومناخية والجيومرفولوجية: تصنيف، خرائطية وتدبير، أيام 17 و18 و19 ماي 2024 منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية. جامعة محمد الأول 211/2024. ص ص. 184-189

الأطروحات والرسائل الجامعية

القواق، حميد. (2020). دور الجيوماتية في تحليل الظواهر الجغرافية والمساعدة على اتخاذ القرار وتدبير الثروات الترابية داخل المجالات السريعة التمدن :حالة استعمال الأراضي بالظهير المباشر للجديدة الكبرى. أطروحة لنيل الدكتوراه في الجغرافية، جامعة شعيب الدكالي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالجديدة. 539 ص.

شاكر، الميلود. (1997). كتلة بوخوالي وسهل العيون (المغرب الشرقي) الدينامية الحالية للسطح بين الهشاشة الطبيعية والضغط البشري، أي آفاق وأي استراتيجيات، أطروحة لنيل دكتوراه الدولة في الجغرافيا، كلية الأداب والعلوم الإنسانية الرباط، 287 ص.

مخشان، محمد. (2021). دينامية السفوح وخطورة تدهور الأراضي بالريف الشمالي الشرقي حالة حوض كرت الأسفل، أطروحة لنيل الدكتوراه في الجغرافيا، كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط، 352ص.

باللغات الأجنبية

Articles, numéros et contributions à diverses encyclopédies et revues

- Chaker, M., El Abassi, H., Laouina, A., (1996). *Montagnes piémonts et plaines. Investir dans les techniques de CES au Maroc Oriental in Techniques traditionnelles de conservation de l'eau et des sols en Afrique.* Collection Economie et Développement. CTA, p.74-86.

- Denis, G. (1997). *La prise en compte des dynamiques spatiales pour modéliser la mise en valeur des espaces ruraux* , Journals Espace, Société, Territoire, [En ligne], Disponible sur: https://doi.org/10.4000/cybergeo.5431

- Donnay, J. (1987). *Saisie de données géographiques et cartographie assistée par ordinateur.* Bulletin de la Société géographique de Liège, 22-23, pp. 11-38 .https://popups.uliege.be/0770-7576/index.php?id=5400

- El Abbassi, H.(2000). *Le savoir-faire des populations locales et gestion des eaux et des sols dans une moyenne montagne méditerranéenne semi-aride, Rif oriental (Maroc).* Département de Géographie, université d'El Jadida,

- Maroc. Bulletin du réseau Érosion 20, Influence de l'homme sur l'érosion, vol. 2: bassins versants, élevage, milieux urbain et rural, IRD.

- El Abbassi, H.(1998). *Le développement de l'arboriculture dans le Rif oriental marocain: une chance pour la stabilité du milieu ?,* pp. 380-388, Bulletin du RESEAU EROSION n° 18 .

- El Abbassi, H.(1997). *Quelques aspects des transformations récentes dans les campagnes du Rif oriental marocain : mécanismes, formes et incidences sur le milieu*. In: Annales de Géographie, t. 106, n°597.

- Gauche, E. (2005). *Recomposition et renouveau de campagnes menacées : le cas des Beni Saïd (Rif oriental, Maroc),* Annales de géographie 2005/6 (n° 646).

- Gauche, E. (2010). *Le désenclavement des territoires ruraux marginalisés du Nord du Maroc : les conséquences de la nouvelle route côtière méditerranéenne dans le Rif oriental (territoire des Beni Saïd),*Norois 2010/1 (n° 214).

- Langalois, E. (2008). *SIG et terrain : antinomie ou complémentarité dans le développement d'une Recherche Action en géomatique ? à travers l'espace de la méthode : les dimensions du terrain en géographie,* Arras, France.

- Leroi, E., Favre, J.-L., & Rezig, S., (2001). *Cartographie de l'aléa mouvements de terrain par analyse statistique sous SIG.* Revue Française de Géotechnique,95-96,155-163 .
https://doi.org/10.1051/geotech/2001095155

- Makhchane, M., Darkik, I., Watfae, A., (2024). *Estimation du risque d'érosion du sol dans le bas d'oued du kert (rif oriental, maroc), en intégrant le modèle gavrilovic "epm" dans un sig. 53-66.* https://doi.org/10.34874/IMIST.PRSM/ted-v2i2.41499

- Maurer, G. (1991*). Les dynamiques agraires dans les montagnes rifaines et telliennes au maghreb (agrarian dynamics in rifain and tellien mountains in maghreb)* .Bull. Assoc. Gegr. Franc., N° 4, Paris.

- MAURER, G. (1990*). Facteurs physiques et aménagement dans la montagne rifaine.* Revue de la Faculté des Lettres de Tétouan. N°4. P - 93-102.

- Sabir, M., Roose, E., Machouri, N., Nouri, A., (2003). *Organisation spatiale et gestion paysanne des ressources naturelles dans deux terroirs du Rif occidental, Maroc,* Actes du colloque international, 25-27 février, Montpellier, France.

- Claval, P. (1997). *L'évolution de quelques concepts de base de la géographie. Espace, milieu, région, paysage (1800-1990).* Les discours de la géographie (Staszak). Paris : Le Harmattan, pp. 89-118.

Articles, numbers and contributions to various journals

- Gibson, C. C., Ostrom, E., et Ahn, T. K. (2000). The concept of scale and the human dimensions of global change: A survey. Ecological Economics, 32(2), 217–239. http://doi.org/10.1016/S0921-8009(99)00092-0

- Lambin, E. F., Geist, H. J., et Rindfuss, R. R. (2006). *Introduction : Local Processes with Global Impacts. Land-Use and Land-Cover Change, Local Processes and Global Impact, (Turner), 2-8.* http://doi.org/10.1007/3-540-32202-7_1

- Lambert, M. J., Waldner, F., et Defourny, P. (2016). *Cropland mapping over Sahelian and Sudanian agrosystems: A Knowledge-based approach using PROBA-V time series at 100-m. Remote Sensing, 8(3).* http://doi.org/10.3390/rs8030232

Thèse et mémoire

- El Abbassi, H. (1996). Les compagnes du rif oriental marocain : géomorphologie, Occupation humaine et érosion des sols. Thèse de doctorat d'Etat ès Lettres de L'Université Chouaib Doukkali. 393 Pages

- Gauche, E. (2002). *Les campagnes des Beni Saïd (Rif oriental, Maroc): l'exemple de la crise d'une montagne et de son avant-pays,* Thèse de doctorat, Université Paris X, 2 T.

- Kedowide Mevo, G. (2011). *SIG et analyse multicritère pour l'aide à la décision en agriculture urbaine dans les pays en développement, cas de Ouagadougou au Burkina Faso.* 282 Pages. Bibliothèque numérique Paris 8, 'En ligne 'disponible sur : https:/

الهوية الجماعية من منظور العلاج والمرض، دراسة انثروبولوجية

Collective identity from the perspective of treatment and illness, anthropological study

الباحث: حميد اليوسفي
Hamid_elyoussfi@um5.ac.ma
الأستاذ: جمال فزة
Fezzajamal2@hotmail.com
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
جامعة محمد الخامس بالرباط
المملكة المغربية

الملخص:

تروم هذه الورقة التطرق لمفهوم الهوية الجماعية من منظور العلاج والمرض، وذلك عن طريق عرض دراستين اثنتين همتا كل من مجتمع "الواجانا" والمجتمع المغربي في علاقتيهما بكل من العلاجين الحيوي والشعبي، وقد كشفت الدراستان . رغم اختلاف ميدانهما . عن التمييز الذي يضعه الفاعلون بين الطب الشعبي والعلاج الحيوي، وعن المعنى الذي يضفونه على المرض وسبل العلاج منه، وذلك بخلفية ثقافية تكشف عن هوية جماعية مخصوصة.

الكلمات المفاتيح: الهوية الجماعية، المرض والعلاج، أنُثربولوجيا المرض.

Abstract:

This paper aims to explore the concept of collective identity through the lens of healing and illness. It does so by presenting two studies, one on the Wajana community and another on Moroccan society, examining their relationships with both traditional and biomedicine. Despite the different contexts of the studies, both reveal a distinction made by the actors between traditional medicine and biomedicine, and the meaning they attribute to illness and its treatment, all against a cultural backdrop that reveals a specific collective identity.

Keywords: Collective identity, illness and treatment, anthropology of illness.

مقدمة:

يعرف المجتمع المغربي وجود مسارات علاجية عدة تتوزع بين التقليدي والبيوطبي، رغم تناقضها الظاهر، فإنها تشكل نسقا إجماليا متناغما في البحث عن العلاج بالنسبة للفاعلين الاجتماعيين، ويميز المغاربة بين نسقين كبيرين من طرق العلاج وهما: "الطبيب" أو "طب النصارى" من جهة، و"دوا العرب" أو "طب المسلمين" من جهة ثانية. ويُعنى بالفئة الأولى، كل الأنظمة التي تضم الطب البيولوجي والمؤسسات الصحية المقننة العمومية والخاصة، بينما تشير الفئة الثانية إلى جميع العلاجات المقدمة في إطار ما يسمى بالطب التقليدي، والتي تعتمد الأعشاب الطبية أو الأحجار أو الطقوس العلاجية المختلفة... وقد تكون عن طريق مهارات وقدرات علاجية خاصة تتعلق بمعارف متوارثة أو مواهب خاصة يتمتع بها المعالج بحيث تسمح له بعلاج أمراض وعلل معينة (اليوسفي، 2019).

هذه الثنائية في التعاطي مع المرض، تجد مغزاها في مسببات المرض لا في أعراضه، إذ يمكن أن يُعزى إلى أسباب "طبيعية" أو كما يشير إليه المغاربة بـ "من عند الله"، أو إلى أسباب أخرى ترجع إلى تدخل قوى فوق طبيعية تؤثر سلبا على صحة الانسان النفسية والجسدية (Radi، 1996)، مثل هذه الثنائية وقف عليها الباحث/الطبيب جان شابوي (Jean Chapuis) أثناء عمله بمنطقة غيان (Guyane) الفرنسية، فقد لاحظ تمييز الأهالي بين أمراض البيض وأمراض الهنود، وبين علاجات البيض وأخرى للهنود، مما دفعه للتطرق، عبر منظور المرض والعلاج، لتصنيفات هوية – آخر (Identité /Altérité) التي تبدو وجيهة لهم (1996,Chapuis).

من جهتها وقفت الباحثة السعدية الراضي على الدور الذي يلعبه التعدد العلاجي في إضفاء المعنى على المرض والصحة، ومنح تفسيرات اجتماعية لأسباب المرض وأصوله، وذلك عن طريق تتبع المسار العلاجي للمرضى بمدينة خنيفرة.

ويكشف لنا هذا التمييز بين النسقين وجود تمثلات خاصة حول المرض ومسبباته، والمعنى الذي يُعطَى للمرض والصحة من طرف المريض والمحيطين به ومن طرف المجتمع ككل، وهو ما قد يعكس تصورا عاما ورؤية مخصوصة للعالم (Augé,1986)، تتجلى في التمثلات والممارسات والاختيارات التي يتخذها الفاعلون الاجتماعيون.

وقد استعمل الباحثان كلاهما مجموعة من المصطلحات والمفاهيم والأطر النظرية في بحثيهما، والتي سنتطرق لها في الإطار النظري قبل أن نستعرض أهم الخلاصات التي خلصا إليها.

1. اعتبارات نظرية

من أجل دراسة هذا الموضوع وجب تأطيره نظريا من خلال إدراجه في التخصصات العلمية الملائمة، إذ يتعلق الأمر هنا بالممارسات العلاجية التقليدية وبتأثير الثقافة على الصحة والمرض، وهو ما تهتم بدراسته انثروبولوجيا المرض، كما يدور الموضوع حول الجسد المريض الذي يبحث عن العلاج متأثرا بعوامل ثقافية، وهو ما تهتم به كذلك، في شق منها، انثربولوجيا الجسد.

1-1. انتربولوجيا المرض

يقصد بكل من أنثروبولوجيا المرض والانثروبولوجيا الطبية الأعمال التي تبحث في دور العوامل الثقافية في التأثير في مسألتي الصحة والمرض، كما تهتم بتمثلات المرض ومسارات المرضى ودور المعالجين والممارسات العلاجية من جميع الانواع (بما فيها طقوس العلاج التقليدية)، مع الاخذ بعين الاعتبار النظام السوسيوثقافي الذي تندرج فيه. وقد كانت هناك ارهاصات اثنوغرافية منذ العشرينيات سمحت ببروز الانثروبولوجيا الطبية، لتعرف أوجها منذ الخمسينيات، مساهمة في دراسة المشكلات الطبية، بينما عرفت سنوات ما بين 1962 و1972 تطورا ملحوظا في هذا التخصص العلمي.

وقد اعتُبرت تسمية الانثروبولوجيا الطبية غامضة لا تُفصح جليا إلى أي الفروع تنتمي بالضبط، هل إلى الطب أم الانثروبولوجيا. ولتبديد هذا الغموض اقترح مارك أوجي (Marc Augé) صيغة أنثروبولوجيا المرض، فما الفرق بينها وبين الانثروبولوجيا الطبية فيما يخص المنطلقات النظرية والأهداف.

ترتكز الانثروبولوجيا الطبية على مسلمة مفادها أن المرض (واقعة كونية) يتم تدبيرها ومعالجتها بناء على أنماط مختلفة حسب كل مجتمع، وأن هذه الأنماط مرتبطة بأنساق من المعتقدات والتمثلات المحددة حسب الثقافة التي نشأت فيها.

وقد اتصفت أهم الأعمال التي تمت في ميدان الانثروبولوجيا الطبية بتوجهين كبيرين:

التوجه الوظيفي والتوجه المعرفي، فبينما يكون الهدف من الأعمال ذات التوجه الوظيفي هو البحث عن الوظيفة الاجتماعية للتمثلات حول المرض في المجتمعات المدروسة، بحيث تلعب

وظيفة الضبط الاجتماعي في المجتمعات التي تفتقد إلى المؤسسات السياسية والقضائية المتخصصة من أجل تسوية الخلافات وفرض احترام معايير المجتمع.

في حين تركز الأعمال البحثية ذات التوجه المعرفي على الطرق التي تدرك وتبنى بها مختلف الثقافات تجربة المرض، بحيث يتم التفكير في موضوع المرض والنظام الطبي في مجتمع معين في علاقته بالكل السوسيوثقافي.

بعد ذلك عرفت البحوث في ميدان الانثروبولوجيا الطبية سلوكين اثنين:

- فحص المشاكل المرتبطة بالصحة والمرض بمنظور أنتربولوجي من أجل الإسهام في إغناء البحث الطبي.
- التفكير في المرض كميدان للانثروبولوجيا الاجتماعية، والانطلاق من مسلمة مفادها أن الممارسات المرتبطة بالمرض لا يمكن عزلها عن النسق الرمزي، الأمر الذي دفع مارك أوجي إلى نحث اسم الانثروبولوجيا المرض مفترضا وجود حقل معرفي بحدود محددة وبموضوع معين، تدور حوله إشكاليات محددة، بحيث لا تهدف انثروبولوجيا المرض إلى إجراء بحوث بأغراض بيوطبية فقط، بل تروم فتح بوابة أخرى تسمح بفهم الإنسان.

غير أن هذه الدعوة لم تلق الصدى الكافي خصوصا في الولايات المتحدة رغم أن هناك بحوثا في المنحى الذي أعطاه مارك أوجي لميدان انثروبولوجيا المرض، باعتبار أن المرض يجب أن يفكر فيه كآلية تسمح بالولوج لفهم المجتمعات على غرار ما هو سياسي وما هو ديني على سبيل المثال.

2-1. انثروبولوجيا الجسد

عرف موضوع الجسد اهتماما متزايدا من طرف الانثربولوجيين منذ سنوات التسعينيات، بعدما كان مهملا لفترة طويلة، إذ أصبح تيمة مركزية تتقاطع فيها عدة تخصصات كالبيولوجيا، الطب، السوسيولوجيا، التاريخ، الفلسفة والانثروبولوجيا.

وقد اهتم الباحثون بالتحولات التي يعرفها الجسد، سواء أكانت هذه التحولات مفروضة أو مطلوبة، واهتموا كذلك بالممارسات، المتفاوتة الخطورة، التي يتعرض لها الجسد كتعبير عن قيم المجتمع أو نفي لها، هذا الجسد الذي يعد كاشفا للتوترات التي يعرفها المجتمع.

ومن أهم الباحثين المعاصرين في مجال الانثروبولوجيا الجسد، نجد (دافيد لوبرتون) David Lebreton الذي استطاع إبراز أهمية دراسة الجسد بحيث يكشف لنا عن نمطين من

المجتمعات، المجتمع الفرداني والمجتمع الجماعي، ويقصد بالمجتمع الفرداني حيث يعيش الفرد بمعزل عن الآخرين في اختياراته من حيث اللباس، والتفكير والتحكم في جسده، وذلك في ظل عالم يتسم بالتعددية وعدم التجانس. بينما يقصد بالمجتمع الجماعي، المجتمع الذي يكون فيه الفرد محكوما بقيم الجماعة ولا يملك التصرف في جسده بحرية، بل يكون ملكا للجماعة التي تقرر لباسه وطريقة التعامل مع جسده.

في هذين النمطين، ينظر إلى المرض بشكلين مختلفين، بحيث يتأسس النظر إلى الجسد في المجتمع الحديث على أنه "أنا آخر" (Alter Ego) أكثر من كونه جسدا وروحا، إذ أصبحنا أمام نظرة علمانية للجسد، أزاحت النظرة الدينية المرتكزة على ثنائية جسد/روح، وذلك نتيجة الطرح الديكارتي الذي يميز بين الشخص وجسده، فعندما نقوم بعلاجات لفائدة مريض في المستشفى، ننظر إليه على شكل آلة بها أعطال وجب إصلاحها، أما في المجتمعات الجماعية، فهناك منها ما ينفي وجود الجسد كحال مجتمع "الكناك"[18] حيث يشعر الفرد بكونه امتدادا للطبيعة النباتية، ولا وجود له كجسد مستقل.

بينما في مجتمعات أخرى نجد الجسد يرزح تحت الوصاية التامة للمجتمع، بحيث تحكمه قيم وأطر ثقافية محددة في كيفية المشي، اللباس، الأكل، التداوي، وفي طقوس العبور (ختان، ثقب الأذن، وشم، طريقة حلق الشعر...)، يعتبر الجسد في هذه المجتمعات في وضعية اتصال بالكون يشتغل تحت وصايته، وينظر إلى حالة المرض بكونها حالة اختلال في ارتباط الجسد بمكونات العالم وعناصره، لعلاج هذا الاختلال يتم اللجوء إلى الطب الشعبي عن طريق البعد الروحي الإحيائي، وبينما يتم التشكيك في الطب العلمي الإجرائي (Lebreton,2013).

من خلال هذين النمطين من المجتمعات نكون إزاء رؤيتين مختلفتين للجسد:

- رؤية حديثة علمانية، ميكانيكية، نفعية وثنائية، يعتبر الجسد فيها مشكلا من الأنا والآخر؛
- رؤية أخرى، شعبية توجد بين النفس والجسد، وتعطي للجسد قيمته الرمزية والأخلاقية، لكنها مع ذلك لا تخلو من سمات ثنائية ميكانيكية ونفعية.

[18] كناك (Kanak) تعني "رَجُل"، ويقصد بشعب "الكناك"؛ السكان الأصليون الميلانيزيون في كاليدونيا الجديدة التي تقع في جنوب غرب المحيط الهادي، والتي تعد إحدى أقاليم ما وراء البحار التابعة لفرنسا.

2. تحديدات إجرائية

استدعى كل من الباحثين مجموعة من المفاهيم والمصطلحات في بحثيهما، تستوجب تعريفا وتحديدا اجرائيا لها، وسنتطرق في هذه العجالة لأهمها.

2-1 المرض

يعود اسم مرض من حيث معناه اللغوي إلى المصدر مَرِضَ ويُجمع على أمراض، ويعرف على أنه كل ما خرج بالكائن عن حد الصحة والاعتدال من علة أو تقصير، أما في معناه الاصطلاحي فيدل على كل تغير أو انحراف للحالة الفيزيولوجية في أحد أو بعض أجزاء الجسم والذي يتمظهر بأعراض وإشارات مميزة، حيث يكون فيه التطور قابلا للتوقع بشكل أقل أو أكثر.

بينما فرّق (جان فيليب بيرونJean-Philippe Pierron) بين كلمتي Malade وPatient في اللغة الفرنسية، فالأولى تدل على أن الفرد يشعر بأعراض مرضية تصيب جهازه البيولوجي لكنه لا يطلب العلاج من الطبيب، بينما تطلق الثانية على الفرد المريض الذي يقبل الخضوع للعلاج على يد الطبيب(Pierron, 2005) .

أما على المستوى الإجرائي فيمكن التفريق بين ثلاثة مستويات تعريفية للمرض (بومدين، 2003) وذلك بالعودة إلى اللغة الإنجليزية حيث توجد ثلاثة كلمات تشير إلى المرض وهي العلة Ilness وتستعمل من طرف الفرد للتعبير عن حالة داخلية يعترف هو ذاته أنها تختلف عن الحالة "العادية"، ثم كلمة داء Desease وهو المفهوم النوزولوجي الذي يعبر عن حالة اللاإرتياح التي يستعملها الأخصائيون في المجال الطبي. هذا المصطلح العلمي يأخذ بعين الاعتبار المعارف البيو-طبية للاختلالات الوظيفية البنيوية والفيزيولوجية لأعضاء جسم الإنسان، فكلمة سقم Sickness التي تعبر عن الواقع السوسيو-ثقافي للمرض، كالعجز عن الاشتغال والعمل في المجتمع. (Pomey, 2000)

وتُرجع الشعوب التي تنتشر بها الأساليب الشعبية في العلاج، أسباب المرض إلى عدة عوامل، لكننا سنركز هنا على العوامل فوق الطبيعية، حيث يتم إرجاع أسباب حدوث الأمراض إلى القوى الخارقة للطبيعة، مثل الآلهة أو الكائنات غير المرئية كأرواح الأسلاف أو الأشباح أو الروح الشريرة، كما هو الحال في حالات السحر والحسد والعين الشريرة.

وبصفة عامة توجد خمس عوامل داخلية، تعرف بالعوامل فوق الطبيعية، يُعتقد أنها مسؤولة عن الأمراض، وهي:

- اختراق قواعد المحرمات.

وتتأطر داخل المرجع الديني، حيث يتحدد ما لا ينبغي تجاوزه بوصفه محرما، تحت طائلة العقوبة الإلهية واستثارة غضب أرواح الأجداد المتمثلة في العقم والمرض ووفاة الأبناء، وتشترك في هذه المعتقدات المجتمعات "البدائية" والمتقدمة.

- الأرواح:

هي أحد الأسباب التي يتم تفسير المرض عن طريقها، حيث يعتقد في وجود كائنات فوق طبيعية ذات طبيعة خاصة، لا ترى بالعين وقد تتشكل في أجساد معينة، حيوانية بالخصوص، وقد تكون شريرة أو خيرة حسب كل معتقد.

- اختراق المجال المادي:

تقوم الأرواح الشريرة باختراق الأشياء المادية لتصبح جوهرا مكنونا لها كالأخشاب والصخور، ويعزى ذلك إلى الفعل الشرير الذي يقوم به الساحر لإنزال الأذى بأحدهم.

- فقدان الشعور بالروح:

ترى بعض القبائل "البدائية" أن انفصال الروح عن الجسم، إما بسبب حادثة أو مرض أو وفاة للشخص، كما هو الحال في قبائل "مورنجن" (Murnguin) الأسترالية، والتي تستلزم لإعادة الروح إلى الجسد نوعا من الطقوس والتعاويذ السحرية.

- السحر والحسد:

ويكمن في اعتقاد وجود قوى فوق طبيعية تحقق رغبات من يتحكم فيها، وذلك عن طريق القيام بطقوس وممارسات وشعائر معينة.

2-2 الصحة

يشتق اسم صحة، لغويا، من المصدر صَحَّ، وتعني العافية والسلامة، ويراد بالصحة في البدن: حالة طبيعية تجري أفعاله معها على المجرى الطبيعي (معجم المعاني الجامع).

بينما يتجاوز معناه الاصطلاحي، الجانب الفيزيولوجي الجسماني، ليشمل العناصر البدنية والنفسية والاجتماعية، وليس فقط مسألة الخلو من المرض، واكتمال صحة الإنسان تخضع لعدة عوامل

أولها، اكتمال الجانب البدني، أي أن جميع أعضاء الجسم تؤدي وظائفها بصورة طبيعية وبشكل متوافق ومنسجم مع أعضاء الجسم الأخرى، ويتحقق هذا الأمر إذا كانت جميع الأعضاء سليمة من أي مرض أو داء، وعندما تعمل أعضاء الجسم بصورة سليمة فإن الفرد يشعر بالحيوية والنشاط.

كما أن هناك عامل اكتمال الصحة النفسية، وهو استقرار الفرد داخليا بحيث يكون قادرا على التوفيق بين رغباته وأهدافه، بين الحقائق والمعطيات المادية والاجتماعية وهو جانب لا يستغنى عنه، فالإنسان الذي لا يتمتع بسلامة النفس والراحة الداخلية لا يمكن أن يوصف بأنه يتمتع بالصحة(Lakhadir, 1998) .

يعد المرض والصحة صفتان متلازمتان عكسيا، فكل نقصان في إحداهما يعني زيادة في الأخرى.

على المستوى الإجرائي، يمكن تبني تعريف منظمة الصحة العالمية، لشموليته وتركيزه في المعنى: "الصحة حالة العافية التامة جسديا ونفسيا واجتماعيا، وليس مجرد غياب المرض أو العجز".

2-3 الطب التقليدي.

يشار إليه كذلك بالطب الموازي ويشمل جميع الممارسات العلاجية التي تقدم خارج إطار المؤسسات الصحية البيوطبية، ويطلق عليه أيضا مصطلح الطب البديل أو الطب التكميلي، أو الطب العذب أو كما يشير إليه جان شابوي بالعلاج الاثني. ويضم الطب التقليدي أو الشعبي مجموعة عريضة من العلاجات والممارسات المتنوعة باختلاف البلدان والمناطق، كالوخز بالإبر والحجامة والكي والرقية والتداوي بالأعشاب والتداوي بالعسل ولسعات النحل والتداوي بالرقية والتعاويذ...في المغرب نجد عدة معالجين: "الطالب" أو "الفقيه" و"العطار" و"الكواي" و"العشاب" و"الجبار" و "مول السنان" و"القابلة" و"الشوافة" و"العوادة"...

على المستوى الإجرائي يمكننا تبني التعريف التالي: يشير مصطلح الطب التقليدي (الشعبي) إلى "المعارف والمهارات والممارسات المستندة إلى النظريات والمعتقدات والخبرات الأصيلة التي تمتلكها مختلف الثقافات والتي تُستخدم للحفاظ على الصحة والوقاية من الأمراض الجسدية والنفسية أو تشخيصها أو علاجها أو تحسين أحوال المصابين بها".

2-4 المسار العلاجي

يدل المسار العلاجي على " المسالك المستعملة من طرف الأفراد من أجل الحصول على العلاج" وفي نفس السياق، يتم تعريف المسار العلاجي بـ " المسالك المتبعة من شخص تعرض لمشكل صحي من أجل محاولة حله."

ويمكن تعريف المسارات العلاجية إجرائيا بأنها تعني " الطريق المسلوكة من طرف المرضى في بحثهم عن علاج، والذي يقوم فيه الأفراد أو المجموعات باختيار وتقييم أو الالتزام (أو عدمه) بأشكال معينة من المساعدة".

2-5 الهوية الجماعية

كانت الفلسفة أول من اهتم بمفهوم الهوية وذلك في حقل المنطق التجريدي، حاملا معنى يفيد بأن الشيء هو ذاته وليس شيئا آخر، مع بروز طرح بعيد عن السكونية يتبنى التغير باعتباره من طبيعة الأشياء كما يقول هيراقليطس: «لا يمكن أن نسبح في النهر نفسه مرتين»، وقد عرف مفهوم الهوية مشكلا في التعريف لدى الفلاسفة (رحال، 2018).

بينما ظهرت مفردة "هوية" متأخرةً عن مفردة "ثقافة" في قاموس الأنثربولوجيين، إذ لم تبرز إلا في ستينيات القرن الماضي، لتعرف استعمالا متزايدا بالموازاة مع انتشارها في باقي العلوم الإنسانية ولدى الساسة وفي وسائل الإعلام، ولطالما اعتبرت أعمال عالم النفس (إريك إريكسون) (1950-1958) نقطة الانطلاقة، والذي اعتبر المراهقة الفترة الأكثر تميزا بمشاكل الهوية الشخصية.

غير أن استعمال مصطلح الهوية ظهر عند السوسيولوجي الأمريكي روبير إزرا بارك منذ أواخر الثلاثينيات وذلك للإشارة إلى الوحدة والاستمرارية، ولوصف الطريقة التي تحافظ بها الجماعات والأسر على استمراريتها وبقائها في الزمن والمكان.

أما بالنسبة للأنثربولوجيا، فيشير (فرانسيسكو ريموتي) Francesco Remotti إلى أن فحصا سريعا يسمح لنا بملاحظة أن الهوية قد استعملت في العشرينيات من طرف برونيسلاو مالنوفسكي بشكل محتشم، وذلك في نصوصه حول ترويناد، عندما يتحدث عن هوية "دالا" أو النسب الأميسي، بالإشارة إلى "الجوهر" البيولوجي الذي ينتقل عبر الأجيال عن طريق النسب الأمومي. وفي استعمال شبيه وظف رايمون فريت في كتابه: نحن وتيكوبيار (1936) مفردة الهوية للإشارة إلى الاستمرارية في الزمن عند القبيلة، في حين يتحدث (نادال سيغفريد) Siegfried Nadal صراحة عن هوية

المجموعات الاجتماعية التي بفضلها يتمفصل المجتمع، وذلك في كتابه أسس الأنثربولوجيا الاجتماعية (1949)، وتوكد نصوص كتاب"النوير" (1940) لصاحبه ايفنس بريتشارد، الاستعمال المطرد والظاهر للهوية، بدون تحفظ، في الأنثربولوجيا الاجتماعية البريطانية تحت تأثير مالينوفسكي، في حين ظل راد كليف براون متحفظا في استعماله للهوية، وهو الذي ما فتئ يحاول بناء انثربولوجيا اجتماعية تعتمد العلوم الطبيعية وصرامتها نموذجا لها، الأمر الذي لا تخدمه الهوية التي قد تدفع بالأنثروبولوجيا نحو الفلسفة والأنطولوجيا منها إلى العلم.

بينما ينطلق ليفي ستروس من قبوله بأن الهوية هي موضوع شامل يعنى به في جميع التخصصات العلمية كما يهم كل "المجتمعات" المدروسة من طرف الإثنولوجيين والأنثربولوجيين وذلك بمناسبة انعقاد ندوة حول الهوية بـ (كوليج فرنسا) وليخلص الى عدم وجود أية هوية جوهرية، وإلى الاتجاه في التفكير في الهوية بوصفها ملاذا وملجأ افتراضيا نرجع إليه بشكل ضروري في تفسير عدد من الأشياء، لكن دون أن يكون لها وجود حقيقي (Benoist et Levi-Strauss, 1977)، فالهوية هي طريقة لتمثل الأشياء والتي ليس لها ما يوافقها واقعيا.

وفي المنحى نفسه، يرى فرانسيسكو ريموتي أن الهوية لا وجود لها إلا بوصفها أسلوبا أو طريقة للتمثل التي قد يصادفها الأنثربولوجيين في مجتمع ما.

تظهر الهوية - بعيدا عن كونها أداة للبحث - موضوعا وميدانا للبحث الأنثروبولوجي، إذ ليست الهوية أداة في علبة أدوات الأنثروبولوجي، إن مهمة الانثروبولوجيا هي البحث عن المجتمعات التي تنتج هذه الإيديولوجيا، وكيف تبني تمثلاتها الهوياتية؟ ولأية أهداف وأسباب تطور اعتقاداتها في الهوية؟

3- الجسد ملاذا للهوية

تخلص الدراسة التي أجراها جان شبوي بمنطقة غيان (Guyane)، إلى وجود أمراض تقتضي بالنظر إلى مسبباتها تدخلا بيوطبيا، بينما تستدعى أخرى تدخلا علاجيا إثنيا، في حين توجد أمراض بينية قادته إلى نحت مفهوم جديد أطلق عليه الأمراض-الحدود والتي يقصد بها تلك التي تقع بين حدود اختصاص الطب الحيوي والعلاج الاثني، إذ يتدخل في علاجها كلا النوعين من العلاج، على أساس أن الطب الحيوي يعالج المرض وأعراضه بينما يعالج الطب الاثني أسباب المرض المتمثلة في العناصر الممرضة غير المرئية التي تسمى بـ (الجلوك)، وتشكل هذه الأمراض-الحدود نوعا من

المقاومة لتعددية علاجية مهددة لأساس "الهوية الاثنية"، فهي تشكل على حد سواء إشارة على الانتماء وذريعة لأظهار التوافق والصلاحية، بل وتفوق النمط العلاجي الاثني، وذلك من خلال اكتسابهم عن طريق التعايش الطويل والمنتظم مع أمراض الآخر وتقنياته العلاجية، أو من خلال المختصين الاثنيين، مهارات علاجية والوسائل الضرورية من أجل علاج جميع الأمراض، في حين هناك أمراض محايدة هوياتيا لا تستدعي بالضرورة تدخل المعالج الاثني.

وكمثال للأمراض-الحدود تبرز الحمى لدى الهنود، على أنها "حمى الهنود" والتي تمنح المصابين بها من الأطفال واليافعين أوضاعا اجتماعية معينة، فإنها توصف كذلك على أنها حمى البيض أو الملاريا، فهي في الحالة الأولى تستدعي تدخلا من معالج هندي، بينما تستدعي في الحالة الثانية علاجا من طرف البيض في شكل علاجي تعددي.

ليخلص إلى أن النموذج الذي يوفره مجتمع الواجانا (Chapuis,1996)، يبين أن الجسد ليس فقط موضوع اشتغال للطبيعة فقط، ولكنه موضوع عمل ثقافي عميق أيضا، بحيث يسمح بأول تسييج هوياتي لإثنية ما، بينما تعمل العلاجات المطبقة عليه، بوصفها منتوجا ثقافيا خالصا، على إعداد علامات وسمات أكثر وضوحا.

يشكل الجسد، عبر آلامه ووسائل التخفيف من معاناته، حلقة وصل بين الشعوب، ويسمح كذلك بوسم الاختلاف، فإذا كانت جميع السمات الثقافية المميزة لهوية شعب ما، يمكن أن تنحل أو تقع في لبس مع سمات شعب آخر، فإن الجسد يبقى آخر ملجأ لتمظهرات الاختلاف الهوياتي، فهو يشكل الذات والآخر في نفس الان. وبمعنى أكثر دقة، فهو يجسد في نهاية المطاف، تسييج كل ثقافة لحدودها.

4- المرض بوصفه تدبيرا للاجتماعي

كشفت الدراسة التي أجرتها السعدية الراضي (Radi، 1996) -بمدينة الخنيفرة-حول المسارات العلاجية، عن المنطق المتبع لتصنيف المرض والعلاج من طرف الفاعلين، فالمرض بوصفه مظهرا لاضطراب بيولوجي، وإن كان يعزى في أصله إلى عامل فوق طبيعي، فهو يستدعي اللجوء إلى الطبيب ابتداء. بهذا المعنى، فإن معرفة سبب المرض لا يستلزم بالضرورة اختيارا علاجيا معينا، إذ يمكن أن تنتج العين الخبيثة والسحر أعراضا مختلفة يمكن تعدادها ضمن النظام البيوطي، ولا يتم اللجوء إلى الطب التقليدي ابتداء إلا في حالة تعليق التمييز بين سبب المرض وتصنيفه

(Etiologie-Nosologie)، ويصبح المرض فوق طبيعي عندما يتعلق كذلك بعدم القدرة على السيطرة على النفس أو حالة عقلية مضطربة دون أن يصاب الجسد.

كما تضفي التعددية العلاجية معنى إضافيا على المرض، أو تعطي تفسيرا آخرا لأمراض تعد طبيعية، خصوصا في حالة الانتكاس، كما تقوم بحفظ الامل لدى المريض عندما يستعصي المرض عن العلاج.

إن فاعلية هاتين الوظيفتين في التعدد العلاجي المغربي لا يمكن فهمها إلا لأن النظام العلاجي يأخذ صدقيته من الاندماج في نسق من العلاقات بين الأشخاص مكيف بروح التنافس (L'ethos agonistique) الذي تعرفه الثقافة المغربية (Geertz, 1992)، بهذا المعنى تبدو مسألة تدبير الخلافات متضمنة لتدبير العلاقات.

إن المرض أو الشر يذكي التنافر الاجتماعي، إذ لا ينبغي الاعتقاد أن صدقية نظام العلاج التقليدي يمكن أن ترتبط بقدرته على معالجة الأعراض، بل هي مرتبطة قبل كل شيء بتصور اجتماعي حول أصلها.

إن العلاج التقليدي هو علاج رمزي لأمراض مشخصنة وغير مصنفة، فهي تتجاوز الجسد والمرض إذن، لأن المرض فوق الطبيعي يصنف ضمن العالم الذاتي (Subjectif) للثقافة: إنها تعبر عن تصور للعلاقات الاجتماعية، وتعبر عن المعنى الذي يلجأ إليه الفاعلون بشكل عفوي عندما تعجز التفسيرات الطبيعية.

يعتقد الفاعل . من وجهة نظره . في الطب كما يعتقد فيما هو سحري-ديني، لكن لأسباب مختلفة. لأن كل منهما يستدعي نسقين مختلفين من الواقع فيما يخص نفس الحدث (الأمراض الحدودية بتعبير شابوي)، دون تداخل بينهما أو تنافر.

يسمح التمييز بين الأمراض الطبيعية وتلك فوق الطبيعية بتنظيم التعايش بين تصورين اثنين للمرض، بتخصيص إحداهما بتدبير الجسد البيولوجي والأخرى بتدبير الجسد الاجتماعي.

قامت السعدية الراضي بمحاولة تحليل اختيارات الفاعلين اعتمادا على مفهومين تحليليتين اثنين هما المجتمع والثقافة، واللذين يمكن النظر إليها من زاوية أخرى على أن يكشفان عن هوية مغربية جماعية مخصوصة، على غرار ما كشفت عنه دراسة جان شابوي لشعب الواجانا الغياني، فيمكن ملاحظة التشابه بين الشعبين في التمييز بين الطب الاثني أو التقليدي من جهة، والطب الحيوي. بالإضافة إلى التشابه القائم على الرؤية الميتافيزيقية للعالم ومكوناته، وتأثير عناصر فوق طبيعية في الجسد الإنساني مع إضفاء معان اجتماعية وثقافية على المرض وسبل الشفاء منه.

خاتمة:

تعد الهوية الجماعية حقيقة أولية وأساسية لدى جميع السوسيولوجيين، فهي تمثل مجموع القيم التي تتشكل لدى جماعة، ورؤية ذات طابع معنوي ورمزي للعالم.

يحاجج مارك أوجي في معرض دفاعه عن انثروبولوجيا المرض، على أن المرض يكشف عن رؤية مخصوصة لجماعة معينة للعالم، فوضعية الاضطرار التي يفرضها المرض تستدعي من الفاعلين استدعاء الرموز والمعاني المشتركة في محاولة تفسير الوضع وإيجاد حلول له من داخل عناصر ثقافتهم. في هذا السياق أبرزت دراسة جان شابوي لمجتمع الواجانا كيفية استثمارهم للجسد عبر دلالات ثقافية واجتماعية، من تسييج هويتهم بحيث يتم إعطاء معان مرتبطة بالثقافة المحلية للمرض ولكيفيات العلاج حسب مسباب العلة أعراضها، حتى ولو كانت هناك أمراض . حدودية بين نمطي العلاج، فهي تتميز بتأويلات مختلفة باختلاف الخلفيات الثقافية.

يتشابه النسق الثقافي المغربي بالمجتمع الواجاني في استحضار ما هو فوق طبيعي فيما يخص مسببات المرض وفي تفسيره اجتماعيا وكذا في إضفاء المعنى عليه، وفي التمييز بين نمطي العلاج التقليدي والبيوطبي.

تبرز الدراستين تجلى الهوية الجماعية بقيمها ورموزها وطابعها المعنوي من خلال الجسد وعلله ونمط العلاج الذي يتبع من أجل تعافيه.

تفتح لنا دراسة المرض انثروبولوجيا أفقا للكشف عن الهويات الجماعية لدى الجماعات الإنسانية، وذلك عبر الكشف عن التأويلات والمعاني التي تضفي على الصحة والمرض من رؤية مخصوصة للعالم.

المصادر والمراجع

باللغة العربية

- بومدين، س .(2003) .*الثقافة والمرض* .(ف. م. قسطنطينة، إد.)، العدد 20، ص 49.
- بوعزة، ع. ا. (بدون تاريخ) .*من الطب إلى الصحة: مقدمات في المرجعية السوسيولوجية* .تم الاسترجاع في 15 أغسطس 2019، من https://www.maghress.com/alittihad/184569
- رحال، ب. (2018، 7 مايو) .*مؤمنون بلا حدود، عودة الهوّيّات الجماعيّة* .تم الاسترجاع في 2 مايو 2025، منhttps://www.mominoun.com/pdf1/2018-05/howiyat.pdf
- معجم المعاني الجامع. (بدون تاريخ). تم الاسترجاع في 16 أغسطس 2019، من https://www.almaany.com/ar/dict/ar-a

الأطروحات والرسائل الجامعية:

- اليوسفي، ح .(2019) .*المسارات العلاجية لطالبي الاستشفاء التقليدي: حالة مكي الصخيرات* (أطروحة ماجستير). جامعة الحسن الثاني، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالمحمدية.

باللغات الأجنبية

- Augé, M. (1986). « L'Anthropologie de la maladie ». In: L'Homme. *L'anthropologie : état des lieux*(tome 26 n°97-98), pp. 81-90. Consulté le 10 01, 2023, sur https://www.persee.fr/doc/hom_0439-4216_1986_num_26_97_368675

- **Chapuis, J. (1996).** L'identité dans le prisme de la maladie et des soins (Guyane) in : Jean Benoist (dir), SOIGNER AU PLURIEL. Essais sur le pluralisme médical. *Médecines du monde*, pp. 45-75. Consulté le 07 22, 2023, sur http://classiques.uqac.ca/contemporains/benoist_jean/soigner_au_pluriel/soigner_au_pluriel.html

- **Dubos, R. (1973).** (Payot, Éd.) *l'homme et l'adaptation au milieu*.

- **Foucault, M. (s.d.).** *Naissance de la clinique, Une archéologie du regard médical.* Paris: PRESSE UNIVERSITAIRE DE PARIS.

- **Illich, I. (1975).** Némésis médicale. *seuil*.

- **Kamo, D. (s.d.).** La personne et le mythe dans le monde mélanésien, (, 1947, 1971, 1985). *Gallimard*.

- **Lakhadir, A. (1998).** *Mal, Maladie, Croyance thérapeutique, le cas de Casablanca, Thèse en Ethnologie,.* Université de Bordeaux II.

- **lebreton, D. (2013).** Anthropologie du corps et la modernité.

- **PIERRON, J.-P. (2005).** *La mort et le soin.* PARIS: Presse Universitaire Française.

- **Pomey, M.-P. (2000).** Santé publique. (Ellipses, Éd.) p. 43.

- **Radi, S. (1996).** "Les maux entre Dieu, les génies et les hommes" In Jean Benoist (dir), Soigner au pluriel. Essais sur le pluralisme médical. *Médecines du monde*, pp. 167-196. Consulté le 10 01, 2023, sur http://classiques.uqac.ca/contemporains/benoist_jean/soigner_au_pluriel/soigner_au_pluriel.pdf consulté le :

- **Remotti, F. (s.d.).** *Identité, in Anthropen.* Consulté le 09 30, 2023, sur https://www.academia.edu/101629081/Identit%C3%A9

- **Renaud, M. (s.d.).** De la sociologie médicale à la sociologie de la santé - 30 ans de recherche sur le malade et la maladie. *Recherche documentaire*. Consulté le 08 15, 2019, sur

- Canada,http://classiques.uqac.ca/contemporains/renaud_marc/socio_med_socio_sante/socio_med_socio_sante.html.

- **Sylvie, F. (s.d.).** *la maladie, un objet pour l'anthropologie sociale.* Consulté le 11 11, 2018, sur https://classiques_uqac.ca/contomporains/Sylvie_Fainzang/

ليفيناس والتقاء حكمة الفلسفة بحكمة الدين
Levinas and the encounter between the wisdom of philosophy and the wisdom of religion

الطالب الباحث: رضوان الفجري
redouane.fajri@uit.ac.ma
تحت إشراف الأستاذ: د.أحمد الفرحان
ferhane32@yahoo.com
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
جامعة ابن طفيل-القنيطرة، المغرب

ملخص:

ينتقد إيمانويل ليفيناس أطروحة هايدغر القائلة بأن الوجود هو الموضوع الحقيقي والوحيد للفلسفة، كما ينتقد التقليد الفلسفي الغربي بدعوى تجاهله لما تحتويه النصوص الدينية من معان وحكم. إذ يرى ليفيناس أن هناك منابع أخرى للحكمة إلى جانب الفلسفة، لهذا فهو يعتبر النصوص الدينية والأدبية بمثابة تجارب ما قبل-فلسفية تحمل بداخلها حكمة ونزعة إنسانية. لقد استلهم ليفيناس بعض حدوسه الفلسفية من النصوص الدينية من أجل تأسيس فلسفة إيتيقية جذرية، تجعل من الغيرية عمادها، ومن المسؤولية المطلقة تجاه الإنسان الآخر أهم مقاصدها. إنه فيلسوف يفكر من داخل الأدب والدين، وليس فقط من داخل الفلسفة، وهو الأمر الذي ساهم في خصوبة عمله الفلسفي. سنحاول في هذه المقالة دراسة الصلة الإشكالية التي تجمع بين الفلسفة والدين عند ليفيناس مع النظر في مساحة التقاطع بينهما، وذلك بغرض فهم الكيفية التي يحاول من خلالها ليفيناس ترجمة حكمة الدين إلى لغة الفلسفة.

كلمات مفتاحية: الدين، الفلسفة، الأنطولوجيا، الإيتيقا، الكلية.

Abstract:

Emmanuel Levinas criticizes Heidegger's thesis that existence is the only true subject of philosophy, as well as the Western philosophical tradition that ignores the meaning and wisdom of religious texts. Levinas argues that there are sources of wisdom other than philosophy, and sees religious and literary texts as pre-philosophical experiences that contain wisdom and humanism. Levinas draws his philosophical intuitions from religious texts to establish a radical ethical philosophy, in which alterity is the foundation and absolute responsibility towards other human beings is the most important objective. He is a philosopher who thinks from literature and religion, not just from philosophy, and this has contributed to the fruitfulness of his philosophical work. In this article, we will attempt to examine the problematic relationship between philosophy and religion in Levinas, while looking at the space of intersection between them, in order to understand how Levinas attempts to translate the wisdom of religion into the language of philosophy.

Keywords: Religion, philosophy, ontology, ethics, totality.

1- مقدمة:

أمـام صـعود الهتلريـة بألمانيـا وبلـوغ النازيـة والفاشـية أقصى درجـات التطـرف والإجـرام، لـم يجـد إيمانويـل ليفينـاس مناصـا مـن الكشـف عـن جـذور هـذه النزعـات الشـمولية في الفلسـفة الغربيـة وخصوصـا في الأنطولوجيـا الـتي تعـطي الأولويـة للأنـا وتقصي الآخـر وتضـفي الطـابع الكلي عـلى المعرفـة. وهـو مـا جعلـه يعـود إلى الفلسـفات الـتي تعـلي مـن قيمـة مـا هـو إنسـاني، وإلى الـتراث الـديني اليهـودي ليسـتلهم منـه فلسـفته الإيتيقيـة، الـتي تـدعو إلى مسـؤولية لامتناهيـة تجـاه الآخـر. إذ يـرى ليفينـاس"أن الفكـر الفلسـفي يرتكـز عـلى تجـارب مـا قبـل فلسـفية"(Levinas,1982,p.14)، وفيمـا يخصـه فقـد تـأثر ليفينـاس الشـاب بـالأدب الـروسي؛ وخصوصـا بالأسـئلة الميتافيزيقيـة الـتي تسـم أعمـال دوستويفسـكي. أمـا بخصـوص التجـارب الروحيـة فـإن قراءتـه للتـوراة -في سـن المراهقـة-ولـدت لديـه فضـولا روحيـا؛ وهـو مـا عكسـه لاحقـا مـن خـلال قراءاتـه وشروحاتـه التلموديـة. كمـا سـاهمت التجـارب التاريخيـة الـتي مـر بهـا في تشـكل وعيـه، كمـا نبهتـه إلى صـعوبة الوجـود في هـذا العـالم، وذلـك مـن خـلال وقوفـه شـاهدا عـلى الأذى الـذي تسـبب فيـه الإنسـان لأخيـه الإنسـان إبـان الحـربين العـالميتين الأولى والثانيـة. ولعـل هـذه التجـارب هي مـا جعـل مـن ليفينـاس فيلسـوفا في ملـتقى مسـارات مختلفـة؛ قادتـه أولا إلى دراسـة فلسـفة هـوسرل وهايـدغر، و ثانيـا إلى دراسـة النصـوص التلموديـة وتقـديم قـراءات فيهـا. كما وضعت الأسئلة الإيتيقية والميتافيزيقية في صلب اهتماماته الفلسفية.

إذا كـان نيتشـه قـد قـال بمـوت الإلـه وأعلـن هايـدغر مـن بعـده عـن نهايـة الميتافيزيقـا، وإذا كانـت أهـم أشـكال الفكـر وأكثرهـا هيمنـة في القـرن العشريـن: التحليـل النفسي الفرويـدي، وعلـم الاجتمـاع الماركسي، والفلسـفة النيتشـوية والوجوديـة، قـد حملـت بـداخلها طابعـا نقـديا تجـاه المعتقـدات الدينيـة ومـدى إسـهامها في بنـاء الحيـاة الشخصـية والاجتماعيـة والثقافيـة. فـإن الفلسـفة المعـاصرة ممثلـة في ليفينـاس قـد عـادت للاهتمـام مـن جديـد بـالمقولات الدينيـة والإيتقيـة، وذلـك لإظهـار أهميتهـا في إضـفاء المعـنى عـلى الوجـود الإنسـاني. وإذا ذلـك كـذلك، يمكننـا التسـاؤل: كيـف تمكـن ليفينـاس مـن اسـتثمار

المعـاني الدينيـة في بنـاء فلسـفته الإيتيقيـة؟ وإلى أي حـد نجـح في عمليـة الوصـل بـين الفلسفة والدين؟ وما دلالة إحالته إلى الدين في نصوصه الفلسفية؟

سـنحاول الإجابـة عـن هـذه الأسـئلة، وذلـك بالاسـتناد عـلى مقاربـة تحليليـة نقديـة، سـعيا منـا إلى إظهـار أن هنـاك إمكانيـة للمصـالحة بـين الـدين والفلسـفة في فكـر ليفينـاس، إذ إنه يقدم طريقة فريدة للتفكير في الدين ضمن أفق الفكر المعاصر.

2- حكمة الدين: انفتاح الذات على الآخر في النصوص الدينية:

1.2 التوراة:

يعـد البعـد الـديني أحـد التجـارب "الماقبـل فلسـفية" الـتي سـاهمت في تأسـيس فلسـفة ليفينـاس. حيـث يـرى أن الديانـة اليهوديـة والـنص التـوراتي يتصـالحان بسـهولة مـع الفلسـفة، دون أن تكـون هنـاك حاجـة مفتعلـة للتوافـق بينهمـا. لهـذا نجـده يكتـب: "إن نصـوص الفلاسـفة الكبـار-مـع المكانـة الـتي يأخـذها التأويـل في قـراءتهم-تظهـر لي أنهـم أقـرب للتـوراة مـن معارضـتها، بـالرغم مـن أن مـا هـو ملمـوس في المواضـيع التوراتيـة لا يـنعكس بشـكل تلقـائي في الصـفحات الفلسـفية. لكـن لـم يكـن لـدي انطبـاع-في بـداياتي-بـأن الفلسـفة ملحـدة جوهريـا، ولا أعتقـد أنهـا كـذلك إلى اليـوم"(Levinas,1982,p.14). إن اليهوديـة في نظـر ليفينـاس "تعـني-قبـل كـل شيء-دينـا ونظامـا مـن المعتقـدات، ومـن العـادات والتعـاليم الأخلاقيـة المؤسسـة انطلاقـا مـن التـوراة، والتلمـود، وانطلاقـا مـن أدب الحاخامات"(Levinas, 1982, p.47).

يـرى ليفينـاس أنـه إذا كـان الباعـث عـلى التسـاؤل الفلسـفي هـو قلـق وجـودي أو دهشـة أمـام العـالم أو وعي طـارئ برتابـة الـزمن وجـدوى الحيـاة، فـإن نفـس الأسـئلة/التجارب قـد تـدفع الإنسـان-حسـب ليفينـاس-إلى محاولـة إيجـاد أجوبـة لهـا مـن خـلال قـراءة النصـوص الدينيـة. لأن غايـة الكتـب المقدسـة هي أن تكـون تعبـيرا عـن حيـاة الإنسـان ووجـوده. ويـرى ليفينـاس أن انهمـام الأنـا بذاتـه يخـتفي أثنـاء قـراءة "التـوراة" بوصـفها نصـا دينيـا، ذلـك أن هـذه القـراءة تتعـالى عـلى تمجيـد الهيمنـة والتسـلط عـلى الآخـر. غـير أنـه يشـترط في هـذه القـراءة عـدم السـقوط في البحـث عـن معيـار مطلـق أو عـن فكـرة مثاليـة للحيـاة. وعـلى هـذا

الأســـاس يكتـــب ليفينـــاس: "ســـتكون التـــوراة -بالنســـبة إلي-هي الكتـــاب بامتياز"(Levinas,1982, p.12).

لقـد سـاهمت قـراءة ليفينـاس للتـوراة في بلـورة فكـره الإيتـيقي، حيـث اكتشـف في التـوراة معـانٍ تقـترب مـن رؤيتـه الخاصـة لمـا هـو إنسـاني. وهـو مـا يؤولـه ليفينـاس مـن خـلال النظـر في اشـتراطات العلاقـة مـع الآخـر كلقـاء، واعتبـاره أن حضـور البعـد الإلـهي يكمـن في هـذا اللقـاء. إذ تـنص التـوراة عـلى أنـه ينـبغي عـلى المـؤمنين الـذين يريـدون التقـرب إلى الإلـه تحريـر عبيـدهم وإطعـام الجـائعين مـن النـاس. كمـا اسـتلهم مـن التـوراة الفكـرة القائلـة بـأن محبـة القريـب هي شرط لحـب الـذات، فقبـل الـذات هنـاك دائمـا الآخـر. وهـو مـا يعـني أن التـوراة تعـطي الأولويـة للآخـر عـلى حسـاب الأنـا. ذلـك أن الآخـر يمثـل دائمـا الأرملـة واليتـيم والغريـب، بـل يـذهب ليفينـاس إلى القـول بـأن محبـة الآخـر هي الـتي تؤسـس وتـبرر تحـريم الـنص التـوراتي المطلـق للقتـل قـائلا بصـيغة آمـرة: "لا تقتـل أبـدا"، وفي ذلـك تعبـير عـن وجود عنوانه إمكانية العيش والتضحية من أجل الآخر واحترام غيريته المطلقة.

إن الـنص التـوراتي نـص يتسـاءل في نظـر ليفينـاس، ويعلمنـا أن الانهمـام بالـذات هـو أمـر ثـانوي، وأن مـا هـو أسـاسي هـو المسـؤولية تجـاه الإنسـان الآخـر. لهـذا يجـب قـراءة التـوراة مـا وراء بعـدها التيولـوجي والميتـافيزيقي. يقـول ليفينـاس: "لا تهـدف التـوراة إلى المعرفـة الحقـة بالإلـه، لكنهـا تهـدف فقـط إلى تعلـيم قاعـدة عمليـة مسـتلهمة مـن المحبـة الخالصـة وغـير المباليـة بمصـلحتها أمـام الإلـه"(Levinas,1976,p.176). لهـذا يـرى ليفينـاس أن التـوراة أساسـية للفكـر، فـإذا كانـت الفلسـفة اليونانيـة تؤكـد عـلى أهميـة المعرفـة وأن عـلى الإنسـان أن يعـرف نفسـه بنفسـه، فـإن التـوراة تعلمنـا بـأن الإنسـان الحقـيقي هـو الـذي يحب قريبه.

2.2 التلمود:

يعتـبر التلمـود أحـد المصـادر الأساسـية الـتي ألهمـت ليفينـاس فلسـفيا. وهـو النسـخة المكتوبـة لـدروس ومناقشـات علمـاء الـدين اليهـود، الـذين كـانوا يلقـون دروسـهم في فلسـطين وبابـل مـا بـين القـرنين الثـاني والسـادس للمـيلاد. ويتضـمن التلمـود بشـقيه الشـفوي والمكتـوب الإشـكالات الأخلاقيـة، وكـل مـا يتصـل بالشرائع اليهوديـة مـن جانـب

طقـوسي. كمـا يـرتبط التلمـود أيضـا بالحضـارة الـتي تأسسـت انطلاقـا مـن الديانـة اليهوديـة. وقـد اسـتلهم ليفينـاس مـن التعـاليم التلموديـة الفكـرة الرئيسـية القائلـة: بأولويـة الالـتزام الإيتـيقي كمعانـاة "حـتى المـوت" مـن أجـل الآخـر، والانهمـام بـه وبكـل غريـب. إذ إن الهـوس بـالآخر الـذي يعـبر عنـه التلمـود، يجعـل الإنسـان معنيـا بالمسـؤولية اللامحـدودة نحـو الآخـر. يقـول ليفينـاس: "في الواقـع، أنـا مسـؤول عـن الآخـر حـتى عنـدما يرتكـب جرمـا. فهـذا هـو أسـاس الـوعي اليهـودي بالنسـبة إلي. وأعتقـد أيضًـا أن هـذا هـو أسـاس الـوعي الإنسـاني: كـل البشـر مسـؤولين عـن بعضـهم الـبعض، وأنـا أكـثر مـن أي شـخص آخر"(Levinas,1991, p.117).

لقـد كـان الـتراث العـبري دائمـا مطبوعـا بـالهوس بالغيريـة، ويـذهب في ذلـك إلى درجـة جعـل حريـة الأنـا مسـؤولية لأجـل الآخـر، إذ إن حريـة كـل إنسـان إنمـا تنبـع مـن الاعـتراف بغيريـة الإنسـان الآخـر وبـاحترام كرامتـه. ويـذهب ليفينـاس إلى القـول: "إن الإيمـان اليهـودي تسـامح، لأنـه يتحمـل بشـكل مسـبق عـبء النـاس الآخـرين" (Levinas,1976,pp.261-262). ويـرى ليفينـاس أن السـهر عـلى حاجـات النـاس لـيس موكـولا-حسـب التلمـود-للعنايـة الإلهيـة. لـذلك وجـب "عـلى الإنسـان أن ينقـذ أخـاه الإنسـان: إذ تقتضي الطريقـة الإلهيـة لجـبر البـؤس عـدم تـدخل الإلـه. ذلـك إن الارتبـاط الحقـيقي بـين الإنسـان والإلـه يتوقـف عـلى ارتبـاط الإنسـان بالإنسـان، وهـو مـا يتحمـل فيـه الإنسـان المسـؤولية الكاملـة، كمـا لـو أنه لا يوجد إله يمكن الاعتماد عليه"(Levinas,1994,p.183).

اسـتلهم ليفينـاس مـن التلمـود أيضـا تصـوره للإلـه وللامتنـاهي، فلـم يعـد الإلـه هـو ذلـك الكـائن المتعـالي، والبعيـد عـن متنـاول النـاس، البـاحثين عنـه في فضـاء خـارج الأرض أو خـارج مـا هـو اجتمـاعي. بـل إن الإلـه يـتجلى يوميـا في العلاقـات بـين النـاس، بمعـنى أنـه لا يوجـد خـارج هـذه العلاقـات الـتي تجمـع النـاس بعضـهم بـبعض. فـأي أرض تخلـو منـه حـتى تعـالوا يطلبونـه في السـماء. لهـذا لا يـتجلى المقـدس في الديانـة اليهوديـة، إلا إذا اعـترف الإنسـان بـالآخر واستضـافه. ويمكـن القـول بصـيغة أخـرى إن اليهوديـة ليسـت مشـغولة بمـا وراء الكينونـة، ولكنهـا منشـغلة بمـا هـو اجتمـاعي وبمعاملـة النـاس لبعضـهم الـبعض. إذ يـرى ليفينـاس أن أهميـة اليهوديـة بمـا هي ديـن توحيـدي تكمـن في بنـاء المجتمـع وفي مـنح

الإنسان إمكانية رؤية وجه إنسان آخر. إن الدين رغبة وليس صراعا من أجل الاعتراف. "إنه الفائض الممكن في مجتمع متساوٍ، أي فائض التواضع المجيد والمسؤولية والتضحية، وشرط المساواة نفسها" (Levinas,1971,p.58). إن النص التلمودي هو في حد ذاته صراع فكري وانفتاح جريء على الأسئلة؛ وليس مجرد تتمة للتوراة، بل يراه ليفيناس نصا عميقا ومجددا، لهذا جعل ليفيناس من قراءاته وشروحاته التلمودية محاولة لربط النصوص التلمودية بالحاضر، ذلك أن تأويل وتطوير الأفكار التلمودية هو أساسي عند ليفيناس. ولعل ذلك ما جعله ينتقد صاحب "رسالة في اللاهوت والسياسة" بسبب تجاهله للتلمود: "ألم يسمع سبينوزا أبدا بالطريقة الصحيحة للتفكير التلمودي؟ فليس هناك شخص فاقد للحس السليم إلى درجة الاعتقاد بأن العقول العظيمة يمكن تفسيرها انطلاقا مما يغذيها في دراستها وفي محيطها. غير أن الخلفية تتضمن سببيتها الخاصة" (Levinas,1976,p.157).

جوابا عن سؤال ماذا يعني له وصفه بالمفكر اليهودي؟ يقول ليفيناس: "أن يتم اعتباري مفكرا يهوديا هو شيء لا يصدمني في حد ذاته. لأني يهودي الديانة، ولدي بالتأكيد قراءات وتقاليد يهودية لا أنفيها. لكنني أرفض هذا الوصف عندما يكون المقصود من ورائه هو التقريب بين تصوراتي الفلسفية وتصوراتي التي ترتكز على التقاليد والنصوص الدينية، دون عناء المرور بالنقد الفلسفي" (Poirié,1987,p.100). ويذهب ليفيناس إلى أن قراءته وتأويله للنصوص الدينية هو أمر مرتبط بالجانب الديني لديه، وليس هو اللحظة الفلسفية لمجهوده الفكري. لذلك فهو يعتبر نفسه مجرد مؤمن عند تعاطيه مع النص الديني، غير أنه يمكن للمؤمن أن يبحث ما وراء الوضوح الذي تبناه، عن وضوح يمكن إيصاله بموضوعية. ذلك أنه "لا يمكن لحقيقة فلسفية أن تتأسس على سلطة النص الديني. بل يجب أن يكون النص الديني مبررا فينومينولوجيا. رغم إمكانية سماحه بالبحث عن علة" (Poirié,1987,p.100).

بالرغم من أن ليفيناس قد يعطي أحيانا أمثلة من النص الديني، إلا أنه لا يقدمها باعتبارها حجة أو دليلا، وكمثال على حرص ليفيناس على التمييز بين البحث الفلسفي

وتأويل النصوص الدينية، يصرح في أحد حواراته بما يلي: "أتعامل مع ناشرين لكتبي، الأول أنشر عنده أعمالي ذات الطابع الديني، والثاني أنشر عنده أعمالي الفلسفية، فأنا أميز بين النظامين دائما"(Poirié,1987,p.111). غير أنه لا يمكن محو أثر الإلهام اليهودي من فلسفة ليفيناس، ولا يمكن تجريد تعاليقه التلمودية من كل فائدة فلسفية. لكن في دراسة فلسفية يجب أن يمر كل ما له صلة بجانب الاعتقاد والفكر الديني عبر العقل الفلسفي، لأن هذا الأخير لا يرتكز على سلطة التقاليد، وعلى ما هو خارق.

3- حكمة الفلسفة: الدين ولوغوس الفلسفة

إذا كان ليفيناس معروفا بكونه فيلسوف الإيتيقا بامتياز، بالإضافة إلى تخصصه في الفينومينولوجيا التي درسها على يدي هوسرل وهايدغر، فإنه لا يستسلم بأي حال من الأحوال للنقاد الذين يرون أن الكلمة النبوية في النصوص الدينية لا تفيد الفلسفة. فقد استطاع موسى بن ميمون في كتابه "دلالة الحائرين" أن يجمع بين الدين والعقل، وبين الإيمان والمعرفة. وسيرا على هذا النهج وظف ليفيناس في كتاباته الفلسفية معجمية خاصة للتعبير عن أفكاره، التي استلهم بعضها من النصوص الدينية، إذ نجده يوظف مصطلحات من قبيل (القرب، الطيبة، الاصطفاء، التضحية الأثر،القداسة...) في نصوصه الفلسفية، وهو ما سمح له بإقامة نوع من الحوار ومد الجسور بين الفكر الفلسفي الإغريقي والفكر اللاهوتي اليهودي. متجاوزا بذلك الحدود الرمزية التي كانت تفصل بينهما.

إن دراسة العلاقة بين الدين والفلسفة عند ليفيناس تستدعي الكثير من الاحتياطات، مخافة الوقوع في قراءة مختزلة أو متعسفة لهذه العلاقة. فإذا كان دومينيك جانيكو يرى أن كتاب "الكلية واللامتناهي" يمثل أصل "المنعطف اللاهوتي" في الفينومينولوجيا الفرنسية (Janicaud,1992)، معتبرا أن هناك نوعا من الخلط المنهجي بين الخطاب الفلسفي والخطاب الديني فيه، فإن هذا الأمر يظهر أن علاقة الدين والفلسفة عند ليفيناس يشوبها التباس ما، ومن ثمة نجد أنفسنا أمام ضرورة طرح السؤال الآتي: ما هي المكانة الحقيقة للدين في فكر ليفيناس؟

للإجابة عن هذا السؤال، ينبغي تحديد المصدر الرئيس للبس في النقاش حول العلاقة بين الفلسفة والدين عند ليفيناس، وهو في نظرنا راجع في كثير من الأحيان إلى خلط بين الدين والعبادة، أو إلى اختزال الدين إلى نظام دوغمائي، أو تبسيط تعقيد الظاهرة الدينية، ناهيك عن نسيان أو تناسي حقيقة أن الدين مثله مثل الفلسفة، يتناول أسئلة أساسية حول معنى الوجود وحول ما تقتضيه العلاقة بين الناس. ذلك أنه لا يمكننا أن نحدد موقع الدين في فكر ليفيناس دون مواجهة هذه الأسئلة الأساسية.

على أن ليفيناس لم يتوقف أبدًا عن مساءلة التقليد الفلسفي في ضوء تساؤل متجذر بعمق في المنظور الديني. والدليل على ذلك هو عنوان عمله الفلسفي الرئيس "الكلية واللامتناهي" الذي قد يكون دالا عن قصده. ذلك أن اقتران مصطلح "الكلية" بـ"اللامتناهي" في هذا العنوان، معناه أنه إذا كان التقليد الفلسفي يدعي قدرته على الإمساك بالأشياء وإدراجها ضمن كلية، فإن هناك بعدا لامتناهيًا يستعصي- عليه ويظل برانيا بالنسبة إليه. ذلك أن التفكير في اللامتناهي يتطلب أولاً-وقبل كل شيء-مساءلة النظام الهيغلي وادعاءه بإدراك المعنى المطلق لمسيرة الروح. إذ يرى ليفيناس في تقديمه لكتاب ستيفان موسيس "النظام والوحي: فلسفة فرانز روزنتسفايغ" (Franz Rosenzweig1886-1929)، أن فكر روزنتسفايغ لعب دورًا أساسيا في هذا الصدد من خلال كتابه "نجمة الخلاص". "إن فلسفة روزنتسفايغ تفتح أفقاً أصيلاً للمعنى، يقوم على التأمل الصارم في أزمة وضوح العالم، أي في أزمة الكلية والنسق الهيغلي" (Mosès,2003,p. 8).

يقول ليفيناس في كتابه "الكلية واللامتناهي": "لقد أثارت معارضة فكرة الكلية انتباهي في كتاب"نجمة الخلاص" لفرانز روزنتسفايغ" الذي تتم الإحالة إليه في هذا الكتاب باستمرار. لكن يرجع الفضل في تقديم وتطوير المفاهيم المستعملة في هذا الكتاب إلى المنهج الفينومينولوجي" (Levinas,1971,p.14). لقد استلهم ليفيناس نقده لفكرة الكلية (totalité) من روزنتسفايغ، ولإبراز الأهمية التي يعطيها ليفيناس لنقد مفهوم الكلية نورد ما كتبه بخصوص فلسفة روزنتسفايغ:"تكمن جدته في التنديد بالطابع الأولي لنوع من العقلانية: تلك[...]التي تقتضي- النظر إلى التجربة الطبيعية

والاجتماعية بوصفها كلية، واستخراج وخلق تسلسل بينها وبين باقي المقولات، إلى درجة بناء نسق يشمل حتى الدين نفسه. لكن فلسفة روزنتسفايغ تسعى-على العكس من ذلك-إلى التفكير في الدين-(الخلق، الوحي، الخلاص)-بوصفه فضاءً أصليا لكل معنى، يشمل حتى تجربة العالم والتاريخ"(Wolff, 2007, p.16).

تتجلى جدة فلسفة "روزنتسفايغ"-في نظر ليفيناس-في تكسير فكرة الكلية، بفضل مفاهيمه الثلاثة: الخلق، الوحي، الخلاص. لكن السؤال يطرح هنا بخصوص علاقة هذه المفاهيم الدينية بالتفكير الفلسفي؟ وكيف غير روزنتسفايغ من وقعها بالشكل الذي أصبحت فيه قابلة للتوظيف الفلسفي من طرف ليفيناس؟ فمن خلال تعريفه للدين بوصفه "ما يرسم العناوين الأولى للوجود، بدل أن يكون مضافا لنظام قبلي. يذكرنا ليفيناس بقول روزنتسفايغ في كتابه "نجمة الخلاص": "إن الإله لم يخلق الدين، وإنما خلق العالم" (Wolff, 2007, p.18).

يذهب ليفيناس إلى أن الخلاص مفهوم إنساني وليس إلهيا، من حيث إنه يسمح للأفراد بتجنب إدراجهم أو استعادتهم ضمن تاريخ كوني يبتلعهم ككائنات متناهية (وهي الصورة التي يعطيها هيغل للتاريخ)، بالإضافة إلى أن الخلاص يمنحهم القدرة على الفعل في التاريخ (Levinas,1976). إن هذا المرور من وضعية فلسفية إلى وضعية دينية، يدفع ليفيناس الى القول بأن قاطرة ما هو حقيقي هو التاريخ الديني، لأنه يتحكم في التاريخ السياسي. إنه موقف روزنتسفايغ المضاد لهيغل. ووجب الإضافة بأن نقد الكلية، مع المكانة الخاصة لما هو إنساني في فلسفة روزنتسفايغ يجعلان منه أحد الفلاسفة المؤثرين في عصرنا هذا. وإذا كان ليفيناس قد اتبع روزنتسفايغ في نقده لمفهوم الكلية، فإن غرضه من وراء ذلك كان هو البحث عن طريقة لتجاوز الوجود، وهو ما وجده في الهروب من سؤال الوجود نحو سؤال الموجود/الإنسان.

ينتقد ليفيناس أنطولوجيا هايدغر بسبب طابعها الحيادي والأناني تجاه الآخر وكذلك بسبب طابعها الكلياني، كما يحتج ليفيناس على أطروحة هايدغر القائلة بأن الوجود هو الموضوع الحقيقي والوحيد للفلسفة. ويعتقد ليفيناس بأن التقليد الفلسفي

الغـربي قـام بصـفة دائمـة بتجاهـل الحكمـة اليهوديـة وهـو مـا سـعى ليفينـاس إلى تداركـه مـن خـلال مسـاهمته الفلسـفية، إذ يـرى ليفينـاس أن اسـتلهام المعـنى مـن النصـوص الدينيـة لا يتعـارض مـع الفلسـفة، مـا دام أن هـذه الأخـيرة تفكـر في المعـنى. ولعـل ذلـك مـا جعلـه يقـول: "لقـد تغـذينا مـن التـوراة عـلى الأقـل بـنفس القـدر الـذي تغـذينا بـه مـن الفلاسـفة المـا-قبـل سـقراطيين" (Levinas,1972,p.107). ذلـك أنـه انطلاقـا مـن التقـاطع بـين هـذين التقليـدين سـيعيد ليفينـاس تعريـف الفلسـفة. غـير أن الآيـات الـتي يحيـل إليهـا ليفينـاس في بحثـه الفلسـفي لـيس لهـا وظيفـة الإثبـات، إذ نجـده يقـول: "لـيس للآيـات التوراتيـة هنـا وظيفـة البرهـان، بيـد أنهـا تشـهد عـلى تقليـد وعـلى تجربـة. لكـن ألـيس لهـا نفـس الحـق في أن يـتم الاقتبـاس منهـا، مثـل مـا يـتم الاقتبـاس مـن هولـدرلين وتراكـل؟" (Levinas,1972,p.108) ، وهـو مـا يعـني أنـه عـلى الفلسـفة أن تأخـذ المعـاني الدينيـة مأخـذ جـد، مـادام أن الفلسـفة تفكـر في المعـنى. ذلـك أن الموقـف الإنسـاني يحتـاج دائمـا إلى وضـع تفكـيري أشـمل يلـم بمجمـل إمكاناتـه وعلاقاتـه اللامتناهيـة. إذ "تمـنح الـديانات التوحيديـة وسـيلة للهـروب مـن الكينونـة ومـن الأنطولوجيـا، والتوحيديـة هنـا لا يـتم فهمهـا هنـا بوصـفه اعتقـادا دينيـا، وإنمـا بوصـفها مبـدأ أساسـيا للثقافـة الأوروبيـة" (Caygill, 2002, p.45).

يقـول ليفينـاس في مقدمـة كتـاب" آخـر الوجـود، أو مـا وراء الماهيـة": "إن سـماع إلـه لـم تصـبه لوثـة الوجـود، هـو إمكانيـة إنسـانية ليسـت أقـل أهميـة(...)من سـحب الوجـود مـن النسـيان"(Levinas,1974,p.10). ويـرى ليفينـاس أن وحـده التفكـير في المسـألة الدينيـة يمكنـه أن يسـمح لنـا بمقاومـة الغوايـة الـتي تقـدمها لنـا فلسـفة هايـدغر: اخـتزال الكـائن البشري في الانهمـام بوجـوده عينـه، وتسـمح لنـا كـذلك بمقاومـة الفكـرة القائلـة بـأن الوجـود لأجـل المـوت يسـمح مـن المنظـور الهايـدغري بالإمسـاك بمعـنى الوجـود في كليتـه، والـذي هـو دائمـا وجـود خـاص بالأنـا. عـلى خـلاف ذلـك، إن منظـور روزنتسـفايغ يقودنـا إلى مـا يسـميه ليفينـاس بالعلاقـة وجهـا لوجـه مـع الإنسـان الآخـر، هنـاك حيـث ينبهنـا الـدين إلى اسـتحالة الإحاطـة بمعـنى الآخـر في إطـار نسـق شـمولي، مـن ثمـة فهـو يجبرنـا عـلى إعـادة التفكـير في المقـولات التقليديـة لعلاقتنـا بـالآخر. لكـن هـل هـذا معنـاه أننـا مـدعوون في

نهايـة المطـاف إلى تـرك مجـال الفلسـفة لصـالح الـدين؟ جوابـا عـن هـذا السـؤال يمكـن القـول إن فلسـفة ليفينـاس لا تقـول بـذلك، لكنهـا أظهـرت بوضـوح أنـه مـن الممكـن مقاربـة المعـاني الدينيـة مـن منظـور فلسـفي، وفي هـذا السـياق تكتسـب رغبتـه في القطيعـة مـع فلسفات الكليّة معناها الكامل.

ولَمَّـا "كانـت كـل روحانيـة -بالنسـبة للتقليـد الفلسـفي الغـربي-تجـد أساسـها في الـوعي وفي اسـتعراض الوجـود، وفي المعرفـة"(Levinas,1974,p.126)، فـإن فلسـفة ليفينـاس تجبرنـا عـلى إعـادة التفكـير في علاقتنـا بالإنسـان الآخـر، كمـا تـدعونا أيضًـا إلى إعـادة تأويـل علاقتنـا بالتقاليـد الدينيـة والإيتيقيـة، لـنرى إلى أي مـدى تسـتمر هـذه العلاقـة في إضـفاء المعـنى عـلى وجودنـا وعلاقتنـا البـين-إنسـانية. ذلـك أن ليفينـاس يقـدم لنـا العديـد مـن وجهـات النظـر الـتي يجـب أن نوليهـا اليـوم اهتمامًـا كبـيرًا، لأن طريقتـه في التأويـل تسـمح لنـا بإعـادة قـراءة النصـوص الدينيـة في ضـوء جديـد، لكـن مـع الاحـتراز مـن كـل خلـط بـين الـدين والفلسـفة. إذ يـرى ليفينـاس أن "الكليـة واحتضـان الكينونـة، أو الأنطولوجيـا، لا تحمـل السرـ المطلـق للوجـود. إن الـدين يعمـل عـلى اسـتدامة العلاقـة بـين "الهـو هـو" (le même) والآخـر عـلى الـرغم مـن اسـتحالة الكـل، لأن فكـرة اللامتنـاهي هي البنيـة النهائية"(Levinas, 1971, p.79).

ويـذهب ليفينـاس في سـياق توضـحيه لمعـنى وحـدود إحالتـه إلى الـدين كمرجـع، إلى القـول:"إن نقطـة انطـلاقي غـير لاهوتيـة عـلى الإطـلاق، إذ لا أود تعريـف أي شيء مـن خـلال الإلـه، لأن الإنسـان هـو الـذي أعرفـه. بـل إن الإلـه هـو الـذي يمكـن تعريفـه مـن خـلال العلاقـات الإنسـانية ولـيس العكـس(...) كمـا أتبـنى مصـطلح "الـدين" للدلالـة عـلى الحالـة الـتي توجـد فيهـا الـذات في وضـعية يسـتحيل عليهـا الهـروب مـن المسـؤولية"(Levinas, 1991, p.110).

إن الـدين بالتحديـد هـو الـذي يضـمن المحافظـة عـلى التعدديـة، لأنـه يحـمي العلاقـات البـين-إنسـانية (البينذاتيـة) مـن الاخـتزال ضـمن كليـة. غـير أن الاسـتناد عـلى الـدين لا يلـغي المسـافة الـتي لا يمكـن تجاوزهـا مـع الفلسـفة، ولكـن في الوقـت نفسـه لا تخفـف هـذه المسـافة مـن حتميـة مرجعيـة أحـدهما للآخـر، شريطـة ألا تُفهـم هـذه المرجعيـة كمرجعيـة

منطقيــة أو كمرجعيــة يمكــن أن يكتشــفها التأمــل، بــل كحــدث أخــلاقي، يشــهد عــلى مسـؤولية لا متناهيـة تجـاه الآخـر. لهـذا يقـول ليفينـاس:"نقترح أن نطلـق اسـم الـدين عـلى الصـلة الـتي تنشـأ بـين "الهـو هـو" والآخـر، دون أن تشـكل كليـة"(Levinas, 1971, p.30).

إن الـدين هـو البنيـة الملموسـة والنهائيـة للعلاقـة وجهـا لوجـه، تلـك الـتي لا تُضـفي الطـابع الكـلي عـلى الكائنـات المنفصـلة، ولا تجعلهـا تابعـة للمعرفـة والموضـعة، ولكـن مـع ذلـك حيـث يكـون الإنسـان الواحـد ذا أهميـة ومعـنى بالنسـبة للآخـر، لأنهمـا يرتبطـان بعلاقـة أخلاقيـة سـابقة للمعرفـة. وهكـذا يرسـم "الـدين" نوعـا مـن التعـالي، لا يمكـن اختزالـه في الكليـة، وهـو مـا يسـميه ليفينـاس أيضًـا بالعلاقـة الميتافيزيقيـة أو العلاقـة الإيتيقيـة. ينـافح ليفينـاس عـن الأطروحـة القائلـة بـأن "الدلالـة تسـبق الماهيـة"(Levinas,1974,p.16)، ذلـك أن سـؤال المعـنى يسـبق-في نظـره- سـؤال حقيقـة الوجـود. مـن ثمـة فـإن الأنطولوجيـا لا تكـون كافيـة في نظـره لبنـاء علاقـة إيتيقيـة بـين النـاس، لأن لهـا طـابع كليـاني مغلـق وأنـاني، وهـو مـا يقصي-كل برانيـة ويخـتزل غيريـة الآخـر في الأنـا، طالمـا أن الأنـا ينظـر إلى الوجـود باعتبـاره وجـودا خاصـا بـه. لهـذا يـرى ليفينـاس أن هنـاك حاجـة ماسـة لتوسـيع مجـال المعـنى، مـن خـلال الانفتـاح عـلى التجـارب المـا-قبـل فلسـفية مـن ديـن وأدب، وذلـك لبنـاء إيتيقـا تجعـل مـن المسـؤولية تجـاه الإنسـان الآخـر أهم مقاصدها.

- **الإيتيقا بوصفها فلسفة أولى:**

إذا كانـت الفلسـفة تشـترط التفكـير بوضـوح وإعمـال الحـس النقـدي، وتشـترط أيضـا الاسـتقلالية في إصـدار الحكـم، فـإن الفلسـفة -في نظـر ليفينـاس-لا تمثـل المكـان الـذي يتحقـق فيـه المعـنى الأول للموجـود. وهـو يشـير مـن خـلال ذلـك إلى فلسـفته ذاتهـا، معتـبرا أن كـل فلسـفة تنطلـق مـن تجـارب سـابقة عـلى الفلسـفة وفي حالتـه هـو اليهوديـة، الـتي تبـدو له مرادفة للغيرية، وللمسؤولية المطلقة تجاه الآخرين (بوطيب،2018، ص 28).

إذا كـان النقـد هـو خاصـية "اللوغـوس" الفلسـفي، فـإن الفلسـفة ليسـت فقـط كيفيـة في التفكـير والنظـر لكنهـا أيضـا طريقـة في الكـلام، ذلـك أن الفكـر هـو دائمـا مـتكلم؛ فهـو في نفـس

الآن "حديث عن" و"حديث إلى"، إن الكلام يقتضي– في نفس الوقت معرفة الآخر وتعرف الآخر على الأنا. إذ ليس الآخر موضوعا للمعرفة فحسب، بل تتم تحيته والتحدث معه والاستماع إليه، وهو ما يشترط علاقة إيتيقية أساسها المسؤولية تجاه الآخر. غير أن ليفيناس لم يضع لإيتيقاه قواعد ومعايير حتى لا يتم إدراجها ضمن أية كلية، إنها بمثابة يوتوبيا لما هو إنساني، لهذا نجده يقول: "إن مهمتي ليست هي بناء الإيتيقا، فأنا أحاول فقط البحث عن معناها"(Levinas,1982,p.85). إذ لا يرتكز الفعل الإيتيقي-عند ليفيناس-على الموضعة أو التمثل، بل يتجه مباشرة نحو اللقاء بالآخر، ونحو الإحساس بحقوقه تجاه الأنا. إن كل وعي إيتيقي هو وعي بهذا الاصطفاء، ذلك أن الحدس الأساسي للإيتيقا، في نظر ليفيناس، يكمن في كون الأنا ليس متساوياً مع الآخرين، بل هو مُلزَمٌ بالمسؤولية تجاههم، ومن ثمة يكون أكثر تطلبا تجاه نفسه أكثر من تطلبه تجاه الآخرين. ويتأسس هذا اللا-تماثل الإيتيقي حول الفكرة القائلة بأن انهمام الأنا بالآخر لا يرتبط بانهمام الآخر بالأنا. إذ يرى ليفيناس أن الآخر يعني الأنا حتى ولو تجاهله أو نظر إليه بلا مبالاة. إن الإيتيقا-على خلاف الأنطولوجيا-ترغم الأنا على الخروج من مجال الندية والانتقام إلى مجال المسؤولية اللامتناهية وغير المشروطة تجاه الآخر.

ينافح ليفيناس على أن الإيتيقا هي الفلسفة الأولى بدل الأنطولوجيا، سعيا منه إلى تجاوز مجهولية الكينونة وسيطرتها على الموجودات. وتقوم الإيتيقا عند ليفيناس على قراءة مغايرة للتراث اليهودي الذي تستلهم منه حدوسها، وذلك من خلال ترجمة هذا التراث إلى لغة الفلسفة. إذ يرى ليفيناس أن العلاقة مع الإله تتم بوصفها علاقة مع الناس، وهذا هو أساس العلاقة الإيتيقة التي تجمع بين الوعي بالذات والوعي بالإله. إن معرفة الإله التي يمكن أن نمتلكها، يمكن أن يكون لها معنى إيجابي من خلال الإيتيقا. لهذا يرى ليفيناس "أن الأفق الإلهي ينفتح عبر الوجه الإنساني" (بوطيب،2018، ص17) باعتبار أن هذا الوجه يحمل أمرا مفاده:"لا تقتل أبدا" وهو إلزام إيتيقي وليس أمرا دينيا فقط. ذلك أن الإنسان هو رابط مرور المتعالي، فقد خلق الإله من يمكنه تبليغ رسالته.

إن العلاقة الإيتيقية "سابقة" لتعارض الحريات، وسابقة على الحرب التي تدشّن التاريخ بحسب هيغل. إن وجه الآخر لا يدعو إلى الحرب، بل يفتح نافذة على اللامتناهي. ذلك أن الطريق التي تقود إلى الإله تمر عبر الإنسان، وهذا هو البعد الكوني للديانات التوحيدية، بما فيها اليهودية، الذي يقتضي- أن تكون العلاقة مع الإله تتقاطع مع العلاقة مع البشر- وتتطابق مع العدالة الاجتماعية. وهو ما يعني ربط الجانب الديني بالجانب الإيتيقي. "هناك حركة مزدوجة عند ليفيناس تكمن في التحويل الإيتيقي للوغوس، و"عقلنة" أو بالأحرى ترجمة للحقيقة اليهودية" (بوطيب،2018، ص14). والدليل على ذلك أن المعجمية التي يستعملها ليفيناس في كتابه "آخر الوجود أو ما وراء الماهية" (مثل: الاستعاضة، الإلهام، النبوة، التضحية، الشهادة...) تشير بوضوح إلى أن إيتيقاه مستلهمة من التوراة ومن التلمود. ذلك أن هذا القاموس لم تكن له مكانة في الفلسفة قبل ليفيناس، الذي أقحمه لسبب وجيه، وهو التعريف بتراث" لم تدرك الميتافيزيقا كرامته ومعناه أبدًا، ويشيح عنه الفلاسفة بوجوههم"(Levinas, 1972, p.110).

إن القول بأن الإيتيقا هي الفلسفة الأولى، هو نقطة الدخول لإضاءة العلاقة بين الإيتيقي والديني في فكر ليفيناس. ذلك أن تحليل معنى المسؤولية عنده ينفتح على صياغة فلسفية للمفاهيم الدينية. وهكذا تجد الفلسفة نفسها أمام مجموعة من الظواهر أوسع نطاقًا من أشكال الوعي، يتعلق الأمر بظواهر تشمل المعاني الدينية التي كانت ترتبط تقليديًا بالإيمان وليس بالعقل. يعلمنا ليفيناس أنه من الممكن استثمار المعاني الدينية من خلال استعمال المنهج الفينومنولوجي لبناء فلسفة إيتيقية يكون أساسها المسؤولية اللامتناهية تجاه الآخر. والتي يقول عنها ليفيناس: "إنها مسؤولية سابقة لكل التزام حر"(Levinas, 1978, p.139).

إن التحليل الفينومينولوجي للمسؤولية عند ليفيناس لا يمكن اعتباره خطابًا عن الدين، ولو كان يلتقي معه في مقاصده، ذلك أنه لا يلجأ إلى الدين بوصفه سلطة، وإنما بوصفه تجربة حياة وأفق لظهور معاني إيتيقية، فالمفاهيم الدينية مثل الخلق والاصطفاء والشهادة والتضحية كلها تُعطى لها أهمية من خلال اختزال يعيدها إلى

الموضوع الذي تدل عليه. إذ يتم الأمر كما لو أن التحليل الفينومينولوجي للمسؤولية كافٍ لوحده بغض النظر عن الخلفية الدينية الثاوية وراءها. ذلك أن المفاهيم تبقى وفية للتحليل القصدي، الذي يعني إعادة إنتاج المفاهيم في أفق ظهورها كما تمنح نفسها للرؤية، سواء من خلال الإحالة إلى الحياة أو التجربة أو ما هو ملموس. وهكذا تصبح ظواهر ليفيناس الإيتيقية مفتوحة حتى أمام "اللادينيين"، وذلك بجعلهم يقتربون من أهمية المعاني الدينية في جانبها الأخلاقي. ويمكن القول إن تديّن الذات المسؤولة عند ليفيناس هو نوعٌ من التحويل العلماني للدين إلى أخلاق. "إن فينومينولوجيا المسؤولية لا تدع الظواهر الدينية تسقط في اللاعقلانية أو في الدوغمائية(...) كما لا تترك التجربة الدينية في إيمان صامت، بل تعبر عن أهميتها. وهكذا تأتي الفلسفة لتنقذ الفكر اللاهوتي"(Kosky,2001,p.147). ولعل ذلك ما دفع ليفيناس إلى التأكيد على أهمية الفينومينولوجيا بوصفها منهجا يمكن بواسطته العودة إلى الإنسان في جانبه الملموس والحقيقي، وسيكون الدين أكبر شاهد على ذلك.

خاتمة:

بناءً على ما سبق نخلص إلى أن ليفيناس فيلسوف يفكر أيضا من داخل الدين، وليس فقط من داخل الفلسفة أوضدها، إذ يتعلق الأمر-في نظر ليفيناس-بمنبعين مهمين للحكمة رغم اختلافهما. إن خصوصية فلسفة ليفيناس لا يمكن الإمساك بها إلا ضمن إطار المقارنة بين: "لوغوس" النصوص الدينية و"لوغوس" الفلسفة، ذلك أنه فقط في ضوء لقاءٍ مشابه يكون مكانا لقرب حميمي ولمسافة لا يمكن اختزالها، يمكن فهم سبب تأكيد ليفيناس على أن "اللوغوس هو إيتيقا"، بوصفه نقطة التقاء بين الدين والفلسفة. إن ما يثير الانتباه عند قراءة كتاب"الكلية واللامتناهي" ليس هو التحليل الفينومينولوجي وإنما هو الإحالة إلى النصوص الدينية، ويمكن القول إننا لن نفهم فلسفة ليفيناس جيدا إذا لم نستحضر هذا الأمر بوصفه خلفية للقراءة.

يرى ليفيناس أن الديانات التوحيدية تحمل بداخلها نزعة إنسانية ومعاني إيتيقية، سيكون من المفيد ترجمتها إلى لغة الفلسفة بعد إعمال النظر العقلي فيها، والمقصود بذلك جعل المعاني دينية وتأسيسها فلسفيا، وهو ما لن يتأتى إلا من خلال ربط الجسور بين الدين والفلسفة بعيدا عن أية أحكام مسبقة أو مختزلة. فقد كان رهان ليفيناس هو بناء فلسفة تكون فضاء لالتقاء المعاني الدينية مع نظيرتها الأنطولوجية، مع المحافظة على المسافة التي تفصل بينهما، أي البقاء بعيدًا عن إخضاع الفلسفة لأي نزعة لاهوتية، وذلك من أجل تجديد الفكر الإيتيقي في ضوء مساءلة غير مسبوقة لمعنى العلاقة مع الإنسان الآخر.

قائمة المصادر والمراجع:

المراجع باللغة العربية:

بوطيب، رشيد. (2018). نقد الحرية: مدخل إلى فلسفة إمانويل ليفيناس. دار ضفاف. بيروت.

المصادر باللغة الأجنبية:

Levinas ,E. (1994). Les imprévus de l'histoire. Fata Morgana. Montpellier.

Levinas, E. (1991). Entre nous: essai sur le penser à l'autre. Édition Grasset. Paris.

Levinas ,E. (1982).Éthique et infini. Fayard. Le livre de Poche. Paris.

Levinas, E. (1976). Difficile liberté: Essais sur le judaïsme. Albin Michel. Paris.

Levinas, E. (1974). Autrement qu'être ou- au delà de l'essence. Martinus Nijhoff.

Levinas, E. (1972). Humanisme de l'autre homme. Fata Morgana. Paris.

Levinas, E.(1971). Totalité et infini: essai sur l'extériorité. Martinus Nijhoff. La Haye.

المراجع باللغة الأجنبية:

Caygill, H.(2002).Levinas and the political. Routledge. London.

Janicaud, D.(1992). Le tournant théologique de la phénoménologie française.Éditions de l'Éclat. Paris.

Kosky, Jeffrey L. (2001). Levinas and the Philosophy of Religion.USA.

Mosès, S. (2003). Système et révélation et: La philosophie de Franz Rosenzweig. Bayard. Paris.

Poirié, F. (1987).Emmanuel Levinas Qui êtes-vous?.Edition La Manifacture. Lyon.

Wolff, E. (2007). De l’éthique à la justice: langage et politique dans la philosophie de Levinas. Springer. Netherlands.

نحو فهم سلطة الكلمة:
العنصرية في ضوء التحليل النقدي للخطاب

Towards understanding the power of the word: racism in light of critical discourse analysis

الباحثة: شيماء البهتري
c.elbahtari0508@uca.ac.ma
الأستاذ: عبد العالي قادا
Yahyaqada77@gmail.com
كلية اللغة العربية
جامعة القاضي عياض بمراكش
المملكة المغربية

الملخص:

يهدف المقال إلى استكشاف العلاقة المعقدة بين العنصرية والخطاب من خلال عدسة التحليل النقدي للخطاب (CDA)، مع تسليط الضوء على كيفية إدامة خطاب النخبة للعنصرية من خلال التمييز اللفظي وتعزيز التحيزات العرقية. ويؤكد على الحاجة الملحة لفهم دور الخطاب في نشر الإيديولوجيات العنصرية. خاصة في ظل سياق صعود اليمين المتطرف وما رافقه من تنامي الكراهية ضد المهاجرين. تهدف الدراسة إلى تحليل كيفية تشكيل اللغة للتسلسلات الهرمية والحقائق الاجتماعية، وذلك باستخدام متن تجريبي لتوضيح الاستراتيجيات الخطابية التي تبني الإيديولوجيات العنصرية وتحافظ عليها وتعيد إنتاجها. وفي نهاية المطاف، تظهر النتائج أن العنصرية لا تتعلق فقط بالتحيز، بل تتعلق أيضا بديناميكيات السلطة، حيث تلعب دورا حاسما في إدامة التمييز العنصري.

الكلمات المفاتيح:

العنصرية، الانحياز، التحليل النقدي للخطاب، اللغة والسلطة.

Abstract:

The article aims to explore the complex relationship between racism and discourse through the lens of critical discourse analysis (CDA), highlighting how elite discourse perpetuates racism through verbal discrimination and

reinforcement of racial biases. It emphasizes the urgent need to understand the role of discourse in spreading racist ideologies. Especially in the context of the rise of the right and the accompanying growth of hatred against immigrants. The study aims to analyze how language shapes hierarchies and social realities, using an empirical corpus to illustrate the discursive strategies. Ultimately, the findings show that racism is not just about prejudice, but also about power dynamics, which play a critical role in perpetuating racial discrimination.

Keywords:

Racism, Bias, Critical Discourse Analysis, Language and Power.

المقدمة

غالبا ما ينظر إلى اللغة على أنها أداة محايدة للتواصل، إلا أنها تخفي في طياتها إمكانات أكثر للتلاعب؛ إذ يمكن أن تكون بمثابة سلاح تستخدمه النخب لتكريس التسلسل الهرمي القائم، وترسيخ الصور النمطية المتداولة. يبحث مقالنا في هذا الجانب المظلم من اللغة من خلال محورين:

أولهما عبارة عن محور نظري يستكشف التفاعل المعقد بين اللغة والهياكل الاجتماعية، مع التركيز على تأثير الصور النمطية، والوصم الثقافي الذي تتعرض له بعض اللغات غير القياسية كتلك التي طورتها مجتمعات المهاجرين مثل الأمريكيين من أصل إفريقي، وكيف يمكن لها أن تتحول إلى أداة مقاومة ضد ثقافة النبذ اللغوي؟

سيكون تركيزنا في هذا المقال منصبا على رصد مظاهر استخدام اللغة للحفاظ على اختلالات توازن القوى، لا سيما عندما يتعلق الأمر بالعرق. وهنا، سيصبح التحليل النقدي للخطاب (Critical Discours Analysis - CDA) بمثابة الضوء الهادي لنا في المحور الثاني أي المحور التطبيقي، حيث سيضيء الطرق المعقدة التي يعزز بها الخطاب الإديولوجيات المعاصرة.

ومن خلال مقاربتين مختلفتين من مقاربات التحليل النقدي للخطاب للمحتوى العنصري، سنقوم بتحليل مثال من الخطاب السياسي: وهي تغريدة تتضمن محتوى وصف بأنه عنصري قام الرئيس الأمريكي السابق دونالد ترامب بإعادة نشرها على حسابه الخاص خلال حملته الإنتخابية سنة 2015. تتيح لنا دراسة هذا النموذج المحدد تجاوز المناقشات النظرية إلى الوقوف على الطرق الملموسة التي يمكن من خلالها استخدام اللغة كسلاح.

- أول المقاربيتن هي المقاربة التاريخية للخطاب (Discours-Historical Approach - DHA) والتي تم تطويرها من طرف الباحثة روث فوداك تؤكد على الدور الحاسم للسياق التاريخي والاجتماعي في تشكيل الخطاب. ومن خلال تطبيق هذه المقاربة على التغريدة الموصوفة بالعنصرية سنستكشف ما يلي:

كيف تعكس التغريدة الإيديولوجيات المجتمعية القائمة حول العرق؟

ما هي هياكل السلطة الضمنية التي يتم تعزيزها من خلال اختيارات لغوية محددة؟

كيف تؤثر الروايات التاريخية والأحكام المسبقة على الرسالة المنقولة؟

من خلال دراسة هذه الجوانب، يمكننا الكشف عن النية الأعمق وراء إعادة نشر التغريدة، وكشف كيف يمكن تحميل الاختيارات اللغوية التي تبدو ظاهر الأمر غير مسيئة بإيحاءات عنصرية.

- أما المقاربة الثانية فهي المقاربة السوسيو معرفية التي طورها فان دايك: وهي تركز على كيفية قيام هياكل الخطاب بتفعيل وإضفاء الشرعية وإعادة إنتاج عدم المساواة الاجتماعية. وبتطبيق هذه المقاربة على التغريدة سنقوم بتحليل:

كيف لعبت التغريدة دور ممارسة سلطوية للغة، عن طريق تعزيز فكرة الأفراد السود هم بطبيعتهم أكثر ميلا للعنف؟

كيف يعمل التلاعب بالاحصائيات، مع عدم ذكر السياق أو المصدر، على تعزيز الرسالة العنصرية؟

كيف يعزز التمثيل الانتقائي للجريمة الانقسامات العنصرية ويغذي التحيز؟

ومن خلال مقاربة فان دايك، يمكننا أن نرى كيف تستخدم التغريدة استراتيجيات لغوية محددة للتلاعب بالمعلومات وإدامة أجندة عنصرية.

هذا التحليل النقدي لتغريدة محددة، باستخدام كل من مقاربتي روث فوداك وفان دايك، هو بمثابة نموذج مصغر لقضية مجتمعية أكبر؛ متمثلة في العنصرية في الخطاب. ومن خلال فهم هذه الآليات، نكتسب الأدوات اللازمة للتعامل بشكل نقدي مع اللغة بجميع أشكالها، وتمكين أنفسنا من تحدي الخطاب العنصري والعمل من أجل مجتمع أكثر تقبلا للاختلاف.

1. اللغة والصور النمطية، في محاولة لفهم تأثيرها على ديناميكيات المجتمع

تعد اللغة، باعتبارها أداة أساسية للتواصل، كيانا قويا يساهم في تشكيل تصوراتنا وهوياتنا وهياكلنا المجتمعية. إنها مرآة تعكس تجاربنا الثقافية، وعدسة ننظر من خلالها إلى العالم. وفي المحور النظري الموسوم ب"اللغة والصور النمطية، في محاولة فهم تأثيرها على ديناميكيات المجتمع" سنتعمق في الدور المتعدد الأوجه للغة في المجتمع. من خلال استكشاف كيف تعمل اللغة على تكريس الصور النمطية، وتقاطعات اللغة والعرق وديناميكيات السلطة في مجال اللسانيات العرقية الناشئ (raciolinguistics)، والتأثير الممتد للغات الاستعمار على الخطاب الحديث، والأهمية الثقافية للغات العرقية، بالاضافة إلى الوصم المجتمعي المرتبط ببعض اللغات غير القياسية، والتأثير الخفي الذي تمارسه اللغة على أفكارنا وسلوكياتنا.

وبينما نتنقل عبر هذه التيمات، تواجهنا العديد من التساؤلات الحاسمة: فمثلا كيف تعزز اللغة الصور النمطية بمهارة وتفاقم التمييز؟ وماهو الدور الذي تلعبه اللغة في التفاعل بين ديناميكيات العرق والسلطة، وكيف يؤثر ذلك على الهياكل المجتمعية؟ وكيف يستمر إرث الاستعمار في تشكيل مشهدنا اللغوي وتصوراتنا العرقية؟ وكيف تكون اللغات العرقية (مثل الانجليزية الأمريكية الإفريقية) بمثابة انعكاس للهوية الثقافية، وكيف تؤثر المواقف المجتمعية تجاههم على هويتهم الجماعية؟ وكيف

يعكس وصم اللغات غير القياسية المواقف المجتمعية الأوسع وما هي العواقب الواقعية لهذا الوصم؟ وأخيرا كيف تشكل اللغة، باعتبارها مؤثرا غير مرئي، تصوراتنا وسلوكياتنا وبنياتنا المجتمعية؟

ومن خلال هذا الاستكشاف نهدف إلى تسليط الضوء على الطرق المعقدة التي تشكل بها اللغة، بوعي أو بغير وعي، فهمنا للعرق والهوية وديناميكيات السلطة، وفي نهاية المطاف لرؤيتنا للعالم. إن التفاعل مع هذه التساؤلات ليس محض مسعى أكاديمي، بل هو خطوة نحو مجتمع أكثر شمولا وإنصافا يعترف بقدرة اللغة على تشكيل تجربتنا الجماعية.

1- 1 اللغة باعتبارها بناء اجتماعيا: دور اللغة في إدامة الصور النمطية

ليست اللغة مجرد أداة للتواصل، ولكنها أيضا آلية قوية يمكن "أن تساهم في تكوين الصور النمطية والحفاظ عليها، ويتم ذلك بشكل غير واع في كثير من الأحيان"[19]. فلغتنا اليومية مليئة بالاشارات الصريحة والضمنية إلى الفئات الاجتماعية، بما في ذلك تلك القائمة على وضع الأقلية والعمر والجنس، وهذا الدمج الدقيق للقوالب النمطية في اللغة يمكن أن يعزز التحيزات القائمة ويؤدي إلى التمييز.

وفي محاولة لتحصيل فهم أعمق لهذه الظاهرة تركز أبحاث حديثة مثل دراسة الباحث كاميل بيوكيبوم من أمستردام على تعقيدات استخدام اللغة الطبيعية. حيث تبدل الجهود ل "تطوير أدوات برمجية يمكنها الكشف عن الصور النمطية والتحيزات في النصوص"[20]، مما قد يشكل خطوة مهمة نحو خلق الوعي والفهم حول دور اللغة في تشكيل الصور النمطية. لا ينطبق هذا البحث على اللغة الانجليزية والهولندية فحسب، بل يمكن توسيعه ليشمل لغات أخرى أيضا.

2. اللسانيات العرقية: اللغة والعرق وديناميكيات السلطة

علم اللسانيات العرقية raciolinguistics هو مجال ناشئ يدرس العلاقة المعقدة بين اللغة والعرق والسلطة، وكيف تشكل هذه العناصر هياكلنا المجتمعية. إنه يعترف بأن اللغة هي أداة ثقافية حاسمة تحدد هويتنا وتميزنا عن الآخرين. لقد تطور هذا المجال بسبب "ضرورة فهم التفاعل الوثيق

[19] « Language use can contribute to the formation and maintenance of stereotypes and discrimination, often unconsciously » (Beukeboom, 2003)

[20] « They are also developing a software toolset to automatically detect stereotypes and biases in texts » (Beukeboom, 2003)

بين العرق والعنصرية واللغة، وكيف تظهر هذه الديناميكيات عبر مجالات مختلفة مثل السياسة والتعليم"[21].

قام خبراء جامعة ستانفورد، بما في ذلك سامي عليم وريكفورد وبول، بتجميع الأبحاث العلمية في كتابهم "اللسانيات العرقية: كيف تشكل اللغة أفكارنا حول العرق"، والذي يستكشف هذه المواضيع عبر مجتمعات مختلفة في جميع أنحاء العالم. ويؤكد الأنتروبولوجي عليم على "أهمية دراسة اللسانيات العرقية كمجال متميز لما له من تأثير عميق على بنية المجتمعات البشرية"[22]، وبالتالي فهو يستحق إفراده بمجال منفصل وهو ما أطلق عليه raciolinguistics.

3. أصداء الماضي: الموروثات الاستعمارية في الخطاب الحديث

يستمر التأثير الدائم للاستعمار على اللغة في تشكيل التصورات العنصرية في المجتمع المعاصر. إن الموروثات الاستعمارية متجذرة في اللغة التي نستخدمها اليوم، مما يؤثر على كيفية إدراكنا للعرق والمساهمة في إدامة التسلسل الهرمي العنصري. لقد تركت لغة المستعمرين، التي ينظر إليها في كثير من الأحيان على أنها لغة القوة، بصمة دائمة على المشهد اللغوي للمستعمرات السابقة.

وهذا أدى إلى "تشكل لغات جديدة مختلطة تجمع بين اللغات الأصلية واللغات الاستعمارية ... وغالبا ما يتم قمع تلك اللغات لصالح اللغات الرسمية، مما يخلق مشاكل مثل الانقسامات الطبقية والتوترات العرقية"[23] مما أثر ليس فقط على الطريقة التي يتحدث بها الناس ولكن أيضا على طريقة تفكيرهم في العرق والهوية. يتطلب هذا التأثير التاريخي للاستعمار على اللغة إجراء فحص نقدي للخطاب الحديث لكشف ومعالجة هذه التحيزات العميقة الجذور.

4. اللغات العرقية: مرآة لغوية للهوية

تعمل اللغات العرقية، مثل اللغة الإنجليزية الأمريكية الأفريقية (AAE)، بمثابة مرآة لغوية للهوية، بحيث تعكس العلاقة المعقدة بين اللغة والخبرات الثقافية للمجموعات العرقية. هذه اللهجات

[21] « It's a field that grew out of a need to understand that there is a close relationship between race, racism and language and how these processes impact our lives across domains like politics and education » (Aleem, 2016)

[22] « the relationship between race, language and racism plays such a key role in reflecting and defining the way human societies are structured that it deserves study as a separate field, which he calls raciolinguistics. » (Aleem, 2016)

[23] « The effects of colonialism on language is the creation of creole languages, pidgin English and other mixed languages, yet these languages are often supressed in favour of formal and standard languages, creating problems such as class divides and racial tensions » (Green, 2020)

ليست مجرد انحرافات عن اللغة القياسية، ولكنها أنظمة لغوية متميزة لها قواعدها وهياكلها الخاصة. AAE، على سبيل المثال، لديها سمات نحوية ومعجمية وصوتية فريدة من نوعها متجذرة بعمق في التجارب التاريخية والاجتماعية للمجتمعات الأمريكية الأفريقية.

يعتبر تحليل دور اللغات العرقية في تشكيل الهوية العرقية وتسهيل التواصل بين الثقافات أمر بالغ الأهمية. إنها بمثابة علامات على هوية المجموعة، وتعزز الشعور بالانتماء والفخر الثقافي. ومع ذلك، يمكن أيضًا أن تتعرض المجموعات العرقية للوصم، وما يطلق عليه الباحثون ب'العنصرية اللغوية' التي يتم تعريفها على أنها "سوء المعاملة والتقليل من القيمة وأعمال التمييز تجاه الأشخاص على أساس استخدامهم للغة أو اعتقاداتهم حول أصولهم العرقية"[24] مما يؤدي إلى تكريس الصور النمطية السلبية. إن فهم الخصائص اللغوية والأهمية الاجتماعية والثقافية للعرقيات أمر حيوي لتقدير العملية المعقدة لتشكيل الهوية والفروق الدقيقة في التواصل داخل المجتمعات المتنوعة.

5. المنبوذون اللغويون: وصم اللغات غير القياسية

غالبا ما تواجه اللغات غير القياسية، مثل اللغات المبسطة واللغات المختلطة، وصمة عار مجتمعية. تنشأ هذه اللغات من اندماج مجتمعات لغوية مختلفة، وكثيرا ما ينظر إليها على أنها أدنى من اللغات القياسية. يمكن لمثل هذه التحيزات أن تؤثر بشكل كبير على الهويات والشعور بالانتماء المجتمعي للمتحدثين بهذه اللغات.

تتطلب مكافحة وصم اللغات غير القياسية تحولا في المنظور لتحدي الصور النمطية والمفاهيم الخاطئة القائمة. ومن الضروري الاعتراف بثراء التنوع اللغوي والدعوة إلى سياسات لغوية شاملة تحترم جميع أشكال التعبير اللغوي. ف"مع تزايد عولمة عالمنا، أضحى تقبلنا للآخرين ولهجاتهم أمرا لا محيد عنه"[25]، إذ من خلال فهم السياقات الاجتماعية والثقافية والتاريخية التي تؤدي إلى ظهور لغات غير معيارية، يمكن بذل الجهود لتعزيز بيئات لغوية أكثر شمولا وإنصافا.

6. اللغة: ذلك المؤثر الخفي

تتمتع اللغة بقدرة تأثيرية هائلة على تصوراتنا وسلوكياتنا وبنية المجتمع. إنها بمثابة سلطة غير مرئية تؤثر على أفكارنا وتفاعلاتنا. في مجالات مختلفة، مثل التسويق والسياسة ووسائل التواصل الاجتماعي، يتم استخدام اللغة كأداة للتأثير والتلاعب. إن الطريقة التي يتم بها صياغة

[24] « Linguistic racism is defined as the mistreatment, devaluation, and acts of discrimination towards people based on their language use or perceptions about their ethnicities. » (Ashtari & Krashen, 2023)

[25] « As our world grows more globalized, our acceptance of others—and their accents—is paramount. » (Ashtari & Krashen, 2023)

المحتوى الرقمي، من خلال اختيار الكلمات والاستراتيجيات البلاغية، يمكن أن تغير بشكل كبير كيفية تلقي المعلومات ومعالجتها، وهذا يعني أن "كل استخدام للغة يسهم بشكل صغير في إعادة إنتاج/أو تحويل المجتمع والثقافة، بما في ذلك علاقات السلطة. وهنا تكمن سلطة الخطاب؛ ولهذا السبب فإن الأمر يستحق النضال من أجله"[26].

إن إدراك الدور المؤثر للغة أمر ضروري لتطوير التفكير النقدي ومحو الأمية الإعلامية. فهو يمكن الأفراد من تمييز تقنيات الإقناع الموجودة في الاتصالات اليومية والتعامل ببراعة مع تدفق المعلومات في العصر الرقمي. إن الوعي بقدرة اللغة على تشكيل أفكارنا وأفعالنا يمكننا من أن نكون مستهلكين أكثر تيقظا في تلقي المعلومة، وننخرط بشكل فعال في تشكيل رؤيتنا الخاصة.

المحور الثاني: التحليل النقدي للخطاب مدخلا لكشف دور الخطاب العنصري في تكريس السلطة.

في المحور الثاني من دراستنا، سينتقل اشتغالنا إلى الممارسة التحليلية، حيث سنوظف بشكل منهجي الإطار الشامل للتحليل النقدي للخطاب (Critical Discourse Analysis -CDA). وهو منظور تفسيري متعدد التخصصات يبحث في التفاعل المعقد بين الظواهر اللغوية والهياكل المجتمعية.

وضمن نطاق هذا المنظور الشامل، سنستثمر على وجه التحديد نموذجين:

- أولهما المقاربة التاريخية للخطاب (The Discourse-Historical ApproacDHA) التي طورتها روث فوداك، والتي تؤكد على الدور الأساسي للمسارات الاجتماعية والسياسية والسياق التاريخي في تشكيل الخطاب.

- وثانيهما منظور فان دايك السوسيو معرفي (The sociocognitive approach) ، وهو منظور فريد يتصور الخطاب كقناة للتفاعل الاجتماعي، بحيث يشكل ويتشكل في الآن نفسه من خلال المخططات الإدراكية، أي أنه يلقي الضوء على الآليات التي من خلالها تتشكل الحقائق الاجتماعية الإدراك الفردي وتتشكل به.

إن متن اشتغالنا سيكون عبارة عن تغريدة تم وصفها بأنها تتضمن محتوى عنصريا قام الرئيس الأمريكي السابق دونالد ترامب بإعادة نشرها أثناء حملته الانتخابية سنة 2015.

[26] « This entails that every instance of language use makes it own small contribution to reproducing and/or transforming society and culture, including power relations. That is the power of discourse; that is why it is worth struggling over. » (Fairclough, Mulderring, & Wodak, 2011, p.370)

وبينما ننجز هذا التحليل، فإننا نواجه تساؤلات ملحة من قبيل: كيف تعكس هذه التغريدة الإيديلوجيات المجتمعية؟ وما هي هياكل السلطة الضمنية التي تعززها من خلال اختياراتها اللغوية؟ وكيف أثرت الاستمرارية التاريخية على سردها؟

وهكذا سنسعى من خلال تحليل هذا الخطاب الحساس إلى كشف هذه التعقيدات، وبالتالي محاولة فهم الطبيعة المتعددة الأوجه لمثل هذا الممارسات الخطابية الإقصائية.

1- المقاربة التاريخية للخطاب، روث فوداك

(The discourse-historical approach)

(DHA) هي مقاربة حديثة تستخدم في تحليل الخطاب، وتتميز بطبيعتها المتعددة التخصصات، واشتغالها على مجموعة متنوعة من الخطابات. إنها تهدف في الأساس إلى تجاوز البعد اللغوي البحت، وإدراج الأبعاد التاريخية والسياسية والاجتماعية والنفسية بشكل منهجي في تحليل وتفسير حدث خطابي معين.

تنظر هذه المقاربة إلى الخطاب المكتوب والمنطوق باعتباره شكلا من أشكال الممارسة الاجتماعية. بحيث تفهم الخطاب على أنه "مجموعة معقدة من الأفعال السيميائية المترابطة والمعتمدة على السياق والتي تقع ضمن مجالات محددة من الفعل الاجتماعي."[27] هذه الأفعال مكوِنة ومكوَنة اجتماعيا، وترتبط بموضوع كلي. وهي مرتبطة بالجدل الحاصل حول ادعاءات الصحة مثل ثانئية الصواب والخطإ، والتي تنخرط فيها العديد من الجهات الفاعلة اجتماعيا والتي تمتلك وجهات نظر متضاربة.

ينظر إلى الخطابات المشتغل عليها على أنها أجزاء من الواقع الاجتماعي التي تؤطر المشهد العام وفقا للوظائف المؤسسية ففي مجال العمل السياسي مثلا، يتم التمييز بين وظائف مختلفة، مثل التشريع، وتشكيل المواقف والرأي العام، وتطوير الواقف الداخلية الحزبية، وتشكيل المواقف المتفاعلة خارجيا بين الأحزاب، وتنظيم العلاقات الدولية المشتركة بين الدول، ووظيفة التنفيذ والإدارة والتحكم والتعبير عن الرفض و المعارضة

يمكن أن يبدأ خطاب ما حول موضوع معين ضمن مجال عمل واحد، ثم ينتقل إلى مجالات عمل أخرى حيث تتقاطع الخطابات بين المجالات، أو تتداخل، أو تشير إلى بعضها البعض، أو

[27] « We consider 'discourse' to be a cluster of context-dependent semiotic practices that are situated within specific fields of social action » (Wodak & Reisigl, 2009)

تترتبط بطريقة وظيفية مع بعضها البعض. يتم وصف وتحليل هذه العلاقات في إطار المقاربة التاريخية للخطاب باستخدام مفاهيم من قبيل "التناص"[28]، "التداخل بين الخطابات"[29] وغيرها.

تعتبر الممارسات الخطابية مؤسسة اجتماعيا بعد طرق: أولا، تلعب دورا حاسما في إنتاج ظروف اجتماعية معينة. تعمل الخطابات على بناء موضوعات جماعية مثل الأجناس، والأمم والأعراق. ثانيا، إنها تعيد إنتاج أو تبرير وضع اجتماعي راهن والهويات "العنصرية"[30] و"الإثنية" المرتبط به. ثالثا، هي مفيدة في تغيير الوضع الراهن وال"المفاهيم العنصرية" والقوميات ولاعرقيات المرتبطة به. رابعا للمارسات الخطابية أثر في تفكيك أو حتى تدمير الوضع الراهن والمفاهيم العنصرية والقومية والاثنية المرتبط به.

وفقا لهده الأهداف العامة، يمكن التمييز بين الوظائف الكلية البناءة، والدائمة، والتحويلية للخطابات. إذ تعتمد المقاربة التاريخية للخطاب على مفهوم "السياق" الذي يأخذ في الاعتبار:

1 اللغة المباشرة، أو النص المشترك الداخلي والخطاب المشترك، للكلام والعمليات التفاعلية المحلية للتفاوض وإدارة الصراع؛

2 العلاقة التناصية والاستطرادية بين الأقوال والنصوص والأنواع والخطابات؛

---

[28] **التناص (intertextuality)** حسب DHA هو ذلك الترابط الحاصل بين النص قيد التحليل ونصوص أخرى سواء في الماضي أو الحاضر.

للمزيد أنظر (Wodak & Reisigl, 2009) الصفحة 90.

[29] **التداخل بين الخطابات (interdiscursivity)** هو تناص بدرجة أشمل، حاصل بين الخطابات، فمثلا نلاحظ أن الخطاب حول تغير المناخ يشير في كثير من الأحيان إلى موضوعات فرعية من خطابات أخرى، مثل الشؤون المالية أو الصحة...

للمزيد أنظر (Wodak & Reisigl, 2009) الصفحة 90.

[30] **العنصرية (racism)** "نظام مجتمعي معقد من الهيمنة العرقية أو الإثنية وما كل ينتج عنه من مظاهر عدم المساواة".

للمزيد أنظر (DIJK T. A., 1993) الصفحة 18.

3 المتغيرات الاجتماعية / اللغوية الخارجية والأطر المؤسسية "لسياق الموقف" المحدد؛

4 السياق الاجتماعي والسياسي والتاريخي الأوسع الذي ترتبط به الممارسات الخطابية.

هناك العديد من العناصر الخطابية التي يمكن تحديدها عندما يتعرض الأفراد المستهدفون للتمييز. ويمكن إجمالها في خمسة أنواع من الاستراتيجيات الخطابية (باعتبارها ممارسات متعمدة لتحقيق هدف معين)، والتي يتم توظيفها جميعا للعرض الإيجابي للذات والسلبي للآخر.

1- استراتيجية التصنيف، تصنيف الأفراد إلى مجموعات داخلية وأخرى خارجية دخيلة مثلا

2- الاسناد النمطي للصفات السلبية أو الإيجابية لتلك المجموعات المصنفة

3- إضفاء الشرعية على الخصائص الإيجابية أو السلبية التي تم إسنادها وذلك لتبرير التمييز العنصري وعادة ما يتم ذلك عن طريق استخدام المغالطات.

4- التعبير عن وجهات النظر من خلال ذلك المنظور المؤطر سلفا

5- توظيف استراتيجيات تكثيف تسلط الضوء على إيجابيات النخبة من جهة واستراتيجيات تخفيف تسلط الضوء على مساوئ الفئة المهمشة من جهة أخرى. وكلاهما يؤهل ويهيء المجال لتقبل التصريحات العنصرية المباشرة.

وفيما يلي سنطبق المقاربة التاريخية للخطاب لروث فوداك من خلال مثال لخطاب سياسي مأخوذ من الحملة الانتخابية لدونالد ترامب أمريكا سنة 2015، حيث أعاد نشر تغريدة على حسابه الخاص على منصة تويتر سابقا، x حاليا، تتضمن صورة تقارن جرائم القتل بين السود وعمليات القتل على يد الشرطة (انظر الصورة أسفله)[31].

تندرج الصورة قيد التحليل ضمن مجال الدعاية السياسية، وهي تظهر رجلا داكن البشرة يرتدي لثاما يحجب وجهه، وحقيبة تحيط بخصره، وقميصا داكنا، مع سروال على الطراز العسكري، ويلوح بمسدس جانبي، جنبا إلى جنب مع إحصاءات الجريمة التي تزعم أن نسبة "قتل السود على يد الشرطة ~~ 1٪ ، وقتل السود على يد السود ~~ 97%".

[31] https://twitter.com/realDonaldTrump/status.html

تم تصميم صورة الرجل في هذه التغريدة لإثارة مجموعة معينة من الأفكار المسبقة. يمكن تفسير ملابسه، ولاسيما حقيبة الخصر والسراويل ذات الطراز العسكري، على أنها رموز للانتماء إلى عصابة أو نوايا إجرامية. إن وضع المسدس جانبا هو عبارة مجازية غالبا ما ترتبط بالعنف الحضري في وسائل الإعلام الشعبية، مما يعزز هذه الرواية. ومن خلال إظهار رجل ذو بشرة داكنة في هذا السياق، تلعب الصورة دورا في ترسيخ الصور النمطية العنصرية مما يعزز صورة الاجرام الذي قد يثير الخوف أو القلق.

يميل القميص الداكن واللثام الذي يرتديه الرجل إلى تجريده من إنسانيته، مما يقلل منه ويهوي به إلى منزلة صورة نمطية وليس فردا. يتم تضخيم هذا التأثير من خلال حقيقة أن وجهه مخفي، مما يسهل على المشاهدين إسقاط مخاوفهم وأحكامهم المسبقة عليه. إن غياب الفردية يمكن أن يغرس الخوف الكامن من المجهول، مما يزيد من تأثير الصورة.

وإذا أخذنا بعين الاعتبار أن المقاربة التاريخية في تحليل الخطاب لفوداك تؤكد على أهمية السياق والتناص (intertextuality)[32] والأبعاد التاريخية للخطاب. ففي هذا الإطار، لا تعد الصورة مجرد قطعة تواصل مستقلة، ولكنها متشابكة مع الروايات التاريخية عن العرق والجريمة في الولايات المتحدة. يستغل تصوير الرجل ذو البشرة الداكنة خطابا طويل الأمد يربط بين السواد والإجرام، وهي صورة نمطية تم تكريسها من خلال مختلف وسائل الإعلام والخطاب السياسي على مر القرون. وقد تم استخدام هذا السرد التاريخي لتبرير العنصرية النظامية، والإقصاء، والممارسات التمييزية، من العبودية إلى قوانين جيم كرو[33]، ويستمر في التأثير على الديناميكيات الاجتماعية والسياسية المعاصرة.

2- المقاربة السوسيو معرفية للعنصرية، فان دايك

وغير بعيد عن المقاربة التاريخية للخطاب لفوداك، تركز مقاربة فان دايك ذات الطابع السوسيومعرفي (sociocognitive approach) ضمن مجال التحليل النقدي للخطاب على الطرق التي تسن بها هياكل الخطاب، أو تؤكد، أو تشرع، أو تعيد إنتاج، أو تتحدى علاقات السلطة

---

[32] انظر (Wodak & Reisigl, 2009) الصفحة 90.

[33] قوانين "جيم كرو": هي قوانين سنت منذ بداية عام 1870 حيث فرضت فصلا عنصريا بين السود والبيض في الأماكن العامة (بما في ذلك المواصلات)، كما تم فصل التعليم أيضا؛ فلا يحق لأطفال الأميركيين الأفارقة ارتياد مدارس البيض، وأصبح الزواج بين الأعراق غير قانوني، كما فُرض على السود اجتياز اختبارات محو الأمية قبل أن يحق لهم التصويت.

والهيمنة في المجتمع. وعلى كيفية "استخدام اللغة لإدامة عدم المساواة الاجتماعية، وإعادة إنتاجها، وإضفاء الشرعية عليها، وكيف يمكن لها في المقابل أن تكون أداة للعمل الاجتماعي والمقاومة."[34] ومن خلال هذه العدسة، يمكن النظر إلى الصورة التي أعاد ترامب نشرها على أنها ممارسة من ممارسات السلطة، مما يعزز الإديولوجية العنصرية السائدة التي تضع الأفراد السود على أنهم أكثرا ميلا للعنف بطبيعتهم، وخاصة داخل مجتمعاتهم. فالإحصائيات المعروضة في الصورة، الخالية من السياق أو من التحقق، هي وسيلة لتعزيز رسالة الصورة. فيتم عرض السطور "قتل السود على يد الشرطة ~~ 1%" و"السود يقتلهم السود ~~ 97%" بشكل بارز، مع الاستفادة الموضوعية المتصورة لسلطة البيانات الرقمية لإضفاء مصداقية إضافية على السرد.

ومع ذلك، يتم تقديم هذه الاحصائيات بدون مصدر، مما يترك مجالا لسوء التفسير والتلاعب. إن استخدام الحروف والأرقام الكبيرة وكتابة جزء منها بلون أحمر وبخط عريض غرضه التأكيد، فهذا اللون يستخدم غالبا في التواصل الرقمي للدلالة على الأهمية، مما يزيد من قيمة الصدمة لهذه الأرقام.

إن النغمات العنصرية للإحصاءات إذن لا لبس فيها. فمن خلال التركيز فقط على الجريمة داخل مجتمع السود، ترسم التغريدة ضمنيا صورة للعنف المستشري. ويساهم هذا التمثيل الانتقائي في إدامة الصور النمطية الضارة، ويمكن أن يعزز الانقسامات العرقية. وهي مثال كلاسيكي لكيفية استخدام اللغة للتلاعب بالحقائق لدعم الموقف الإيديولوجي. تدفعنا مقاربة فان دايك إلى التساؤل: من المستفيد من هذا التمثيل لإحصاءات الجريمة؟ وكيف يساعد في الحفاظ على الوضع الراهن للتسلسلات الهرمية العنصرية؟

تجسد الصورة أيضا عناصر النخبوية، حيث إنها تضع المشاهد ضمنيا، الذي يفترض أنه جزء من مجموعة أتباع ترامب، على أنه منفصل عن "الآخر" المصور ومتفوق عليه. يعد هذا "الآخر" عنصرا أساسيا في الخطاب العنصري والنخبوي، لأنه يخلق انقساما بين "نحن" و"هم". الذين تم تصويرهم على أنهم عنيفون وفوضويون.

[34] « (CDA) is discourse analytical research that primarily studies the way social-power abuse and inequality are enacted, reproduced, legitimated, and resisted by text and talk in the social and political context » (DIJK, 2015, p.466)

علاوة على ذلك، فإن تداول الصورة من قبل شخصية ذات سلطة مثل دونالد ترامب يضيف طبقة من الشرعية إلى الخطاب الذي تروج له. وهو يقترح ضمنيا تأييد الدولة للقوالب النمطية العنصرية المصورة والتمثيل المنحرف لإحصاءات الجريمة. ومن الممكن أن يكون لهذا التأييد آثار في العالم الواقعي، حيث يؤثر على الرأي العام والسياسة بطرق تعمل على تعزيز عدم المساواة النظامية.

الخاتمة

من خلال المقاربة التاريخية للخطاب والمقاربة السوسيومعرفية المنضويتان ضمن مجال التحليل النقدي للخطاب، يمكن فهم الصورة التي أعاد ترامب نشرها على أنها مظهر معاصر للخطابات العنصرية التاريخية التي تغلغلت في المجتمع الأمريكي لفترة طويلة. وهذه الخطابات تساهم في تعزيز هياكل السلطة والتسلسل الهرمي العنصري من خلال إدامة الصور النمطية للإجرام والعنف الأسود. إن النشر غير النقدي والمحترز لمثل هذه الصور والإحصائيات من قبل شخصيات مؤثرة يمكن أن يزيد من ترسيخ الإيديولوجيات العنصرية والنخبوية، مما يؤكد الحاجة الماسة إلى مشاركة مسؤولة ومستنيرة مع التمثيل الإعلامي للعرق والجريمة.

لائحة المراجع

- Aleem, i. w. (2016). Stanford experts highlight link between language and race in new book. *Stanford Report*
- Ashtari, N., & Krashen, S. (2023). Confronting linguistic racism. *University of Southen California Rossier*.
- Beukeboom, C. (2003). The role of language in forming stereotypes. *Veije Universiteit Amsterdam*.
- DIJK, T. A. (1993). *Elite Discourse and Racism* . London: SAGE Publications.
- DIJK, T. A. (2015). Critical Discourse Analysis. *Discourses.org*.
- Fairclough, N., Mulderring, J., & Wodak, R. (2011). Critical Discourse Analysis. *Discourse Studies: A Multidisciplinary Introduction by Van Dijk*, 357.
- Green, M. (2020). Hearing Race: Can language use lead to racism? *OpenLearn*.
- Wodak, R., & Reisigl, M. (2009). The Discourse-Historical Approach (DHA). *Methods of critical discourse analysis*, 90.

نقد التصور العقلاني للأسطورة
حسب غادامير
Gadamer's Critique of the Rational Conception of Myth

الباحث : عبد العزيز النقر
abdelaziz_ennakr@um5.ac.ma
الأستاذ : عزيز قميشو
aziz.qmichchou@gmail.com
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
جامعة محمد الخامس بالرباط
المملكة المغربية

الملخص:

دأب العديد من مؤرخي الفلسفة على إقامة نوع من التعارض التام بين اللوغوس والميتوس. ويظهر أن هذا التعارض قد ازداد حدة في الأزمنة الحديثة بتأثير من تصورات الفكر الأنواري من جهة، وبإيعاز من التطور العلمي - التكنولوجي الذي شهدته الفترة المعاصرة من جهة أخرى. في إطار مراجعة هذا الموقف السلبي من الأسطورة، تأتي إحدى مساهمات الفيلسوف الألماني هانس غيورغ غادامير. ولا شك في أن مراجعة كهذه قد اقتضت، في نفس الآن، مراجعة مجموعة من التصورات التي تتداخل معها وتتقاطع داخلها. لقد أضفى غادامير على الفكر الأسطوري قيمة إيجابية باعتباره حاملا لنوع من المعرفة التي تتجاوز نطاق التفسير العلمي. ولإبراز قيمة ومكانة الأسطورة في الأزمنة القديمة والحديثة على حد سواء، استند غادامير إلى مجموعة من الشواهد التاريخية والتحليلات المفهومية والفلسفية الدقيقة. سنعمل في هذا المقال على إبراز خصوصية تصور غادامير بشأن العلاقة القائمة بين العقل والأسطورة، موضحين في نفس الوقت دلالة هذا التصور بالنسبة إلى الفكر الحداثي الذي يولي لـ"العقل" قيمة جوهرية.

الكلمات المفاتيح: الأسطورة، العقل، التأويلية، العلم، التجربة الفنية.

Abstract:

Many historians of philosophy have sought to establish a clear opposition between Logos and Mythos. This opposition appears to have intensified in modern times, influenced by the conceptions of Enlightenment thought on one hand and driven by the scientific and technological advancements of

the contemporary period on the other. Within the framework of reassessing this negative attitude toward the concept of myth, the German philosopher Hans-Georg Gadamer made a notable contribution. Undoubtedly, such a reassessment necessitates a concurrent reevaluation of a range of conceptions that intersect with and overlap this domain.

Gadamer attributed a positive value to mythological thought, recognizing it as a bearer of a type of knowledge that transcends the boundaries of scientific explanation. To emphasize the significance and value of myth in both ancient and modern times, Gadamer drew upon a collection of historical evidence, and precise conceptual and philosophical analyses. In this article, we will examine the distinctiveness of Gadamer's perspective on the relationship between reason and myth, while also highlighting the significance of this perspective to modernist thought, which places a foundational emphasis on "reason."

Keywords: Myth; Reason; Hermeneutics; Science; Aesthetic experience.

مقدمة:

لا يكاد يختلف الباحثون حول حقيقة أننا نعيش حاليا مرحلة سيادة العلم -ومنتجاته التقنية- بدرجة غير مسبوقة في تاريخ البشرية. وإلى جانب مظاهر هذه السيادة، فقد مُنح "الفكر العقلاني" سلطانا بالغ النفوذ على كثير من مناحي الحياة الإنسانية، وذلك لدرجة صار معها من الصعوبة بمكان الحديث في هذه الأزمنة عن أي شرعية ممكنة أو صلاحية محتملة يمكن أن يحوزها أي نمط معرفي آخر لا يُقرُّ له "العقل العلمي" بذلك ابتداء وانتهاء. بعبارة أخرى، لقد صارت "العقلية العلمية" هي الفيصل الوحيد الذي بموجبه يتم تصنيف ما هو حقيقٌ بصفة المعرفة أو خليقٌ بسمة "الحقيقة". لهذا، كان لزاما على كل نمط معرفي يتوخى مكانة معينة داخل قائمة المعارف المعترف بها ألا يتعدى الحدود التي تُقرها مبادئ العقل العلمي من جهة، وألا يُجاوز التخوم التي تحددها نتائجه (العقل) من جهة أخرى.

إن مواقف كهذه ليست وليدة الفترة المعاصرة تحديدا، بل يمكن أن نجد لها أصولا وتجليات حتى في الأزمنة السابقة، كما هو الحال مثلا في الثقافة اليونانية أو في الثقافة الأوربية الحديثة، سواء إبّان نشأة الفكر التنويري أو بعده. وفي هذا السياق، يمكن فهم عبارة ماكس فيبر الشهيرة التي تتحدث عن "نزع السحر عن العالم" le désenchantement du monde. يظهر أن هذه العبارة، إضافة إلى كثير من التصورات العلموية والوضعانية، تستند بشكل صريح أو ضمني إلى خطاطة schéma معينة لفلسفة التاريخ. تتجلى هذه الخطاطة، باختصار شديد، من خلال النظر إلى تاريخ البشرية باعتباره تاريخا يتم فيه -بالضرورة- الانتقال الكامل من "الميتوس إلى اللوغوس". كان من بين النتائج الحاسمة لتبني هذه الخطاطة من طرف عصر التنوير أن تم استبعاد الأسطورة إلى نطاق القصص الخرافية التي لا تمت للحقيقة أو للمعرفة بأي صلة تُذكر.

لقد كانت تصورات التنوير من بين العوامل الأساسية التي أدت إلى تهميش الأسطورة والنظر إليها باعتبارها النقيض المطلق للفكر العقلاني الذي يجب أن يسود كل مفاصل الحياة الإنسانية. إضافة إلى ذلك، فقد زادت بعض الأفكار الوضعانية من حدة الموقف السلبي تجاه الفكر الأسطوري، ويكفي هنا الإشارة إلى قانون الحالات الثلاث لدى "أوغست كونت" Auguste Comteالذي يعتبر المرحلة "الوضعية" مرحلة "علمية" تَجُبُّ بشكل نهائي كل ما سبقها ! لكن، يبدو أن هذا الموقف الصارم من الأسطورة، أو من أي شكل من أشكال المعارف

التي لا تماثل المعرفة العلمية من حيثُ منهجها أو نتائجها، سيشهد نوعا ما بعض المراجعات داخل الفكر الفلسفي المعاصر. وبالنظر إلى هذا السياق، يمكن اعتبار بعض الاجتهادات النظرية لرائد الفلسفة التأويلية، هانس غيورغ غادامير، مساهمة نوعية ومتفردة في هذا الموضوع.

ينطلق غادامير في مقاربته لهذه القضية من مسألة أساسية تتمثل في النظر إلى الفكر الحديث باعتباره ذا "أصل" مزدوج : يشكل التنوير الطرف الأول لهذا الأصل، بينما يتمثل الطرف الثاني في كل من "الفلسفة المثالية الألمانية" و"الشعر الرومانسي" وفي "اكتشاف العالم التاريخي داخل المدرسة الرومانسية" (Gadamer, 1993: 163). من المثير للانتباه في مسار هذين الطرفين أنهما ظلا حاضران دائما من دون أن يتم الإقرار التام لأحدِ الطرفينِ بشرعيةٍ أو قيمةٍ من لدن الطرف الآخر، حيث بقي كل واحد منهما يمثل "حركة مناقضة" لحركة الطرف الثاني إلى حدود فترتنا الراهنة. يرجع موقف التنوير السلبي من الأسطورة عموما إلى موقفه من "التقليد الديني المسيحي" الذي رأى فيه التنوير موقفا مخالفا لكل "تفسير عقلاني" يمكن أن يضفيه الإنسان على العالم. وبما أن التنوير كان يطمح إلى فهم العالم وتفسيره وفق نمط عقلاني متحرر من كل سلطة (إلا سطلة العقل طبعا !)، فقد كان من الطبيعي أن يرى في "الأسطورة" مجرد شكل من أشكال "الفكر الخرافي" الذي آن للإنسان أن يطرحه جانبا وبشكل نهائي. كتب غادامير بهذا الخصوص قائلا : "لقد تم إدراك الأسطورة في هذا السياق باعتبارها المفهوم المناقض للتفسير العقلاني للعالم. إن الصورة العلمية للعالم تفهم نفسها كانحلال لصورة العالم الأسطورية" (Gadamer, 1993: 163).

إذا أخذنا هذه المعطيات بعين الاعتبار، فسيظهر لنا أن الأمر لا يتعلق بمجرد تصور انقطع أثره بانقضاء زمنه التاريخي، بل إننا أمام تصور لا يزال ساري المفعول حتى خلال فترتنا المعاصرة. لا ريب في أن استمرار مفعوله هذا راجع، في المقام الأول، إلى الهيمنة التي يمارسها التصور العلمي - المنهجي على كثير من الميادين المعرفية الطامحة إلى مقاربة الظاهرة الإنسانية من خلال تصور منهجي ضيقٍ يرفض الاعتراف بأي شكل من أشكال الحقيقة أو المعرفة التي لا تقر بها "التجربة المنهجية" الدقيقة والمضبوطة. بالعودة إلى فكر التنوير، يمكن القول إنه لم يكن أول من وقف سلبا ضد الأسطورة، فحسب غادامير، مثلت المسيحية (مع إعلان العهد الجديد) أول نقد جذري للأسطورة ممهدة بذلك الطريق للموقف الراديكالي الذي سيتخذه التنوير من الأسطورة فيما بعد.

ولئن كانت المسيحية هي أول من وجه نقدا حادا للأسطورة، فإن رواد المدرسة الرومانسية كانوا من بين الأوائل الذين حاولوا إعادة الاعتبار للفكر الأسطوري من حيث حمولته المعرفية ودلالته الإيجابية بالنسبة للإنسان، خصوصا فيما يتعلق بالحكمة المتضمنة في الأساطير والحكايات.

من ناحية أخرى، ستشهد علاقة الثقافة المسيحية بالأسطورة خلال عصر الرومانسية نَفَسا جديدا بحيث ستخف نوعا ما حدة الموقف السلبي الذي اتخذته المسيحية من الأسطورة سابقا. يقول غادامير : "إن تاريخ إحياء الادعاء الديني بصحة الأسطورة معروف. وعلى غرار أسلاف فيكو وهيردر، حولت الرومانسية -على وجه الخصوص- نقدها لعقلانية التنوير [...] إلى اعتراف بالأهمية الدينية للأساطير. وفي الوقت نفسه، اكتسب اللمعان الأسطوري المتأصل في التاريخ المقدس للمسيحية بريقًا جديدًا" (Gadamer, 1993: 180). من جهة أخرى، وقفت الرومانسية موقفا معارضا لفكر التنوير نظرا لاقتناعها بحقيقة أن العقل المجرد قاصر عن إدراك الأبعاد الإنسانية التي تتجاوز حدوده الضيقة وقدرته المحدودة. وبدل ذلك، أعطت لمفهوم "الفرد" قيمة كبرى ومكانة جوهرية. لكن، ليس المقصود هنا تلك الفردانية المؤسَّسَة على فكر عقلاني مجرد يستمد مشروعيته من الكوجيطو الديكارتي، بل إنها فردانية تتخطى الإطار الذي يفرضه النظر العقلي أو الوصف المفهومي. كتب غادامير قائلا : "في الواقع، كان اكتشاف الفرد في ذلك الوقت هو الإنجاز الأعظم للثقافة الرومانسية. ففي هذه الفترة الرومانسية، ظهر الشعار الشهير [الذي يقول] إن الفرد 'غير قابل للوصف ineffabile، وبالتالي، لا يمكن إدراك فرادته على نحوٍ مفهومي" (Gadamer, 2001: 12).

كما سبق أن أشرنا، فقد أقام التنوير تقابلا حادا بين اللوغوس والميتوس معليا من قيمة المفهوم الأول على حساب المفهوم الثاني، إذ رأى أن مسار التطور الذي يجب أن يسير وفقه الفكر البشري يتجسد في خطاطة محددة : لزوم وضرورة الانتقال من اللوغوس إلى الميتوس. في مقابل هذا المسار، اتجهت المدرسة الرومانسية صوب الإعلاء من أهمية الميتوس وتبخيس قيمة اللوغوس. يرجع الموقف الإيجابي للرومانسية من الأسطورة إلى موقفها من التراث عموما، إذ على عكس التنوير الذي اعتبره عاملا من العوامل التي تعيق المرء عن الوصول إلى معرفة حقيقية، رأت فيه الرومانسية مصدرا للمعارف والقيم. لكن، رغم الدور المهم الذي عزته الرومانسية للفكر الأسطوري، إلا أن تصورها ذاك ظل -حسب غادامير- حبيسا للتصور التنويري

نفسه، حيث إنها باعترافها بوجود حد فاصل وتقابل تام بين اللوغوس والميتوس، فإنها بقيت تتحرك على نفس أرضية التنوير. أما اكتفاء الرومانسية فقط بـ"قلب قيمة" هذين الطرفين، فلم يكن كافيا لنفي حقيقة أنها أسهمت، ربما بدون وعي منها، في تأبيد ذلك التقابل الحاد بين العقل والأسطورة.

إن تصور كل من التنوير والمدرسة الرومانسية للخطاطة الخاصة بفلسفة التاريخ -أي الكيفية التي يجب أن تسير وفقها الحضارة الإنسانية- هو نفسه من حيث بنيته، ويبقى الاختلاف الوحيد بينهما هو في القيمة التي يعطيها كل واحد منهما إلى طرفي تلك العلاقة، فإذا كان التنوير يرى أن مسار التطور البشري يسير من الميتوس إلى اللوغوس، فإن الرومانسية تذهب -كردة فعل على تصور التنوير المتطرف هذا- إلى ضرورة قلب هذه العلاقة للعودة إلى "أزمنة غابرة" تكون أقرب ما يكون إلى "مجتمع وثيق الصلة بالطبيعة". يقف غادامير إزاء هذين التصورين موقفا سلبيا، إذ لا يرى في جذريتهما إلا تعبيرا عن سذاجة مخالفة لطبيعة الأمور، يقول في هذا الخصوص: "في الحقيقة، إن فرضية أسرار غامضة، أي مكان للوعي الجمعي الأسطوري سابق على كل فكر، هي تماما فرضية دوغمائية ومجردة مثلها مِثْل حالة الكمال الملائمة للتنوير Aufklärung التام أو لحالة المعرفة المطلقة" (Gadamer, 1996: 441). لا غرو في أن المخطط الذي تدعيه -أو تبتغيه- الرومانسية لحركة التاريخ أمر متعذر من حيث المبدأ، إذ لا يمكن للمرء أن ينكر المكتسبات الإيجابية التي حصلها الإنسان بفضل "العقل" خلال الأزمنة الحديثة والمعاصرة.

فضلا عن ذلك، يظل الطموح إلى "التنوير" من خلال تحكيم واستثمار "العقل" في مستويات معينة من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية أمرا مشروعا، بل ومطلوبا. لكن، لا يجيز هذا المطمح، بطبيعة الحال، إعطاء صلاحية تامة لتلك الخطاطة التي يزعمها التنوير، سواء من خلال الإقرار بأن البشرية قد حققت فعلا انتقالا نهائيا من الميتوس إلى اللوغوس، أو من خلال الدعوة إلى تحقيق انتقال كهذا. إن خطاطة كهذه لا يمكن أن تكون شاملة البتة، كما يبقى أمر تحققها التام والنهائي أمرا متعذرا. يرجع ذلك إلى عدة أسباب، من بينها أن هذا "العقل التنويري" لم يكن -ولن يكون- أبدا "سيد نفسه"، إذ لا وجود لعقل مطلق يكون في حِلٍّ من كل التأثيرات الواقعية، فالعقل لا يكون كذلك (أي عقلا) إلا إذا كان "تاريخيا" و"واقعيا".

بناء عليه، يتضح لنا أن دعوى الانتقال التام من مرحلة الميتوس إلى زمن اللوغوس لا تعدو كونها وهْما يستند إلى بعض "الأحكام المسبقة" لعصر التنوير. لهذا، فقد اعتبرها غادامير مجرد افتراضات "ساذجة" بحكم أنها تنظر إلى العقل الإنساني كما لو كان "العلة الكافية" la raison suffisante لكل ما عداه، أي لكل تلك المسائل والمستويات التي يدعي قدرته على قهرها أو التحكم فيها والسيطرة عليها. لكن في المقابل، يبدو أن هذا العقل عاجز حتى عن تأسيس "إمكانيته الخاصة" اعتمادا على نفسه فقط. بالتالي، يؤكد غادامير أن عقلا كهذا خليقٌ بأن يقال عنه أنه لا هو قادر على فهم نفسه حق المعرفة، ولا هو قادر على إدراك "الفعالية الأسطورية" التي تظل "تسنده" و"تغلفه" (Gadamer, 1995: 67).

رغم ذلك، فقد درجت مجمل القراءات المتأثرة بتصورات التنوير على تبخيس قيمة الأسطورة معتبرة إياها مجرد نمط تفكير ساذج وبدائي تجاوزه العقل المتنور، أي ذلك العقل الذي لا يستمد مشروعيته إلا من مبادئه الخاصة، ولا يعترف بصلاحية أي شيء آخر إلا إذا كان منسجما مع ما تقره تلك المبادئ أو موافقا لما تشهد له النتائج المستمدة من التجربة العلمية. غني عن البيان أن المضامين التي تقدمها الأساطير ستكون بالنسبة لهذا التصور مجرد أكاذيب ينسجها الكُهان أو خرافات ترويها العجائز للصبيان. في مقابل هذا الرأي المتصلب من الأسطورة، يتبنى غادامير رأيا أكثر مرونة، حيث يعتبر أن الأساطير غالبا ما تتضمن معارف وحكما يستعصي على "العقل العلمي"، أي العقل المجرد - الحسابي، أن يسبر غورها أو يعي قيمتها وأهميتها.

ترتكز الكيفية التي تتبناها الأسطورة في عرض مضامينها في الغالب على استعمال وسيلة تخيلية أو رمزية، إلا أن هذا لا يعني بالضرورة أن كل ما هو متضمن فيها هو مجرد خيال أو محض أوهام. إذ على العكس من ذلك تماما، فإن الغاية التي وُضعت لأجلها الأساطير ابتداء كانت، في الغالب الأعم، مرتبطة بالرغبة في إيصال فكرة ما أو معرفة معينة. إن سمة المعارف والحقائق المتضمنة في الأسطورة تتميز، في كثير من الأحيان، بعمق ونفاذ بصيرة قلما يخطئهما الناظر (النظر هنا بمعنى الفكر) المتمعن، فالحِكم والمعارف التي تحتويها الأساطير تمثل، عموما، حصيلة تراكم مجموعة من التجارب والخبرات -بآمالها وآلامها- التي كابدها شعب من الشعوب على امتداد فترات زمنية طويلة. إن الأمر الأكيد بخصوص طبيعة هذه المعارف، هو أنها تظل بمعزل عن

الخضوع لأي معيار علمي أو تقويم وضعاني (positiviste)، وذلك نظرا لأن النمط المعرفي الخاص بالأسطورة يتجاوز الشروط والمناهج التي يقرها العقل.

ما فتئ غادامير يؤكد في العديد من أعماله الفكرية على ضرورة إعادة الاعتبار إلى أنماط معرفية أخرى تتجاوز حدود الإطار المنهجي - العلمي الضيق. وقد وجد في الفلسفة والتجربة الفنية والتاريخ مجالات يمكن أن تسعف المرء في التعرف على مجموعة من الحقائق والمعارف التي لا يملك العقل العلمي عليها سلطانا. كما أكد أيضا على أن أهمية هذه الأنماط المعرفية الأخرى لا تقل قيمة عن نمط المعرفة العلمية، خصوصا من حيث قيمتها ودلالاتها الإيجابية بالنسبة لمجمل تجربة الإنسان في العالم. سنوضح فيما يلي وجها من أوجه هذه الدلالات الإيجابية من خلال الاستناد إلى موقف غادامير من التجربة الفنية. واختيارنا لهذه التجربة كمثال نابع من ارتباطها، في عدة جوانب، بموضوع الأسطورة.

وجّه غادامير في أعمال عديدة نقدا لاذعا لـ"الوعي الإستطيقي" الذي ينفي عن الفن أي علاقة ممكنة بالواقع أو بالحقيقة، حيث يعتبر هذا الوعيُ الفنَّ مجالا أثيرا للخبرة الذاتية. وعلى النقيض من هذا التصور الموروث عن الفلسفة الكانطية، يؤكد غادامير أن المجال الفني مرتبط أشد الارتباط بالواقع المعيش للإنسان، حيث يمكن للعمل الفني -في كثير من الأحيان- أن يعبر عن بعض المواضيع الإنسانية بكيفيات تفوق بدرجات الكيفية التي يمكن أن تعبر بها المعرفة العلمية عن تلك المواضيع. هكذا، يؤكد غادامير، على سبيل المثال، أن الشعر يحوز قوة تعبيرية يصعب استنفاد إمكاناتها الغنية بشكل تام، كما يستحيل حصر ممكناته التعبيرية في بعض القضايا المنطقية إرضاء للطموح العقلي. يقول غادامير في سياق حديثه عن علاقة هوميروس بالميتولوجيا (الأساطير) الإغريقية : "لكن، ما عساه أن يكون الشعر غير ذاك التمثيل لعالم تتجلى فيه حقيقة هي في حدا ذاتها غير دنيوية. وحتى عندما لم تعد هناك أي تقاليد دينية ثابتة، فإن التجربة الشعرية للعالم تبدو أسطورية. وهذا يعني أن الواقع المهيمن حقا يتم تمثيله في حيويته وفاعليته." (Gadamer, 1993: 168).

لا يصدق هذا القول الغادامري فقط على الشعر الهوميري (نسبة إلى هوميرُس) في ارتباطه بالأساطير اليونانية، بل إنه يمكن أن ينطبق على كل تجربة فنية بما في ذلك التجربة الشعرية. صحيح أن هناك كيفيات فنية مختلفة من حيث قوة وطريقة تعبيرها عن الحقيقة التي تتوخى

إيصالها إلى المتلقي، إلا أن الأمر المشترك بين مجمل هذه الأنماط الفنية، هو قدرتها الفعالة على التعبير عن العالم وعن تجربة الإنسان داخل هذا العالم بكيفيات لا تستطيع التجربة العلمية ولا العبارة المنطقية (اللوغوس) أن تضاهيها. يرجع ذلك إلى أن تلك الكيفيات تمنح للتجربة الفنية إمكانيات لأن تظهر كنهها العميق وتبرز ثراءها الدلالي وغناها التأويلي.

من خلال ما تقدم، يظهر أن الرغبة في الاقتراب الفعلي من واقع التجربة الإنسانية يستلزم الإقرار بأن نمط المعرفة العلمية ليس بالضرورة نمطا شاملا أو أنه هو النمط الوحيد المتاح لولوج مجمل المستويات التي تهم الإنسان كليا أو جزئيا. لهذا الاعتبار، يؤكد غادامير أنه "ينبغي على المرء، بطبيعة الحال، الاعتراف بحقيقةِ أنماطِ المعرفةِ التي تقع خارج العلم، وذلك حتى يتسنى له أن يدرك في الأسطورة حقيقة خاصة. ولا ينبغي حصر هذه الأنماط في [نطاق] الصور الخيالية غير الضرورية. إن التجربة الفنية للعالم لها طابع ضروري، وهذه الخاصية الضرورية للحقيقة الفنية تشبه التجربة الأسطورية، وهذا ما يظهر في وحدتهما البنيوية المشتركة" (Gadamer, 1993: 168).

يطلعنا غادامير، في معرض تحليله المفهومي لمصطلح الأسطورة، على أن المعنى اللغوي لكلمة أسطورة كان يحيل في الاستعمال الهوميري على دلالات من قبيل "الخطاب" و"الإعلان" و"الإخبار عن شيء ما". ولم يكن يتضمن هذا الاستخدام اللغوي، في البداية، أي إحالة إلى أن لفظ الميتوس يدل على خطاب غير موثوق أو أنه يمثل مجرد اختلاق محض (Gadamer, 1993: 171).

لم يتم التقليل من القيمة الفعلية للأسطورة إلا بعد قرون من هوميروس، خصوصا مع "التنوير اليوناني" حيث ستُهمَل المفردات الخاصة بالميتوس والملاحم لصالح رغبة ملحة في "اللوغوس". لكن، رغم ما يظهر من سلبية في هذا الأمر، إلا أنه ينطوي على شيء إيجابي، إذ بمجرد الإقرار بهذا التمييز بين اللوغوس والميتوس، فإننا نعترف ضمنيا بأن الأسطورة تمثل "خطابا خاصا" يختلف عن خطاب اللوغوس. ولئن كان هذا الأخير يستند إلى أساليب التفسير والبرهنة التي تثبت كفاءتها في مجالَيْ المنطق والرياضيات، فإن الأسطورة تستأثر بتلك الأشياء التي لا يمكن الولوج إلى عالمها إلا من خلال "الحكي" (Gadamer, 1993: 171). سيعرف مفهوم الأسطورة بعد ذلك تحولات مهمة، لكن النتيجة النهائية كانت بطبيعة الحال هي التقابل التام مع اللوغوس. هكذا، وطالما أن الحقيقة المتضمنة فيها لا يتم بلوغها بواسطة اللوغوس، فإنها ستصير، خلال

زمن أفلاطون وأرسطو على سبيل المثال، أقرب إلى الحكايات والخرافات. لكن رغم ذلك، لم يخل التصور الأرسطي من كل فائدة بالنسبة للأسطورة، إذ رغم وضعه لها في "تقابل طبيعي" مع "ما هو حقيقي"، إلا أنه يقر في بعض المواضع أن القصص والحكايات المبتكرة تملك "حقيقة" أكثر مما قد تحوزه تلك الأخبار التي يرويها المؤرخون عن أحداث واقعية (Gadamer, 1993: 170-173).

لنترك الآن تاريخ المصطلح جانبا، ولنعد إلى الخصائص المميزة للأسطورة والتجربة الشعرية. ينبغي التأكيد، بخصوص هذه النقطة، على أن الخصائص التي أشرنا إليها سالفا لا تصدق فقط على الشعر الأسطوري في الأزمنة القديمة، بل إن مظاهر القوة التعبيرية التي تشترك فيها الأسطورة والتجربة الشعرية يمكن أن تلاحظ حتى لدى بعض الشعراء الكبار في الفترة المعاصرة. يقدم لنا غادامير في هذا الصدد مثالا بشاعره الأثير ريلكه Rilke الذي يتوسل في بعض قصائده بالصورة الاستعارية للملاك. يذهب غادامير في تأويله لشخصية الملاك إلى أنها تعبر لدى ريلكه عن "رؤية اللامرئي"، إذ رغم أن هذا الأخير يستعصي على الرؤية بالعين المجردة، إلا أنه يتموقع -حسب تأويل غادامير لهذا المثال- في "قلب المرء" دون أي شك.

لا يهم في هذا الشأن أن يكون ريلكه مؤمنا حقا بوجود ملاك أم لا، لكن الأهم هو أن لا أحد يستطيع فعلا أن ينكر أو يتجاهل الحقيقة الفعلية لما تعبر عنه شخصية الملاك هنا، أي ذلك الإحساس الحقيقي الذي يجد لنفسه موطئ قدم في قلب المرء بصفة عامة، وفي فؤاد ريلكه بصفة خاصة. إن هذا المثال يصلح لفهم الكيفية التي يفهم بها غادامير أهمية الأساطير. ففي هذه الحالة، لا ينبغي الحكم على الأساطير -أو الصور الشعرية- انطلاقا من القالب الذي تصاغ فيه مضامينها بقدر ما ينبغي أن نولي عنايتنا للحقيقة والمعرفة التي تسعى هذه الأسطورة أو تلك لتقديمها، وذلك بغض النظر عن الشخصيات المتخيلة أو الحبكة السردية التي تتوسل بها.

بناء على ذلك، لا يمكن للصور الشعرية ولا للأساطير أن تمثل مجرد استيهامات اعتباطية أو تخييلات عرضية أو حتى أحلام تعسفية لا تخضع لأي تماسك داخلي ولا يربطها بعالم الناس أي رابط. يرى غادامير، خلافا لذلك، أن الصور الشعرية الأصيلة والأساطير القديمة تمثل نوعا من "الإجابات البارعة" التي تُعين الإنسان على "فهم ذاتي" أكثر عمقا. في نفس الآن، لا يمكن للمرء أن ينفي ما تتضمنه تجربة كهذه من بعض الجوانب العقلية. وبذلك، فالإنسان يستطيع بموجبها

أن يحوز إدراكا أفضل وفهما أكثر لوجوده الخاص في هذا العالم، وذلك بحكم ما تعرضه هذه الصور الشعرية أوما تقدمه تلك الحكايات الأسطورية من حقائق تتميز بفرادتها أو معارف تتسم بثرائها وحكم تطفح بعمقها.

علاوة على ذلك، يمكن القول، حسب غادامير، إن انفتاح العقل على هذه الأبعاد -التي طالما سعى إلى إقصائها وتبخيس قيمتها- قد يجعل العقلَ "أكثر عقلانية"، وكأنّ هذا العقل يغدو أكثر عقلانية فقط عندما يستطيع فهم ذاته في مستويات تتجاوزه هو نفسه (Gadamer, 1993: 169). كما أشرنا آنفا، لا تكاد تخلو العبارات الشعرية -وهو أمر يصدق بكل تأكيد على الأساطير أيضا- من مضامين وأفكار تعبر عن مجموعة من الحقائق التي تختلف من حيث بنيتها عن "الحقائق العلمية" المستندة إلى وثاقة المنهج وقوة التجربة. لهذا السبب، ينبغي على العقل ألا يهمل أو يقصي هذه الحقائق والمعارف التي تعبر عنها الأسطورة أو الشعر (أو الفن عموما). وذلك نظرا لأن الأسطورة تمثل كيفية من الكيفيات المتاحة للإنسان قصد التعبير عن تجاربه في هذا العالم والإفصاح عن ممكنات وجوده الخاص. يقول غادامير : "إن معنى الأساطير ومعنى الحكايات هو الأكثر عمقا. [...] وفي الحقيقة، حيثما تتحدث الأساطير، فإنها تمثل حقا شيئا يتجاوزنا das Überlegene، إنها ما يعرف كل شيء، إنها ببساطة ما يتحدث إلينا في العتمة ويعلمنا." (Gadamer, 1995: 66). هكذا، يمكن القول إن الأساطير والأعمال الفنية تشكل وسائل يلجأ إليها الإنسان للتعبير عن كل تلك الأمور "الحقيقية" والمسائل "الواقعية" التي يختبرها في وجوده وعالمه، لكنه لا يجد لها طريقا للتجلي خارجا إلا من خلال تلك الوسائل.

يبدو أن فعالية أو قيمة المضامين التي تعبر عنها تلك الوسائل لا تتناقص بتقادم الزمن، بل لعل هذا التقادم نفسه هو ما يضفي على تلك الحقائق والمعارف مزيدا من الاغتناء والتنوع. يعود هذا الأمر إلى أن تلك الأنماط المعرفية تتميز بكونها تتيح للمؤول دائما إمكانات تأويلية جمة، أي إنها تمنح فعل القراءة إمكانية التنوع مما يعطي عملية الفهم والتأويل فرصة أكبر للاغتناء نظرا لما يختزنه النص من ممكنات دلالية من جهة، ونظرا للتأثير الذي يحدثه "فعل التاريخ" في كل نص أو أثر فني من جهة أخرى. وربما لهذا السبب، يمكن القول إن "القارئ (أو المؤول بصفة عامة) يمكنه، بل أكثر من ذلك، ينبغي عليه أن يعترف لنفسه أن الأجيال القادمة ستفهم بشكل مختلف ما قرأه هو في هذا النص"(Gadamer, 1966: 542). بتعبير آخر، كلما مر الزمن إلا وتنوعت

القراءات واختلفت التأويلات، ولا ريب في أن هذا الأمر بالغ الأهمية بالنسبة لعملية الفهم والتأويل، حيث إنه يهبها دائما سمة التجدد وخاصية الثراء، كما يدفع عنها صفة الجمود وعيب الانغلاق.

من اللافت للنظر أن تجد هذه القوة التأويلية لنفسها مثالا جيدا في عملية فهم وتأويل الأساطير، حيث إنه "بحكم قوة التحول التي تملكها الأسطورة، أي انفتاحها دائما على تأويلات جديدة من طرف الشعراء، فهي تجبرنا -هناك حيث تدخل في اللعبة الشعرية- في نهاية المطاف على الاعتراف بأنه من الخطأ أن نسائل أنفسنا حول مدى "اعتقادنا" بأسطورة من الأساطير القديمة أو ما إذا كانت هذه الأسطورة تشكل سابقا موضوعا للاعتقاد." (Gadamer, 1995: 138). إن هذا الغنى الدلالي والتنوع التأويلي يمثلان تحديا للمعرفة العلمية المنهجية، فهذه الأخيرة تعجز عن الإدراك الفعلي لقيمة وأهمية هذه الخصائص التي تطبع أنماطا معرفية من قبيل الشعر والأسطورة والمسرح والفلسفة والتاريخ ... ولهذا الاعتبار بالذات، فإنه ينبغي على النزعة العلمية، حسب غادامير، أن تكف عن ادعاء صلاحيتها المطلقة على كل مناحي الحياة الإنسانية وجميع تجلياتها.

نأتي الآن إلى سؤال لا يخلو في نظرنا من أهمية، وهو : هل يمكن أن يعبر نقد غادامير للفكر العلمي عن أي مظهر من مظاهر اللاعقلانية المعادية لكل فكر عقلاني أو علمي؟ الجواب بوضوح لا لبس فيه هو : لا. لم يكن غادامير يهدف، سواء في كتابه الأساسي "الحقيقة والمنهج" أو في معظم الأعمال اللاحقة، إلى تبني أي تصور يدعو إلى نبذ الفكر العلمي أو التخلي النهائي عن التصور المنهجي، فهذا أمر لا يمكن أن يزعمه شخص عاقل يعيش في ظل المكتسبات الكبيرة التي وفرها العلم للبشرية إبان الفترة المعاصرة. لقد كانت غايته تحديدا هي التأكيد على أن المعرفة العلمية، وكل ما يدور في فلكها من تصورات منهجية وعلموية، تحوز صلاحية محدودة لا ينبغي لها أن تتجاوزها طمعا في مقاربة مجالات وقضايا تخرج عن نطاق تلك الصلاحية. هكذا، كتب غادامير بصدد حدود العلم قائلا : "[...] أعتقد أن شمولية (كونية) العلوم، فضلا عن نموذج التحقق الذي يسودها، هي أكثر محدودية [...]" (Gadamer, 1982: 47). بناء عليه، لا يجب أن تُحمل اجتهاداته النظرية الرامية إلى إعادة الاعتبار للأسطورة على أنها دعوة للعودة إلى "نمط فكري خرافي" ينكر أهمية التفسيرات العقلانية أو العلمية. إن المهم عند غادامير، في المقام الأول، هو

النظر إلى الأسطورة باعتبارها حاملا من حوامل المعرفة والحقيقة بحيث يمكن لهذا "الوعاء" المعرفي أن يحتوي أنماطا من الحقيقة لا يستطيع إدراك كنهها لا اللوغوس -حسب التصور اليوناني- ولا المنهج العلمي المعاصر. يقول غادامير في هذا الشأن : "بطبيعة الحال، إن الحقيقي [في الأسطورة] ليس هو القصة المروية بحد ذاتها -والتي يمكن أن تُروى بطرق مختلفة- بل ما يظهر فيها؛ إن الحقيقي ليس ببساطة هو ما تتم الإحالة عليه -والذي سيكون دائما خاضعا لعملية التحقق- بل إنه ما يحضر في تلك القصة" (Gadamer, 1993: 162). بمعنى أننا لا ينبغي أن نتجه في معالجتنا لطبيعة الأسطورة صوب البحث عما تحيل عليه من أشياء واقعية وملموسة بحيث يكون في مقدورنا إخضاعها لإمكانيات التحقق العلمي، كلا، إن المهم هنا -من منظور غادامير- هو المضامين التي تقدمها الأسطورة، أي تلك الأفكار والحقائق التي لا ينبغي أن تكون بالضرورة مجرد "وقائع" مشخصة على شكل ظواهر طبيعية أو واقعية. إن خصائص ومميزات الظاهرة الإنسانية تتجاوز حدود البعد المادي الملموس إلى أبعاد أكثر غنى وتنوعا، وهذه الأبعاد هي ما تسعى الأسطورة إلى نقلها إلينا، أو بالأحرى نقلنا نحن إلى فضائها.

خاتمة:

من خلال ما تقدم، يظهر أن انفتاح المرء على أنماط معرفية مختلفة لا يمكن إلا أن يعينه على فهم أكبر لطبيعته كإنسان من جهة، وعلى إدراك أفضل لوجوده في هذا العالم المعقد من جهة أخرى. وربما بهذه الطريقة، قد تجد الأسطورة -كشكل معين من أشكال المعرفة- لنفسها مكانة ما داخل عصر العلم (العقل).

المراجع:

- Gadamer, H. G., (1982). *L'art de comprendre I: Herméneutique et tradition philosophique*, (tr, Mariana Simon), Paris: Aubier Montaigne.
- Gadamer, H. G., (1993). *Gesammelte Werke: Band 8: Ästhetik und Poetik I: Kunst als Aussage*, Tübingen: JCB Mohr (Paul Siebeck).
- Gadamer, H. G., (1996). *La philosophie herméneutique*, (tr, Jean Grondin), Paris, Press universitaires de France.
- Gadamer, H. G., (1995). *Langage et vérité*, (tr, Jean-Claude Gens), Paris, Éditions Gallimard.
- Gadamer, H. G., (2001). *The beginning of philosophy*, New York, (tr, Rod Coltman), New York, Continuum.
- Gadamer, H. G., (1966). *Vérité et méthode : les grandes lignes d'une herméneutique philosophique*, (tr, Pierre Fruchon, Jean Grondin et Gilbert Merlo), Paris, Edition du Seuil.

معجمة الأفعال الثلاثية المجردة السالمة حسب مساراتها الاشتقاقية

A Lexicon of Sound Triliteral Verbs Categorized by Their Derivational Paths

الباحث: عبد اللطيف التقي
abdlatif1411@gmail.com
المشرف: الأستاذ محمد التاقي
takimed1964@gmail.com
جامعة محمد الخامس، الرباط
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
المملكة المغربية

الملخص:

يتعرض المقال للحديث عن طبيعة الجذور الثلاثية المجردة السالمة، من حيث اشتقاقه بالمضارع، وما يجعل الجذور تتخذ الصيغ قالبا لها، تارة بتفرد التوجه، وتارة بتعدد التوجه، بمرجعيات صواتية وصرفية ودلالية. ونروم من خلال هذه الدراسة الكشف عن الآلة المتحكمة في هذه المسارات، وذلك بطرح مجموعة من الإشكالات عن عين الفعل، لما لها من أهمية كبيرة في الدراسات اللغوية القديمة والحديثة. وقد اتبعنا منهجية في الوصول إلى بعض النتائج الهامة بخصوص الموضوع، وذلك بجعل المعطيات مركز الملاحظة والوصف والتصنيف، وبمعاينتها توصلنا إلى تفسير جزئي لهذا المسار، وخلاصته أن لصوامت الجذور دورا هاما وفعَّالا في تحديد توجه حركة عين الفعل الثلاثي المجرد السالم، وذلك بالنظر إلى سماتها الصوتية والصرفية والدلالية.

الكلمات المفاتيح: الجذر، التناوب الصائتي، الصرف صواتة، المعجم

abstract:

The article discusses the nature of the sound, bare, trilateral roots, focusing on their derivation in the present tense and what causes these roots to take specific forms. This occurs sometimes with a unique direction, and other times with a variety of directions, based on phonetic, morphological, and semantic references. Through this study, we aim to uncover the mechanism that governs these processes by raising a series of questions about the root verb, which is of significant importance in both

classical and modern linguistic studies. We followed a methodology to arrive at some important conclusions about the topic, making the data the center of observation, description, and classification. By examining these data, we reached a partial explanation of this process, and the conclusion is that the consonants of the root play an essential and active role in determining the direction of the trilateral, bare, sound verb's movement, based on its phonetic, morphological, and semantic features.

Keywords: root, vowel alternation, morphology, phonology, lexicon

المقدمة:

"عين الفعل عين العربية"، هذه العبارة التي سادت بين علماء اللغة العربية، من الحِقب الماضية، كانت لُب التوجهات اللغوية العربية، نحو اكتشاف الظواهر. أما عن علمية هذه العبارة فلها ما يُعللها عند المتقدمين، كما ورد عند ابن جني، عن قوة عين الفعل الثلاثي، وتوسطه بالصيغة الصرفية، ويتعلق مقالنا عن الأفعال الثلاثية الماضية المجردة السالمة، بتتبع عينها وحركاتها التي تتناوب فيها، محاولين الكشف عن المكونات اللسانية للآلة الذهنية عند المتكلم باللسان العربي. وذلك من أجل تحديد صيغة محددة من صيغ الأفعال الثلاثية المجردة السالمة لجذور معينة، ليجعل منها فعلا بمحددات لسانية يشمل صورة صرفية (الصيغة/الوزن)، وصوتية صواتية (مجموعة من العمليات الذهنية اللغوية)، وتركيبية (تتضمن زمن الفعل والحدث)، ودلالية (إذ يحمل دلالة معينة يحددها المعجم)، ومن هذا المنطلق يمكن طرح الإشكالات المركزية الآتية:

1- هل يُمكن تنميط الأفعال الثلاثية المجردة السالمة من حيث طبيعة الصيغ التي تُبنى عليها؟

2- ما طبيعة المسار الاشتقاقي للفعل الثلاثي المجرد السالم؟

3- هل تُحدد حركة عين الفعل الثلاثي المجرد السالم بنوع صوامت الأصول بالجذر؟

4- هل يمكن اعتبار حركة عين الفعل الثلاثي الصائت التصنيفي (Voyelle classificatoire) صائتا دلاليا؟

هذه الإشكاليات تبدو معالمها أكثر وضوحا، حين نلاحظ أن لكل صيغة من صيغ الفعل الثلاثي المجرد السالم جذرا يتميز بخصوصيات ينفرد بها، والمعطيات التي لدينا تؤكد ذلك، حتى وإن افترضت له صيغة غير تلك الصيغة، فقد لحنت، ولم تراعِ نظام اللسان العربي. وينطبق الأمر على باقي الجذور، وهذا النوع من الجذور يتفرد بدلالته الصيغية والمعجمية والتركيبية والصوتية إلى غير ذلك، ولا يحق للمتكلم التصرُّف في صيغتها، أو في حركة عين فعلها.

نرى في معطيات أخرى أن الأمر يختلف عما جاء في ملاحظات المعطيات السابقة، إذ إن المعطيات الثانية تتميز باشتراك الجذر الواحد لصيغ مختلفة. يتمثل هذا الاشتراك في أربعة اشتراكات للجذور، ثلاثة منها تضم اشتراك الجذر الواحد لصيغتين (اشتراك مزدوج)، والاشتراك الآخر ينفتح فيه الجذر على باقي الصيغ الثلاث (اشتراك متعدد). ويمكن تعميق ملاحظاتنا

للمعطيات بإنزالها في قوالب لنظريات لسانية (Théorie Linguistique) نحاول من خلالها الكشف عن تفسير للتناوبات الحركية داخل عين الفعل الثلاثي المجرد السالم، ومحاولة الوصول إلى تفسير الإشكاليات المطروحة أعلاه.**الإطار النظري:**

1. طبيعة المعطيات المُعتمَدَة

تؤكد معطياتنا أن عدد صيغ الفعل الماضي الثلاثي المجرد السالم، الوارد في اللسان العربي هي ثلاث صيغ فقط:

فعَل	faʕal
فعِل	faʕil
فعُل	faʕul

تساءلنا عن محدودية هذه الأفعال، ولم اكتفى اللسان العربي بهذه الصيغ الثلاث فقط؟ وقد تبين أن سبب ذلك يكمن في اعتبارات حركية تم حصرها في مقولات دلالية وأخرى تركيبية.

والمُلاحظ من الصيغ هو:

ثبات الصوامت الأصول $\sqrt{f\ \S\ l}$.

ثبات الصائت الأول \a\، لدلالته على البناء للمعلوم مقابل البناء للمجهول.

حصول تغيير بالصائت الثاني (الصائت التصنيفي) من الصيغة الصرفية، إذ تتناوب الحركات الثلاث داخليا على مستوى عين الفعل، وهو تناوب محدود بالكم، لكن غير محدد الكيف؛ أي كيف يقع هذا التناوب ومتى؟

اشتراك الصيغ الثلاث في هيكل واحد، مكارثي (McCarthy 1979)، الذي يمثله الهيكل: ص صا ص صا ص، (التاقي، 2021، ص: 130). هذا الهيكل لا يفرِّق بين الصيغ الثلاث: faʕal وfaʕil وfaʕul.

تمثل الجذور (الأصول الثلاثية الصامتية)، المرجع الخام الذي يخضع لإسقاط صيغة صرفية للأفعال الثلاثية المجردة السالمة عليها، وبالتالي ينفتح الجذر الواحد على ثلاث صيغ، مبدئيا يقبلها كلها ما لم تُحدده مُحددات لسانية:

الشكل (1):

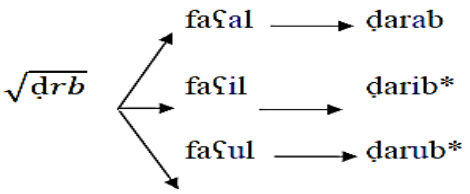

الشكل (2):

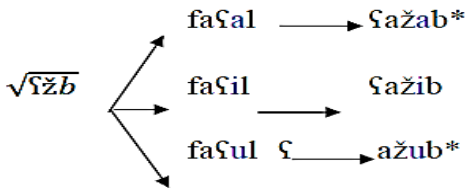

الشكل (3)

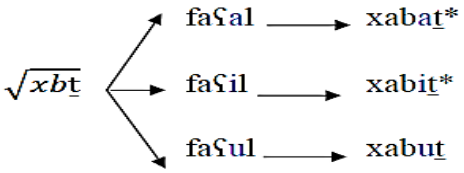

فكما يتبين من الأشكال الثلاثة (1) و (2) و (3)، فإن الجذور تنفتح على الصيغ الثلاث جميعها، إلا أن صيغة واحدة تكون الأنسب لها، وتُعتبر باقي الصيغ لاحنة والتي عبَّرنا عنها بالنجمة (*)، ناهيك عن وجود بعض الجذور التي تشترك في صيغتين، وأخرى تشترك في ثلاث صيغ، أي إنها تقبل كل الصيغ وسيأتي الحديث عنها أثناء تصنيفنا للمعطيات.

أبانت المعطيات أيضا على أن المتغير في جذع الفعل الثلاثي المجرد السالم، هو صائت عين الفعل، وهو نواة (Noyau) المقطع الثاني في الصيغة الصرفية الآتية

الشكل (4):

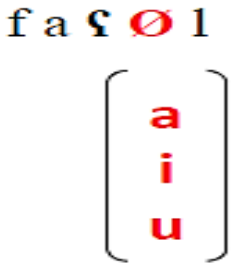

فالعنصر (Élément) الفارغ في الصيغة أعلاه لا يملؤه إلا إحدى الحركات الثلاث، والسؤال يكمن في الصوائت، أيُّها أنسب لجذر من الجذور، وأي معيار يتم وفقه اختيار صائت من الصوائت الثلاثة لجذر ما؟ هل يتعلّق الأمر بتآلف أصوات الجذر، أم بدلالته المعجمية، أم بتركيبه؟ وماذا عن الصيغ التي تشترك في جذر واحد؟ ألهذا الاشتراك علاقة بطبيعة الجذور؟

2. تصنيف المعطيات

إن المتأمل في المعطيات (Données) التي استقيناها من ثلاثة مجلدات من لسان العرب لابن منظور، يلاحظ بشكل جلي، أن الصيغ الصرفية تنحى منحى تقسيميا، إذ إنها ثُنائية التوجه، بوجود صيغ مُنفردة، وأخرى مشتركة:

الصيغة المنفردة (Formes Solos): هي الجذور التي تتخذ صيغة من صيغ الفعل الثلاثي المجرد السالم لها منفردة به، ولا تقبل بصيغ غيره، كالجذور التي في الأشكال: (1) و (2) و (3).

الصيغ المشتركة (Formes Commune): هي الجذور التي تقبل ورودها في صيغتين صرفيتين (جذور مزدوجة)، أو في ثلاث صيغ، أو: هي الصيغ التي تشترك في جذر واحد، قد يكون هذا الاشتراك اشتراكا مع الدلالة، أو اختلافا فيها. ولتوضيح ذلك نورد الأشكال الآتية:

1- الجذور المزدوجة:

الشكل (5)

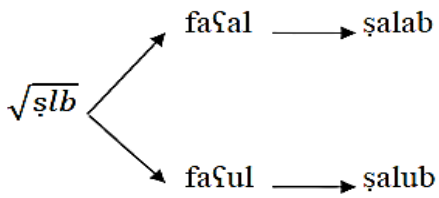

الشكل (6)

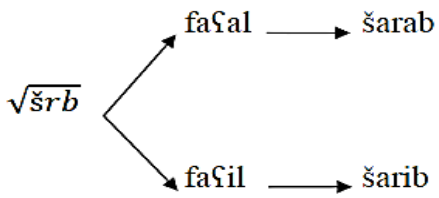

الشكل (7)

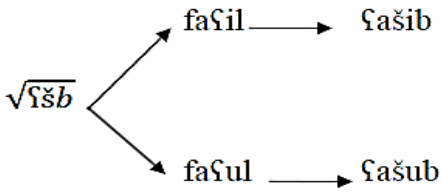

2- الجذور التي تشترك في ثلاث صيغ:

الشكل (8):

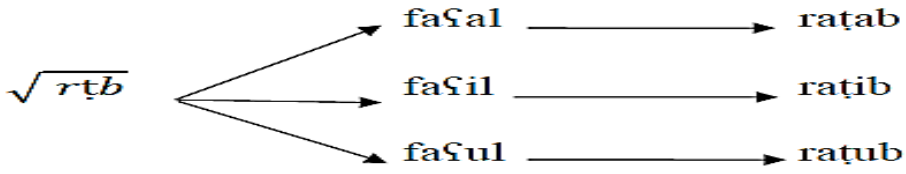

المُلاحظ أن هذا التصنيف هو موضوع تحت نسق لساني، ونظام تتداخل فيه المستويات اللسانية على مستوى الجذور، ولا نجزم أنها المُتحكمة في توجهها نحو الصيغ الصرفية للأفعال الثلاثية المجردة، بل نقول إن ترابط المكونات اللسانية للجذر، جعل توجهه منوطا بمدى توافق هذه الكلمات في الجذر نفسه، أي بتعبير قواعدي:

إذا توفرت الشروط الصوتية والصواتية في الأصوات الأصول لهذا الجذر، وتوافقت مع المكون الدلالي فإن هذا الجذر يتجه إلى صيغة: faʔØl.

ويمكن نعت المكونات اللسانية بالمصفاة (Filtre)، التي تُحدد توجه جذور معينة، إلى صيغ معينة، بالاستعانة بآلة توليدية للأفعال الثلاثية المجردة السالمة. وإلى هنا فهذا الجذر لا زال يطرح إشكالات عِدة أهمها:

هل حقا تنتظم الجذور في أعلى الآلة التوليدية، بالاعتماد على المكونات اللسانية؟

3. ملاحظة المعطيات

1.3. على المستوى الصرفي الصواتي

إن لكل صيغة من صيغ الفعل الثلاثي المجرد السالم جذرا يتميز بخصوصيات ينفرد بها، فالجذر مثل $\sqrt{Hžb}$، لن تجد له صيغة مناسبة إلا صيغة faʔal، أي [Hažab]، وإن افترضت له صيغة غير تلك الصيغة، فقد لحنت، ولم تراعِ نظام اللسان العربي، وينطبق الأمر على باقي الجذور، كالجذر $\sqrt{trb}$، فيتوجه لصيغة faʔil لا غير [tarib]. وكذا الجذر: $\sqrt{ʕtd}$، فإنه يتوجه للصيغة faʔul فقط أي [ʔatud]، فإن وضعت هذه الجذور في صيغ أخرى، غير الصيغ التي انفردت بها، فسد اللفظ والمعنى معا، وبالتالي فساد نظام ونسق هذا اللسان. هذا النوع من الجذور يتفرد بدلالته الصيغية والمعجمية والتركيبية والصوتية إلى غير ذلك، ولا يحق للمتكلم التصرُّف في صيغتها، أو في حركة عين فعلها، وهنا يمكن طرح أسئلة عنها كالتساؤل عن:

ماهية هذه الجذور؟

ولم اختصت بتفرد صيغها؟

وما تفسير انتقال كل جذر لصيغة محددة له دون غيرها؟ لماذا [Hažab] وليس */Hažib/ أو */Hažub/؟ ولِم [tarib] وليس */tarab/ أو */tarub/؟ وأخيرا لِم [ʔatud] وليس */ʔatad/ أو */ʔatid/؟

من جهة أخرى فناك معطيات تتميز باشتراك الجذر الواحد لصيغ مختلفة، وهو اشتراك يتمثل في أربعة اشتراكات للجذور، ثلاثة منها تضم اشتراك الجذر الواحد لصيغتين (اشتراك مزدوج)، والاشتراك الآخر ينفتح فيه الجذر على باقي الصيغ الثلاث (اشتراك متعدد):

1- الاشتراك المزدوج:

الجذور التي تنفتح على الصيغتين: faʔal وfaʔil، كالجذر: $\sqrt{rkb}$ [rakab]، [rakib].

الجذور التي تنفتح على الصيغتين: faʔal وfaʔul، كالجذر $\sqrt{rsb}$ [rasab]، [rasub].

الجذور التي تنفتح على الصيغتين: faʔil وfaʔul ، كالجذر $\sqrt{ʔšb}$ [ʔašib] ، [ʔašub].

2- الاشتراك المُتعدد:

الجذور التي تنفتح على الصيغ الثلاث للفعل الثلاثي المجرد السالم: faʔal، و faʔil ، و faʔul، كالجذر $\sqrt{bht}$.

يمكن أن نُعمق ملاحظاتنا للمعطيات بإنزالها في قوالب لنظريات لسانية (Théorie Linguistique) نحاول من خلالها الكشف عن تفسير للتناوبات الحركية داخل عين الفعل الثلاثي المجرد السالم:

2.3. الصواتة التنضيدية/المستقلة القطع

تبين لمكارثي McCarthy في دراسته للصيغ العربية أن بعضها تتوّحد في بنائها الهيكلي (McCarthy 1979)، فلم يُفرق بين صيغ الفعل الثلاثي، ولا بين صيغة البناء للمجهول إذ إنها تحمل نفس السلسلة الهيكلية لها، ورأى أن الاختلاف يتمثل في واجهة هذه الصيغ وفي الدلالات الحاملة لها، وليس في الهيكل: ص صا ص صا ص، فصارت الصيغ: فَعَل وفَعِل وفَعُل وفُعِل، تحت نفس الهيكل.

إلا أن هذا التوحيد الهيكلي لهذه الصيغ يثير مجموعة من الإشكالات إذا ما تم ربطها بعقود الربط التي اقترحها مكارثي McCarthy ، والتي نُجمِل مبادءها فيما يأتي:

أ- تُربط الأجزاء التنضيدية بوحدات الهيكل (ص و صا)، الواحد تِلوَ الآخر من اليسار إلى اليمين.

ب-إذا تم تطبيق العقد أ، وبقيت وحدات من الهيكل شاغرة، فإن الجزء التنضيدي الموجود في أقصى اليمين، يتوسع ويرتبِط بها.

ج- إذا كان عدد الوحدات الهيكلية يقل عن عدد الأجزاء التنضيدية، فإن تلك الموجودة في أقصى اليمين تظل عائمة، وبذلك لا تتحقق على المستوى الصوتي (التاقي، 1992، ص 129).

أمام هذه العقود يمكن الحديث عن العقد الأول فقط بالنسبة للصيغتين: faʔil وfaʔul ، إذ يراعي ما جاء في العقد الأول من نظرية عقود الربط، وبالتالي بقصي باقي العقود، ونوضحه بالشكليين الآتيين:

الشكل (9) أ: تمثيل فعل tarib:

الشكل (10) ب: تمثيل فعل ʔatud:

أما عن صيغة faʔal ففد فعَّلت العقدين أ وب في النغم الصائتي، حيث تم ملء العنصر الصائتي الثاني بالعنصر الصائتي الأول لكونه آخر العنصر التنضيدي للنغم الصائتي الذي توسع في العنصر الصائتي الثاني الشاغر، ويوضح الشكل (11) هذا التفعيل:

الشكل (11): تمثيل الفعل Hažaba

لا تعالج عقود الربط قضيتنا ولا تمنح تفسيرات للإشكالات المطروحة بالبحث، وقد أوردناها لمعرفة ما يربط هذه الصيغ بعضها ببعض، وما يفصل بينها، وهو ما اتضح لنا في الصيغتين: faʔil وfaʔul، اللتين تُربطان بكل الصرفيات الممكنة في الخطوط التنضيدية، وهو الأمر الذي لا نجده بصيغة faʔal، لأن الصائت الأول من الفعل: \a\، ينتشر لموقع الصائت الثاني من الهيكل. والمُلاحظ أن الصيغ الثلاث يجمعها هيكل واحد رغم تنوع حركات عين الفعل الثلاثي المجرد، وهذا التصور يحجب جوهر الظاهرة التي نعالجها (التناوبات الحركية الداخلية بعين الفعل الثلاثي المجرد السالم)، إذ إن التحقيق الصوتي للصيغ الصرفية يختلف تماما عن ثبات الهيكل في الصيغ الثلاث بالصواتة التنضيدية.

3.3. الصواتة المقطعية

تُعد الصواتة المقطعية (Phonologie Syllabique) تطويرا للصواتة التنضيدية، إذ قام كل من لوفنشتام وكاي (*Lowenstamm et Kaye 1986*) (التاقي، 2021، ص: 131) بالاهتمام بما هو فوق مقطعي، فتم إقحام البنية المقطعية ضمن التمثيل الصواتي، وتم التفريق بين المقاطع الصوتية والمقاطع الصواتية، وهذا الأخير-المقاطع الصواتية- تم القيام بموجبها على تعويض المواقع الموسومة بصامت وصائت بمواقع خالصة، تخضع للتأويل المقطعي، بالاعتماد على المقاطع الصواتية العربية. اعتُبِرت هذه المواقع (الهياكل) أكثر تجريدا من الصيغ، وأقل عددا من حيث المقاطع مما يَسهُل معه تفسير بعض الظواهر اللسانية. حددت المقطعية قمما للمواقع الخالصة؛ تمثل قافيته ونواته واستئنافه وذيله، وعلى المستوى الصوري[1] لهذه المكونات المقطعية التي قامت على قمم،

[1] - هذا التمثيل هو تمثيل للسان العربي.

فكل قمة تمثل مقطعا، وأهم ما في المقطع النواة، والتي إن تفرعت فإن عنصر القافية لا يتفرع، ولا يمكن للاستئناف أن يربط بصائت، وأما الذيل فربطه يكون اختياريا، ولا يُربط بصائت كذلك. يمكن تمثيل المقطعية على الشكل الآتي:

الشكل (12): تمثيل البنية المقطعية:

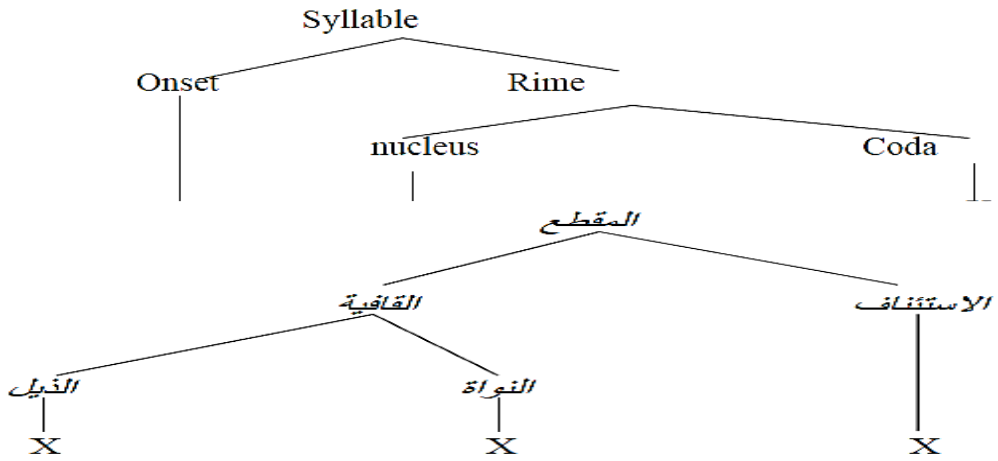

إن المقاطع الصواتية العربية محدودة، وعناصر تشكيلها ثلاثة، وأما عن سعة مقاطعها فهي ما بين اثنين وثلاث وهي:

المقطع المغلق: *ص صا ص*

المقطع المفتوح: *ص صا صا*

المقطع القصير: *ص صا*

ويمكن إيضاح هذه المقاطع على الصيغ الصرفية للأفعال الثلاثية الماضية السالمة في الشكل الآتي:

الشكل (13): تمثيل البنية المقطعية للصيغ الصرفية: faʔal وfaʔil وfaʔul

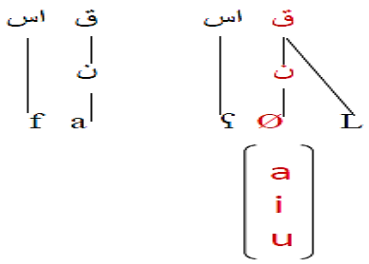

يمكن أن نلاحظ أن المقطع الأول (المقطع القصير) ذو بنية قارة، لا يخضع لأي تغييرات اشتقاقية في الأفعال الثلاثية المجردة السالمة، إلا أن نواة المقطع الثاني (المقطع المغلق) عبارة عن مكان قابل للملء بالصوائت الثلاثة، إذ تتناوب فيه الصوائت داخليا أي في البنية المقطعية نفسها، باعتبارها عناصر نووية، ولا يستقيم المقطع إلا بها.

إن النتائج المُتحصل عليها في البنية المقطعية، لا تُفسر طريقة عمل التناوب الصائتي في المقطع، وإنما تشير البنية إلى إمكانيتها، إلا أنها لا تجيب عن سؤال متى تكون حركة الفتحة أو الكسرة أو الضمة نواة في استئناف المقطع الثاني؟ وأيضا لا تجيب الصواتة المقطعية عن سبب اشتراك الجذور في صيغتين أو أكثر!

4.3. التناوب الصائتي انطلاقا من النظرية الأبوفونية

اقترح كرسل ولوفنشتام (Guerssel & Lowenstamm *1990-1996*) قضية التناوب الحركي لضبط الأفعال العربية وتتبع مساراتها من الفعل الماضي إلى المضارع، وهو ما يجعلنا نطرح السؤال عن إمكان الاشتغال بالمسار العكسي للتناوب الصامتي، وننطلق من الفعل المضارع إلى الفعل الثلاثي المجرد السالم؟ إذ إن التغيير الحاصل بالأفعال الثلاثية المجردة حاصِل في صائت عين الفعل، لا في حروفه الأصول، نتساءل للوصول بهذا الاقتراح إلى نتيجة نستطيع من خلالها التنبؤ بحركة عين الفعل الثلاثي المجرد السالم، لذا يجدر بنا تتبع المسارين معا ثم نستخلص بعدها المسار العكسي لهما: الشكل (14):

لتصفية هذه الأفعال نقول إن المسار:

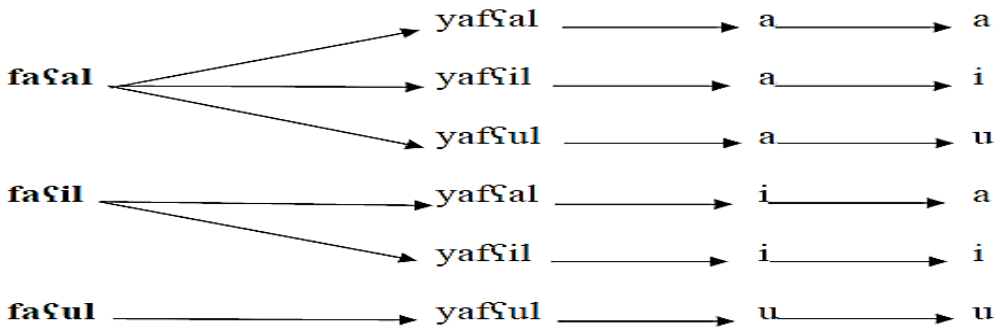

a ← a: يتحقق عند ورود حرف حلقي (Pharyngal) في عين أو لام الفعل.

i ← i: وهو استثناء إذ يضم بضعة أفعال فقط، ويقبل أن يتحقق في المسار الآتي: ←

a i

ونحصل في الأخير على التناوبات الآتية في الشكل:

الشكل (15):

a ⟶ u I ⟶ a

a ⟶ I u ⟶ u

إذا افترضنا أن النظام الصرفي العربي، له توجه من المضارع إلى الماضي، فإننا سنجده ينتظم على الشكل التالي:

الشكل (16):

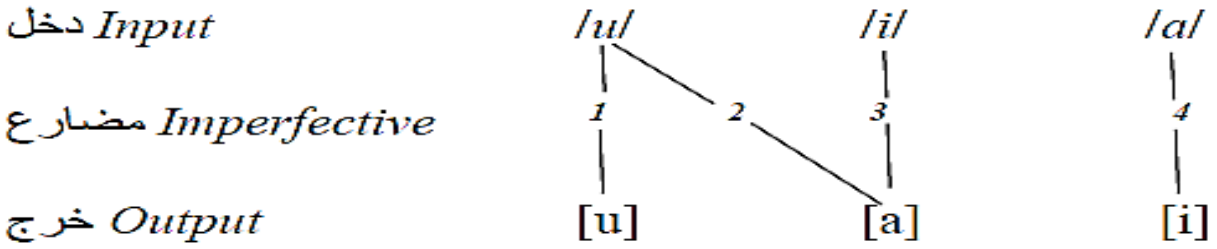

إن الإشكال المطروح يقع في حركة الفتحة التي تتوجه من الماضي إلى المضارع بتوجهين، مما يجعل من السهل توقع عين الفعل الماضي مبدئيا، لكن يظل الإشكال في الصائت /u/ بالمضارع، إذ ليس كل فعل مضارع على صيغة yafʔul ماضيه faʔal، فقد يكون ماضيه faʔul أيضا. من الشكل (16) يمكن استخلاص المسار الأبوفوني العكسي، وذلك بتحديد توجهات حركات الصوائت من المضارع إلى الفعل الثلاثي المجرد:

الشكل (17): المسار الأبوفوني العكسي:

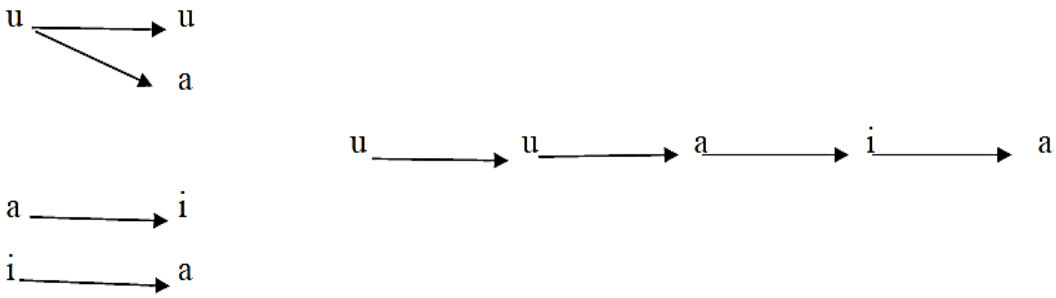

رغم ما يشوب هذا المسار من إشكالات داخلية، كثنائية القطبية، التي عالجها الباحثان كرسل ولوفنشتام Guerssel & Lowenstamm، إذ تم تعويضها بالقطبية الأحادية بالنسبة للتوجه الخاص من الفعل الماضي إلى المضارع، إلا أننا نجدها تتكرر في الفعل المضارع، مما جعل الباحثَيْنِ يفترضان أن نظام اللسان العربي له توجه من الماضي نحو المضارع. ومنه نرى أنه يمكننا التنبؤ بحركة صائت عين الفعل الماضي المجرد السالم انطلاقا من صيغتي المضارع: yafʔal، الذي يُفترض أن يكون المقابل له في صيغة الماضي هو: faʔil، وصيغة yafʔil، الذي يُفترض أن يكون فعله على صيغة: faʔal، إلا أننا نقف عند صيغة yafʔul، التي لا يمكن أن نتنبأ لها بحركة ثابتة للفعل الثلاثي المجرد السالم، فنقف في كونها تقبل الصيغتين: faʔal أو faʔul، مما يدعو للتساؤل التالي: متى تتوجه صيغة المضارع yafʔal لصيغة faʔal؟، ومتى تتوجه إلى faʔul؟.

إن النظرية الأبوفونية (Théorie Apophonique) العكسية التي اقترحناها لا تجيب على إشكالية اشتراك بعض الجذور لصيغ أخرى للفعل الثلاثي المجرد، لا سيما أن المعطيات أبانت عن وجود حالات أخرى للجذور، التي تشترك في جميع الصيغ.

5.3. على المستوى الدلالي

إن تشارك الجذور في صيغتين أو أكثر من صيغ الفعل الثلاثي الماضي المجرد، لا يعني اشتراكها في الدلالة المعجمية، وهذا ليس بالمطلق وإنما توجد حالات تشترك فيها صيغ متعددة بجذر واحد

مع اشتراك في نفس الدلالة. قد ظهرت في حالات أخرى اختلاف للدلالات في الجذر الواحد إذا اشترك مع الصيغ الأخرى، وهذا ما يجعلنا نفترض أن الصائت الثاني بعين الفعل (الصائت التصنيفي)، هو عبارة عما اصطلحنا عليه بالصائت الدلالي. الأمر نفسه يذكره جورج مونان في معرض حديثه عن الألفاظ، فـ: للألفاظ معنى لازم متصل بطبيعتها، أي إنها تعكس بلفظها المعبر أو ببنية اشتقاقها الواقع الذي تعبر عنه (مونان، 1972، ص: 91).

الشكل (18أ): اختلاف معنى الصيغتين للجذر الواحد مثال للجذر: $\sqrt{}$ ح س ب

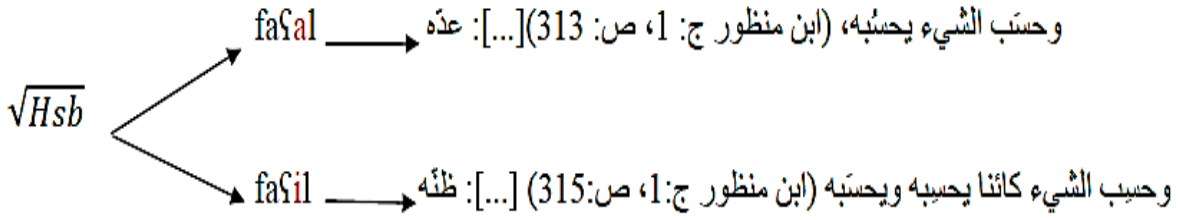

الشكل (18ب):اتفاق معنى الصيغتين للجذر الواحد مثال للجذر: س غ ب $\sqrt{}$:

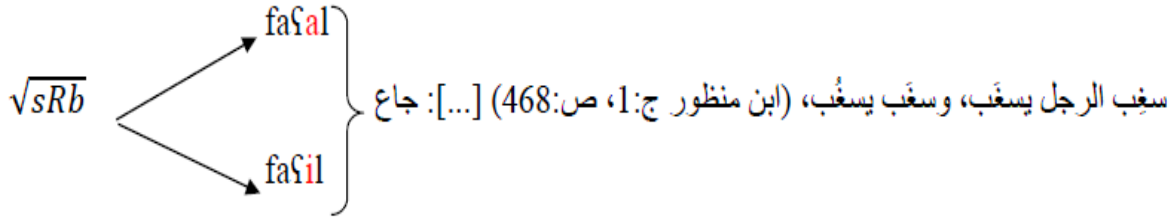

إن هذين الشكلين يجعلاننا نقف ولو بإشارة لما يحتويه هذا الصائت الدلالي (صائت عين الفعل الثلاثي المجرد) من أبعاد دلالية، إذ كان المتقدمون يعتبرونه نقطة الفصل ما بين الصيغ الثلاث، إلا أن التعبير التفسيري لنظريتهم الدلالية، لم يُسعفهم على إيضاح المقاصد منها. سيفيدنا الربط الدلالي بالصائت الثاني للصيغة الصرفية في الكشف عن صحة نظريتهم، وأيضا محاولة استدراج المكون الدلالي للآلة التوليدية التحويلية للصيغ الصرفية، التي نفترضها في ظاهرتنا، ونعتبر هذا المكون كمصفاة لهذه الآلة، علاوة على ذلك سنتمكن من الإجابة على إشكالات ظلّت مُعلّقة بالفصل الأول وبداية هذا الفصل.

والدلالة هي "العلم الذي يدرس المعنى، أو ذلك الفرع من علم اللغة الذي يتناول نظرية المعنى، أو ذلك الفرع الذي يدرس الشروط الواجب توفرها بالرمز حتى يكون قادرا على حمل المعنى"(أحمد مختارعمر، 1998، ص: 11). ولعلم الدلالة نظريات وفروع عديدة، منها نظرية الحقول الدلالية، التي سنعتمدها في معالجة قضيتنا تحت مُسمَّى الصائت الدلالي؛ أي حركة عين الفعل الثلاثي المجرد السالم.

6.3. نظرية الحقول الدلالية

يمكنننا تعريف هذه النظرية بأنها تضم مجموعة من الكلمات المتقاربة في معانيها والتي يتم وضعها تحت لفظ/حقل عام يجمعها، أو هي مجموعة جزئية لمفردات اللغة، كما عرّفها لاينز **Lyons**. ومن المبادئ التي حددها أصحاب النظرية نذكر:

1- لا وحدة معجمية عضو في أكثر من حقل.
2- لا وحدة معجمية لا تنتمي إلى حقل معين.
3- عدم إغفال السياق الذي تأتي فيه الكلمة.
4- لا يمكن دراسة المفردات بعيدة عن تركيبها النحوي. (*lyons,1, p: 268-269*).

يمكن إعادة صياغة مبادئ هذه النظرية، لتطاوع ظاهرتنا الصرفية لصيغ الفعل الثلاثي المجرد السالم فيما يأتي:

1- لا وحدة معجمية (الجذر/الفعل) في أكثر من حقل أو في صيغة صرفية.
2- لا وحدة معجمية (الجذر/الفعل) لا تنتمي إلى حقل معين أو في صيغة صرفية معينة.
3- لا يمكن دراسة الأفعال بعيدة عن وزنها الصرفي.

تم إسقاط المبدأ الثالث من النظرية، لكوننا ندرس الأفعال وجذورها في المعاجم، فالسياق لا يُراعى في هذه الحالة، وإنما الهدف الذي نرومه من أول كلمة من هذا البحث هو دراسة الجذر والصيغة الصرفية مجردة، دون معرفة سياقاتها. ذلك أن بنية الفعل لوحدها تحمل نظاما تتبع أثره، انطلاقا من بنية الجذر العميقة، انتهاء بالصورة الصوتية للفعل الثلاثي المجرد السالم مُحققة.

إضافة لأنواع نظرية الحقول الدلالية (Théorie des Champs Sémantique) التي تتعدد بتعدد المُنظِّرين لها، فقد ساهمت في إعادة بناء معاجم وفق المبادئ والأنواع التي تلتزم بها، كقاموس

Roget، لكلمات اللغة الإنجليزية، إذ تم تصنيفه على أساس الموضوعات والمفاهيم. وقد قامت النظرية بإيراد نماذج كثيرة فتوسعت مفاهيمها ومبادؤها، وتم وضع أسس لها في إنشاء المعاجم، باعتبار أن بعض الحقول الدلالية (Champs Sémantiques) تشترك مفاهيمها مع اللغات الطبيعية، فقد اهتم تشومسكي بالعنصر الدلالي في نظرياته، بدءا من النظرية المعيار Théorie (1965 Standard)، والنظرية المعيار الموسعة (1977 Théorie Standard Etendu)، ونظرية الربط والعمل، إلى البرنامج الأدنوي 1990...، ونالت الدلالة نصيبا أوفر في النظرية المعرفية (Théorie Cognitive)، وتم تخصيص فرع لها تحت مُصطلح الدلالة المعرفية بريادة **فيلمور** و**جاكندوف**، وغيرها من النظريات.

لإسقاط ظاهرتنا في هذا القالب الدلالي نشير إلى أن المتقدمين قد كانت لهم نظرة مشابهة لنظرية الحقول الدلالية، والتي تُعرَف في الحقل اللغوي القديم بالرسائل اللغوية، أو معجم الموضوعات[1]. ورغم وجود ما يعيب هذه المعاجم في منهجها، إلا أنها لا تنفي تميز المحاولة والالتفاتة التي تم تقديمها لهذا الطرح الدلالي.

بعودتنا للصائت التصنيفي؛ أي حركة عين الفعل الثلاثي المجرد، نرى إمكانية ربطه بمبادئ النظرية في الشكل الآتي:

الشكل (19):[2]

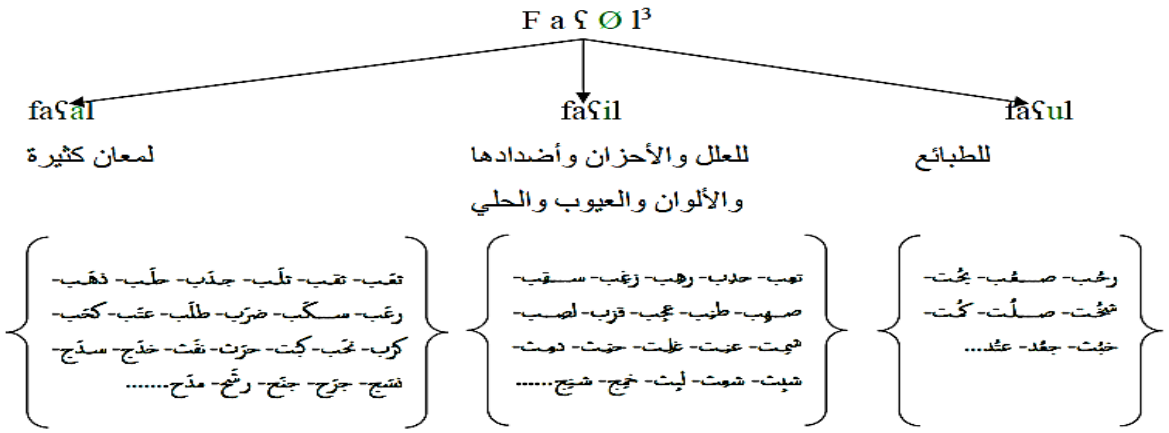

[1] - ككتاب الحيات والعقارب لأبي عبيدة، وكتاب الذُّباب لابن الأعرابي، وكتاب الألفاظ لابن السكيت، والألفاظ الكتابية للهمذاني، والمخصص لابن سيده، وفقه اللغة وأسرار العربية للثعالبي...

[2] - انظر معاني الأفعال كما جاءت عند الرضي الاستراباذي(ت686هـ)، في شرح شافية ابن الحاجب، الجزء 1، الصفحة 71 وما بعدها.

نلاحظ أن للصيغتين faʔil وfaʔul دورا دلاليا، إذ تُحدَّد صوائت عين فعلهما الثلاثي المجرد انطلاقا من معانيهما، فهو بمثابة **صائت دلالي (Voyelle Sémantique)**، كما تبين في الشكل أعلاه. مبدئيا نجد تفسيرا دلاليا للصيغتين faʔil وfaʔul، بناء على العلاقة التي تربط بين الحقول الدلالية وبعض المعطيات، إلا أن الإشكال لا زال قائما في صيغة faʔal باختراقها للمبدأين الأول والثاني من المبادئ التي اقترحناها، ولأن الصائت /a/ جاء لمعان كثيرة، تضم ما جاء في الصيغتين faʔil وfaʔul كذلك. كما يمكن أن نعتبر صيغة faʔal جذعا نوويا شاملا لدوره الكبير في صيغ اللسان العربي عموما وفي صيغ الفعل الثلاثي المجرد خصوصا، بيد أن هذا الطرح الدلالي ضم معطيات الجذور المنفردة الصيغة فقط، لكن ماذا عن الجذور المشتركة الصيغ؟ كالجذر:$\sqrt{\check{s}Hb}$ التي تشترك في صيغتين: شحِب وشحُب، أو الجذر: $\sqrt{n\S t}$ الذي يشترك في ثلاث صيغ: نعَت، ونعِت، ونعُت!

إن نظرية الحقول الدلالية؛ لا تعالج إشكال اشتراك الجذر الواحد للصيغ، إذ إننا إذا افترضنا أن حقلا ما يختص بتحديد الصائت /i/ في عين الفعل الثلاثي المجرد. في الوقت نفسه يمكن للصائت /u/، أن يدل على الحقل عينه، وبالتالي الأفعال نفسها، إلا أن الصيغة مختلفة، وهذا اختراق للمبدأ الأول من مبادئ النظرية.

نستخلص أن علم الدلالة (Semantics) فيما يخص نظريته في الحقول الدلالية، ساهم في الإجابة على سؤال تم طرحه بالفصل الأول وهو: لم اختصت الصيغتان faʔil وfaʔul ، بدلالات محددة بينما الصيغة faʔal لا؟ إلا أن هذه النظرية كما أشرنا سابقا تجيب على معطيات الصيغ المنفردة فقط، بل وتدعم الطرح التقليدي الذي جاء به المتقدمون في هذا الإطار، لكن بشكل أكثر تخصيصا وتفصيلا. أيضا هذه النظرية لا تَحلُّ إشكالات كثيرة حيث لم تستطع الإجابة عليها، وبالتالي يمكن طرح مصطلح الصائت الدلالي في مستوى الصيغ المنفردة بالنسبة للصيغتين: faʔil وfaʔul فقط.

4. النظرية الصواتية المعيار والتناوب الصائتي الداخلي لأوزان الفعل الثلاثي المجرد السالم

إن وقوفنا على مجموعة من النظريات اللسانية، مهّد طريقنا للبحث عن بديل أكثر فاعلية من حيث نتائجه، الأمر الذي قادنا لاتخاذ النظرية الصواتية المعيار خارطة طريق لظاهرتنا، لاكتشاف خبايا الحروف الأصول بالجذر وعلاقتها بالصيغ الصرفية، بملاحظة سمات صوامته وتفاعلاته مع باقي الصوامت ملاحظة صوتية صواتية، فالنظرية الصواتية المعيار صارت من مكونات النموذج المعيار للنحو التوليدي، لهالي وتشومسكي (1968)، إذ غيرت ترسانتها المصطلحية، وأيضا المنهجية، مع هدف الكشف عن النحو الكلي لقدرة المتكلم السامع، فتم إقامة هيكل كلي للنحو ضَمَّت المكونات اللسانية الآتية: المكون التركيبي، والدلالي، والصواتي، هذا الأخير الذي قفز قفزة نوعية في دراسة مختلف الظواهر اللسانية، واستبدل بعض المفاهيم التي كانت ثابتة في النظريات قبل النموذج المعيار، كاستبدال مصطلح الفونيم (Phonème) بالقطعة (Segment)، واعتماد مفاهيم جديدة كالمصفوفة (Matrice) والسمات المميزة (Distinctive Features). فالمصفوفة: هي الأداة الوصفية المعبرة عن القطع الصوتية، إذ تتألف من مجموع السمات المميزة، التي تُفرِّقُ بين قطعة صوتية عن الأخرى ومن شروطها:

1- تنتظم المصفوفة عموديا في شكل سطور متتالية.
2- يتضمن كل سطر سمة مميزة واحدة ووحيدة.
3- لا يجوز تكرار سمة داخل المصفوفة.
4- كل سمة يجب أن تكون مسبوقة بقيمة موجبة أو سالبة.
5- لا تحتمل السمة إلا قيمة واحدة (التاقي، 2017،2018).

السمات المميزة:

استلهم تشومسكي وهالي (1968) مفهوم السمات المميزة من أعمال الأستاذين: هالي، ورومان ياكبسون، [...]، واقترحا لائحة بما يناهز الثلاثين سمة لتعيين كل أصوات الألسن الإنسانية، وقاما بوضعها وبتصنيفها وفق ثلاثة مرتكزات أساس:

1- مجرى الهواء عند المنطقة الحنجرية.
2- مجرى الهواء ما بعد المنطقة الحنجرية.
3- نقطة التلفظ والأعضاء التلفظية وتفاعلاتها (التاقي، 2017،2018).

ووضعا جدولا لهذه السمات (السغروشني، .....، ص: 34-40) (بوهاس Bohas ، 2000، ص: 18)، وأخضعوها إلى تمثيل ثنائي القيم فإما أن تكون السمة موجبة أو سالبة، ونرمز إلى ذلك بالرمزين: [+] و [-]، [...] فكل قطعة (Segment) لغوية هي إما [+س] أو [-س] ويستحيل في ذات الآن: [+س] و[-س]. (التاقي، 2017،2018)

وللصواتة المعيار (Phonologie Générative) صياغة صورية للقواعد الصواتية (Règles Phonologiques)، يمثل هيكلها العام الشكل الآتي:

الشكل (20): (التاقي، 2017،2018)

د ـــــــــــ ج / ب ⟶ أ

ومن القواعد المُعتمدة في هذه النظرية نذكر:

التحويل: +ج ـــــ / ب ⟶ أ

الحذف (Effacer): د ـــــ ج/ Ø ⟶ أ

الحشو (Redondance): ج ـــــ ب / أ ⟶ Ø

القلب المكاني (Métathèses): 1324 ⟶ ص صا ص ص 4 3 2 1

ومجموعة من القواعد الأخرى (السغروشني،.....، ص: 46 – 43).

نهدف من هذا المدخل للنظرية المعيار، والنظرية الصواتية المعيار، إلى استدراج قاعدة من القواعد الصورية المعتمدة، وتوظيفها في دراسة ظاهرتنا، إذ إننا ننطلق من الجذر $\sqrt{\text{ف ع ل}}$ مجردا بحروفه الأصول لا غير، إلا أن بعد وضعه بالميزان الصرفي/ الصيغة الصرفية من صيغ الفعل الثلاثي المجرد السالم faʔal أو faʔil أو faʔul، نجد حشوا لقطعتين صائتيتين وهما الصائت [a] بعد القطعة الأولى [f]، والقطع الصائتية: [a] و [i] و [u]، بعد القطعة الثالثة [ʔ]. فالقطعة الثانية المحشوة بالصائت [a] تكون عبر مقولات تركيبية تضم سمات أخرى غير السمات المميزة التي ذكرناها آنفا، وإنما تأخذ القطعة الصائتية الثانية [a] سمة [+بناء للمعلوم]، لكن ماذا عن القطع الصائتية الرابعة

المحشوة بالجذر؟ متى يتم حشوه؟ وفي أي سياق؟ وعلى أي أساس يتم اختيار حشو صائت من الصوائت الثلاثة؟، إن هذه الأسئلة تدعو لتضمين قاعدة الحشو كمنطلق لنا في افتراض حل لهذه الظاهرة والإجابة على الكثير من الإشكالات المطروحة، ونصوغ قاعدته كالآتي:

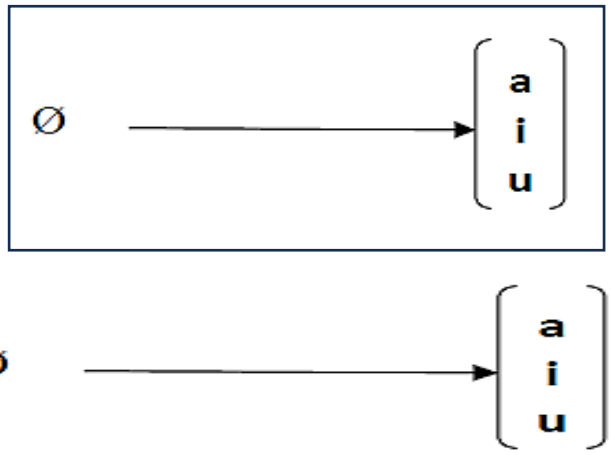

الشكل (21):

يتضح من الشكل (21)، أن هناك حشوا لقطع صائتية، غير موجودة في التمثيل الصواتي للجذر؛ أي من البنية العميقة (Structure Profonde) /ف ع ل/ إلى البنية السطحية Structure de Surface [فَعَل].

لن ندخل في دقائق المعطيات لمعرفة متى يكون هذا الحشو في جميع حالاته، إلا أننا سنكتفي بنموذج أولي كمؤشر نستطيع من خلاله تتمة العمل مستقبلا، وفي وقت يتسع فيه ذلك، ويتسع معه نطاق ملاحظاتنا بالانتقال من ثلاثة مجلدات إلى ملاحظة معطيات معجم لسان العرب ككل.

يمكن تطبيق الشكل (21)، على سمات الصوائت وفق القاعدة الآتية:

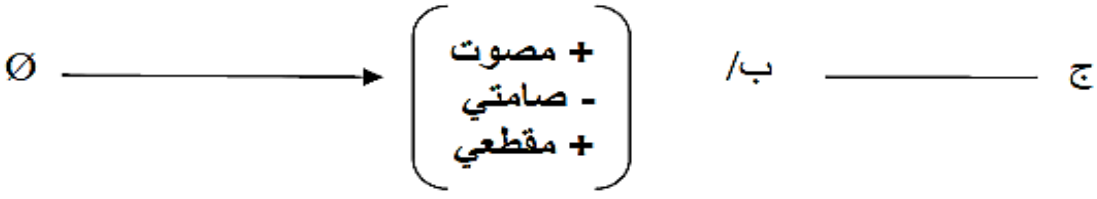

وعلى

إذا كانت عين الجذر[1] تحمل السمة: [+انقباض جذر اللسان][2]، فإن عين الفعل الثلاثي المجرد تكون بالفتح:

ونصوغه على الشكل الآتي:

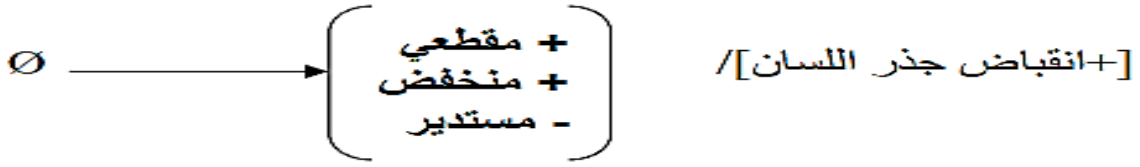

مما يدعم هذا الرأي إحصائيا هو أن الصيغ المُنفردة من أصل 570 فعلا يوجد 64 فعلا تحمل عين فعله السمة: [+انقباض جذر اللسان] قد توجه للصيغة: faʔal.

نموذج معطيات:

ترقيم	الجذر	الصيغة	الفعل	IPA	حركة العين	ج1	ج2	ج3
1	ṯqb	فَعَل	ثقَب	ṯaqab	a	ث	ق	ب
2	Hḍb	فَعَل	حضَب	Haḍab	a	ح	ض	ب
3	Hṭb	فَعَل	حطَب	Haṭab	a	ح	ط	ب
4	HḎb	فَعَل	حظَب	HaḎab	a	ح	ظ	ب
5	xṭb	فَعَل	خطَب	xaṭab	a	خ	ط	ب
6	rḍb	فَعَل	رضَب	raḍab	a	ر	ض	ب
7	rqb	فَعَل	رقَب	raqab	a	ر	ق	ب
8	zqb	فَعَل	زقب	zaqab	a	ز	ق	ب
9	štb	فَعَل	شطَب	šaṭab	a	ش	ط	ب
10	hḍb	فَعَل	هضَب	haḍab	a	ه	ض	ب
11	Rṣb	فَعَل	غصَب	Raṣab	a	غ	ص	ب
12	qṣb	فَعَل	قصَب	qaṣab	a	ق	ص	ب
13	qḍb	فَعَل	قضَب	qaḍab	a	ق	ض	ب
14	qṭb	فَعَل	قطَب	qaṭab	a	ق	ط	ب
15	kḎb	فَعَل	كظَب	kaḎab	a	ك	ظ	ب
16	nḍb	فَعَل	نضَب	naḍab	a	ن	ض	ب
17	nṭb	فَعَل	نطَب	naṭab	a	ن	ط	ب
18	hḍb	فَعَل	هضَب	haḍab	a	ه	ض	ب

[1] - الأمر نفسه ينطبق على فاء الجذر

[2] - تضم القِطع: الصاد، والضاد، والظاء، والطاء، والقاف.

19	mṣt	فَعَل	مصَت	maṣat	a	م	ص	ت
20	nṣt	فَعَل	نصَت	naṣat	a	ن	ص	ت
21	bqṯ	فَعَل	بقَث	baqaṯ	a	ب	ق	ث
22	lṭṯ	فَعَل	لطَث	laṭaṯ	a	ل	ط	ث
23	lqṯ	فَعَل	لقَث	laqaṯ	a	ل	ق	ث
24	nqṯ	فَعَل	نقَث	naqaṯ	a	ن	ق	ث
25	Hḍž	فَعَل	حضَج	Haḍaž	a	ح	ض	ج
26	btH	فَعَل	بطَح	baṭaH	a	ب	ط	ح
27	rḍH	فَعَل	رضَح	raḍaH	a	ر	ض	ح
28	zqH	فَعَل	زقَح	zaqaH	a	ز	ق	ح
29	sṭH	فَعَل	سطَح	saṭaH	a	س	ط	ح
30	fṭH	فَعَل	فطَح	faṭaH	a	ف	ط	ح
31	fqH	فَعَل	ففَح	faqaH	a	ف	ق	ح
32	lṭH	فَعَل	لطَح	laṭaH	a	ل	ط	ح
33	mṣH	فَعَل	مصَح	maṣaH	a	م	ص	ح
34	mḍH	فَعَل	مضَح	maḍaH	a	م	ض	ح
35	mṭH	فَعَل	مطَح	maṭaH	a	م	ط	ح
36	nṣH	فَعَل	نصَح	naṣaH	a	ن	ص	ح
37	nḍH	فَعَل	نضَح	naḍaH	a	ن	ض	ح
38	nṭH	فَعَل	نطَح	naṭaH	a	ن	ط	ح
39	nqH	فَعَل	نقَح	naqaH	a	ن	ق	ح
40	rṣx	فَعَل	رصَخ	raṣax	a	ر	ص	خ

ستة أفعال تُجاه الصيغة: faʔil، ولا نجد فعلا بصيغة faʔul قد تضمن هذه السمة.

ترقيم	الجذر	الصيغة	الفعل	IPA	حركة العين	ج1	ج2	ج3
1	sqb	فَعِل	سقِب	saqib	i	س	**ق**	ب
2	lṣb	فَعِل	لصِب	laṣib	i	ل	**ص**	ب
3	sqt	فَعِل	سقِت	saqit	i	س	**ق**	ت
4	nḍž	فَعِل	نضِج	naḍiž	i	ن	**ض**	ج
5	lqH	فَعِل	لقِح	laqiH	i	ل	**ق**	ح
6	šqḏ	فَعِل	شقِذ	šaqiḏ	i	ش	**ق**	ذ

واحد وعشرون فعلا يشترِك مع الصيغ: خمسة عشر فعلا مع faʔal وfaʔil:

ترقيم	الجذر	الصيغة	الفعل	IPA	حركة العين	ج1	ج2	ج3

ترقيم	الجذر	الصيغة	الفعل	IPA	حركة العين	ج1	ج2	ج3
1	Hṣb	فَعَل/فَعِل	حصَب/حصِب	Haṣab	a	ح	**ص**	ب
2	xṣb	فَعَل/فَعِل	خصَب/خصِب	xaṣab	a	خ	**ص**	ب
3	xḍb	فَعَل/فَعِل	خضَب/خضِب	xaḍab	a	خ	**ض**	ب
4	šṣb	فَعَل/فَعِل	شصَب/شصِب	šaṣab	a	ش	**ص**	ب
5	ṣqb	فَعَل/فَعِل	صقَب/صقِب	ṣaqab	a	ص	**ق**	ب
6	ʕṣb	فَعَل/فَعِل	عصَب/عصِب	ʕaṣab	a	ع	**ص**	ب
7	ʕṭb	فَعَل/فَعِل	عطَب/عطِب	ʕaṭab	a	ع	**ط**	ب
8	ʕḎb	فَعَل/فَعِل	عظَب/عظِب	ʕaḎab	a	ع	**ظ**	ب
9	ʕqb	فَعَل/فَعِل	عقَب/عقِب	ʕaqab	a	ع	**ق**	ب
10	Rḍb	فَعَل/فَعِل	غضَب/غضِب	Raḍab	a	غ	**ض**	ب
11	nṣb	فَعَل/فَعِل	نصَب/نصِب	naṣab	a	ن	**ص**	ب
12	fḍH	فَعَل/فَعِل	فضَح/فضِح	faḍaH	a	ف	**ض**	ح
13	Hqd	فَعَل/فَعِل	حقَد/حقِد	Haqad	a	ح	**ق**	د
14	xḍd	فَعَل/فَعِل	خضَد/خضِد	xaḍad	a	خ	**ض**	د
15	ʕḍd	فَعَل/فَعِل	عضَد/عضِد	ʕaḍad	a	ع	**ض**	د

ثلاثة أفعال مع faʕal وfaʕul:

ترقيم	الجذر	الصيغة	الفعل	IPA	حركة العين	ج1	ج2	ج3
1	mqt	فَعَل/فَعُل	مقَت/مقُت	maqat	a	م	**ق**	ت
2	šqH	فَعَل/فَعُل	شقَح/شقُح	šaqaH	a	ش	**ق**	ج
3	fṣH	فَعَل/فَعُل	فصَح/فصُح	faṣaH	a	ف	**ص**	ح

و ثلاثة أفعال تشترك مع الصيغ كلها:

ترقيم	الجذر	الصيغة	الفعل	IPA	حركة العين	ج1	ج2	ج3
1	rṭb	فَعَل/فَعِل/فَعُل	رطَب/رطِب/رطُب	raṭab	a	ر	ط	ب
2	ʕḍb	فَعَل/فَعِل/فَعُل	عضَب/عضِب/عضُب	ʕaḍab	a	ع	ض	ب
3	nqb	فَعَل/فَعِل/فَعُل	نقَب/نقِب/(نقُب)	naqab	a	ن	ق	ب

إن ما تقدم ذكره هو غيض من فيض للتعمق فيما أوردناه، لمعرفة هذا النظام الذي ظل ينتظر من يكشفه بلساننا العربي، ونحن لم نكتفِ فقط بسمة [+انقباض جذر اللسان]، لتبيان توجهه نحو صيغة *فعَل* بإحصاءات لها، وإنما أوردناه كمثال فقط بل قد وجدنا ما يثير انتباهنا أكثر وأكثر كسمة [-متصل] إذا وردت بفاء الفعل فإن 104 فعلا من الجذور المنفردة التي تتوجه لصيغة *فعَل*. بينما 24 فعلا يتوجه لصيغة *فعِل*. إلا أننا أوردنا سمة [+انقباض جذر اللسان]، لكون صوامته أقوى الصوامت العربية جرسا كما جاء عند علماء التجويد، وبالتالي توجهه لأخف الحركات. الأمر الذي أشرنا إليه في

الفصل الأول بقول ابن جني: "وذلك أنهم لما جعلوا الألفاظ دليلة المعاني، فأقوى اللفظ ينبغي أن يقابل به قوة الفعل، والعين أقوى من الفاء واللام، وذلك لأنهما واسطة لهما ومكنوفة بهما، فصارا كأنهما سياج لها، ومبذولان للعوارض دونها" (ابن جني، ط: 4، ص: 155) ، للإشارة إلى مدى ترابط قوة الصوامت بأخف الصوائت.

الخاتمة

تعرّضنا في هذا البحث لمجموعة من المحاور التي هدفت للبحث عن: تنميط للصيغ الصرفية بحسب مسارها الاشتقاقي، من الجذر الثلاثي إلى صيغة الفعل الثلاثي الماضي المجرد السالم، بدءا من الدراسة التقليدية في معالجتها لقضية عين الفعل الثلاثي المجرد، وانتهاء بالنظريات المقترحة قصد إيجاد تفسيرات لسانية للظاهرة التي عالجنا بعضا من قضاياها، إذ إن ظاهرة حركة عين الفعل الثلاثي تحمل في ثناياها مجموعة من القضايا المتفرعة عنها، كالصوائت وأهميتها، ودور عين الجذر في بناء صيغ الفعل.

وقد توصلنا لنتائج مهمة في آخر البحث، وهي نتائج ساعدت على تحقيقها مجموعة من الإشكالات المطروحة، إلا أنها نتائج أولية، لم نغُص في صُلب النظريات اللسانية التي اشتغلنا بها، وإنما أردنا بها معرفة مدى صلاحيتها في تفسير ظاهرتنا، لكن أغلبها لم يرَق لمستوى التفسير، أو أنها غير صالحة لمعالجة هذه الظاهرة بينما لها القدرة على تفسير ظواهر أخرى، رغم ذلك ساعدتنا على ملاحظة المعطيات أكثر فيما يخص الصيغ، واستخلصنا في آخر البحث نظرية الصواتة المعيار للتركيز أكثر على صوامت الجذور، وتتبعها تتبعا صوتيا وصواتيا، وقد أفضى بنا إلى معرفة نتائج هامة، أهمها: أن لصوامت الجذور دورا هاما وفعَّالا في تحديد توجه حركة عين الفعل الثلاثي المجرد السالم.

أخيرا نقول: إن ما جاء به البحث، من نظريات ومعطيات لم تكن بالمعمَّقة، ولم ندخل في تفاصيل النظريات التي أوردناها بالمتن، وإنما اكتفينا بومضات منها، ساعدتنا في الوصول إلى نتائج مُحققة نوعا ما. ونشير إلى أننا لم نتناول في المتن بعض النظريات الصواتية، التي قد تكون مفيدة جدا في بحثنا الذي سنستمر فيه إن شاء الله، كنظرية هندسة السمات، والنظرية الأمثلية، وغيرها من

النظريات..، إلا أن ما توصلنا إليه في هذا البحث يمثل شرارة لبداية شعلة التحليل والتفسير لهاته الظاهرة، ولا زلنا حاملين لها حتى نحقق الغاية التي سطَّرناه في عنوان بحثنا، وهو: بناء معجم تنميط الأفعال الثلاثية بحسب مساراتها الاشتقاقية.

المصادر والمراجع

المقالات:

ذ. التاقي، محمد (1992) التكرار الصامتي والتعاقب الصائتي في اللغة العربية، قضايا في اللسانيات العربية، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ابن مسيك سيدي عثمان، دار قرطبة للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ماي ، الدار البيضاء.

الكتب:

جمال الدين محمد بن مكرم، أبو الفضل ، ابن منظور الافريقي المصري، () لسان العرب، دار صادر بيروت، الطبعة الأولى.

ابن جني، أبو الفتح عثمان (ت392هـ)، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، المكتبة العلمية.

عمر، أحمد مختار (1430هـ- 2009م) ، علم الدلالة، عالم الكتب، الطبعة السابعة.

السغروشني، إدريس (1987) مدخل للصواتة التوليدية، سلسلة المعرفة اللسانية أبحاث ونماذج، دار توبقال للنشر، الطبعة الأولى.

مونان، جورج (1972)، تاريخ علم اللغة منذ نشأتها حتى القرن العشرين، ترجمة بدر الدين القاسم.

التاقي، محمد (2021)، مقاربة صرافية مبتكرة لتشكيل الجذور الثلاثية "المعتلة" في اللسان العربي، الطبعة: 1.

المداخلات:

محاضرات ذ. محمد التاقي، وحدة الصواتة، الموسم الدراسي: 2017-2018.

الأطروحات والرسائل الجامعية :

McCarthy, JOHN (1979): Formal Problems in Semitic Phonology and Morphology, ph. D. MIT. University of Massachusetts

تأثير التغير المناخي على وضعية الموارد المائية الجوفية بالبحيرة الغربية واستراتيجيات تدبير الخصاص المائي.

"The Impact of Climate Change on the Status of Groundwater Resources in the Western Lake Region and Strategies for Managing Water Scarcity."

الباحث عبد الواحد معارف
Maarifi123@gmail.com
موسى المالكي
elmalki@um5r.ac.ma
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
جامعة محمد الخامس بالرباط، المغرب
محمد كلاد
الكلية متعددة التخصصات آسفي)
جامعة القاضي عياض مراكش

الملخص

يهدف هذا المقال إلى دراسة العناصر المناخية بالبحيرة الغربية كمجال شبه جاف، وتحديد خصائص التغير الحاصل عليها كإجابة عن سؤال "هل هناك تغير مناخي؟"، ثم ربط النتائج المتوصل إليها بالخصاص المائي بالمجال. وتم ذلك من خلال الدراسة التركيبية للسلسلة المناخية المتوفرة بمحطة الشماعية، والكرونولوجية المناخية التي تم استخلاصها مما دون حول المنطقة، لنتوصل إلى العلاقة السببية بين ذلك وتراكم العجز المائي الشهري الذي يتسبب بدوره في عجز سنوي يخلق خللا في الميزانية المائية بهذه الفرشة التي تفاقم عجزها خلال السنوات الأخيرة. وقد اعتمدنا المنهج الوصفي التحليلي، واستخدمنا العمل الخرائطي كأدوات عمل جغرافية لتحقيق أهداف هذه الدراسة التي نسعى من خلالها إلى تشخيص الوضع الطبيعي لمجال فرشة البحيرة الغربية، وإبراز مظاهر الخصاص المائي به واقتراح استراتيجيات لتدبير الخصاص المائي بهذه المنطقة مع مراعاة الموازنة بين تنويع العرض المائي وتقليص الطلب عليه.

الكلمات المفتاحية

التغير المناخي- البحيرة - الفرشة المائية- المستوى البيزومتري- الإجهاد المائي- استراتيجيات التدبير- التكيف.

Abstract:

This article aims to study the climatic elements of the Western Bahira as a semi-arid area and to identify the characteristics of the changes occurring in these elements to address the question of whether climate change is occurring in this area. The findings, based on climatic series data from the Chemaia Weather Station and climatic chronologies derived from local records, demonstrate a correlation with the region's water deficit. This relationship highlights how the accumulation of monthly water deficits contributes to an annual imbalance, exacerbating the water budget deficit in this aquifer, which has deteriorated significantly in recent years. We employed a descriptive-analytical method, incorporating cartographic work, standard analytical techniques, and data collection as geographical tools to achieve the study's objectives. The study aims to assess the natural state of the Western Bahira aquifer, underscore the manifestations of water scarcity, and propose integrated strategies for managing water shortages, emphasizing a balance between diversifying water supply and reducing water demand.

Keywords: Climate change – Bahira - Aquifer - Piezometric level - Water stress - Management strategies - Adaptation

تقديم

يعود التراجع المستمر لاحتياطي الفرشة المائية البحيرة الغربية (حوض تانسيفت)، إلى تراجع التغذية من الواردات المائية التي تأثرت بالتغايرية المناخية: فتزايد حدة الجفاف جعل منه ظاهرة هيكلية تفاقمت من سنة جافة كل خمس سنوات في النصف الأخير من القرن الماضي إلى سنة كل أربع سنوات في العشريات الأخيرة بل إننا نعيش على وقع 6 سنوات جفاف على التوالي، وهذا أثر على الحصيلة المائية التي تعد التساقطات المطرية شريان وارداتها، كما أن نزعة الحرارة التي توجهت نحو الارتفاع زادت من الطلب على الماء بمختلف القطاعات والأنشطة البشرية. وبالتالي حدوث عجز مائي بفعل الاختلال بين العرض المائي المحدود والطلب المتزايد على الماء.

إن هذا الوضع انعكس على الأنشطة البشرية بالمنطقة ودفع بهذه الأخيرة إلى بلوغ مرحلة الإجهاد المائي الذي تراجع معه المستوى البيزومتري للفرشة عشرات الأمتار (باعتماد دراسات وكالة الحوض المائي)، الشيء الذي دق ناقوس الخطر ودفع إلى التدخل الآني قبل الوصول لمرحلة اللاعودة، مع استحضار الموازنة بين التعبئة وتقليص حجم الاستغلال عوض الاكتفاء بالتدابير التي تراعي الجانب الكمي المتعلق بالتعبئة المائية فقط، مقابل إغفال أهمية الاستغلال المعقلن للعرض المائي.

من هذا المنطلق سنتساءل كيف أثر التغير/ التغايرية المناخي(ة) على وضعية الموارد المائية بالبحيرة الغربية؟ ومظاهر وحجم التراجع المائي بهذا المجال؟ وكيف يمكن تحقيق استدامة مائية بالبحيرة الغربية دون المساس بالموارد الطبيعية الأخرى، ودون خلق انعكاسات سوسيو- اقتصادية سلبية بالمجال؟

تهدف هذه الدراسة لتحقيق الأهداف التالية:

- ← عرض نتائج الدراسة المناخية لمجال البحث وربط ذلك بوضعية الفرشة المائية؛
- ← إبراز تراجع الموارد المائية لفرشة البحيرة الغربية وتكميم حجمه السنوي؛
- ← رصد انعكاسات تراجع الموارد المائية بمجال البحث؛
- ← عرض التدابير البديلة ومناقشة نتائجها.

ولمعالجة هذا الموضوع اعتمدنا المنهج الجغرافي القائم على الوصف والتفسير تم التعميم، وذلك لكونه يسعف في معالجة هكذا ظواهر. كما اعتمدنا العمل المكتبي كوسيلة لجمع لمعلومات وتحليلها وللتأكد من صحة فرضيات دراستنا بالإضافة إلى العمل الخرائطي والعمل البياني القائم على وصف وتحليل الظواهر.

1 مجال الدراسة وخصائصه الطبيعية والبشرية

1.1 توطين مجال الدراسة

تنتمي البحيرة الغربية إلى حوض تانسيفت الذي يقع **بشمال** الوسط الغربي للتراب الوطني، والتابع إداريا لثلاثة أقاليم: إقليم الرحامنة إقليم مراكش وإقليم اليوسفية الذي يشغل أكبر نسبة من حيث المساحة. وتمتد فرشة البحيرة الغربية على مساحة تقدر بأكثر من 5000 كم^2 بين خطي عرض 31 ° 55 'و 32 ° 20' شمالا وخطي طول 7 ° 15 'و 8 ° 50' غربا.

وهي مجال طبيعي تحده القاعدة الأولية للجبيلات جنوبا، وشمالا كتلة الرحامنة، والطريق الوطنية رقم 9 الرابطة بين مراكش والجديدة شرقا، وتنتهي غربا عند مدينة الشماعية

الشكل 1: خريطة توطين مجال الدراسة

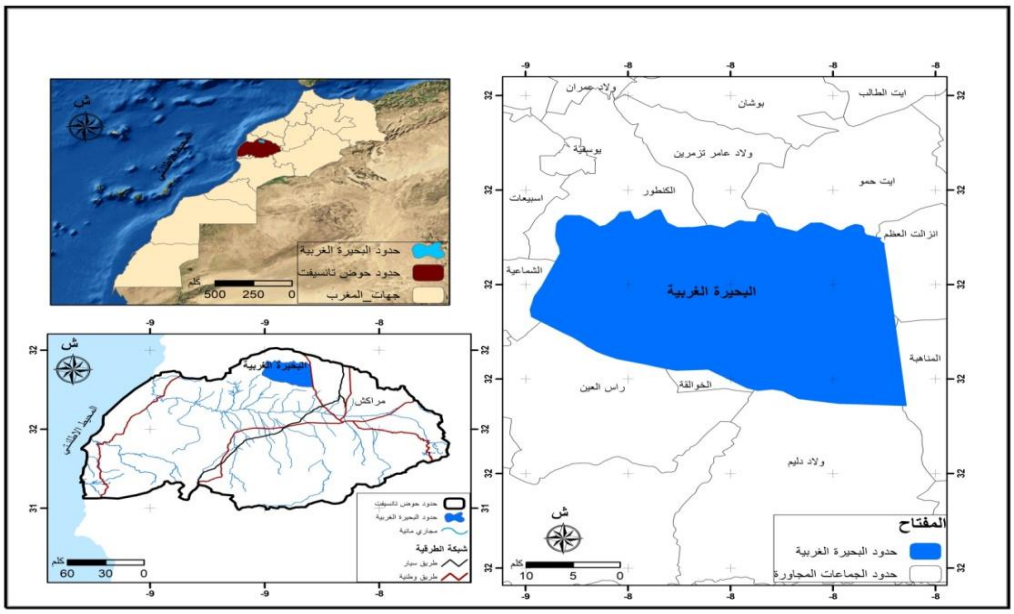

أنجزت الخريطة باعتماد توطين وكالة الحوض المائي.

2.1 مميزات طبغرافية بجريان موسمي.

طبوغرافيا ينتمي مجال الدراسة لوحدة سهول وهضاب الميسيطا الأطلنتية الغربية، ويشمل ثلاث وحدات أساسية بمميزات طبغرافية متنوعة: فالجبال تمتد جنوبا ممثلة بسلسة الجبيلات قديمة النشأة، والتي تمتاز بارتفاعاتها المتوسطة. وهضبة الكنتور شمالا التي تشرف على الوحدة السهلية (سهل البحيرة) التي تمتد بالوسط على شكل مستطيل يتسع في الشرق ويضيق في الغرب.

بالنسبة لنظام الجريان فعامل الارتفاعات المتوسطة وضعف الانحدار جعلا التصريف والجريان داخليا وموسميا، بل إن بعض المسيلات المائية تتوقف وسط الوحدة السهلية بسبب ضعف الانحدار (الشكل 2) مما يشكل ضايات خلال المواسم المطيرة. كما تلعب في ذلك التساقطات الفصلية التي قلما تتجاوز 200 مم سنويا (محطة الشماعية) دورا مهما، وهذا يعود بدوره للموقع بين خطوط العرض الذي يمنح المنطقة مناخا شبه جاف.

الشكل 2: خريطة الانحدارات بمجال الدراسة

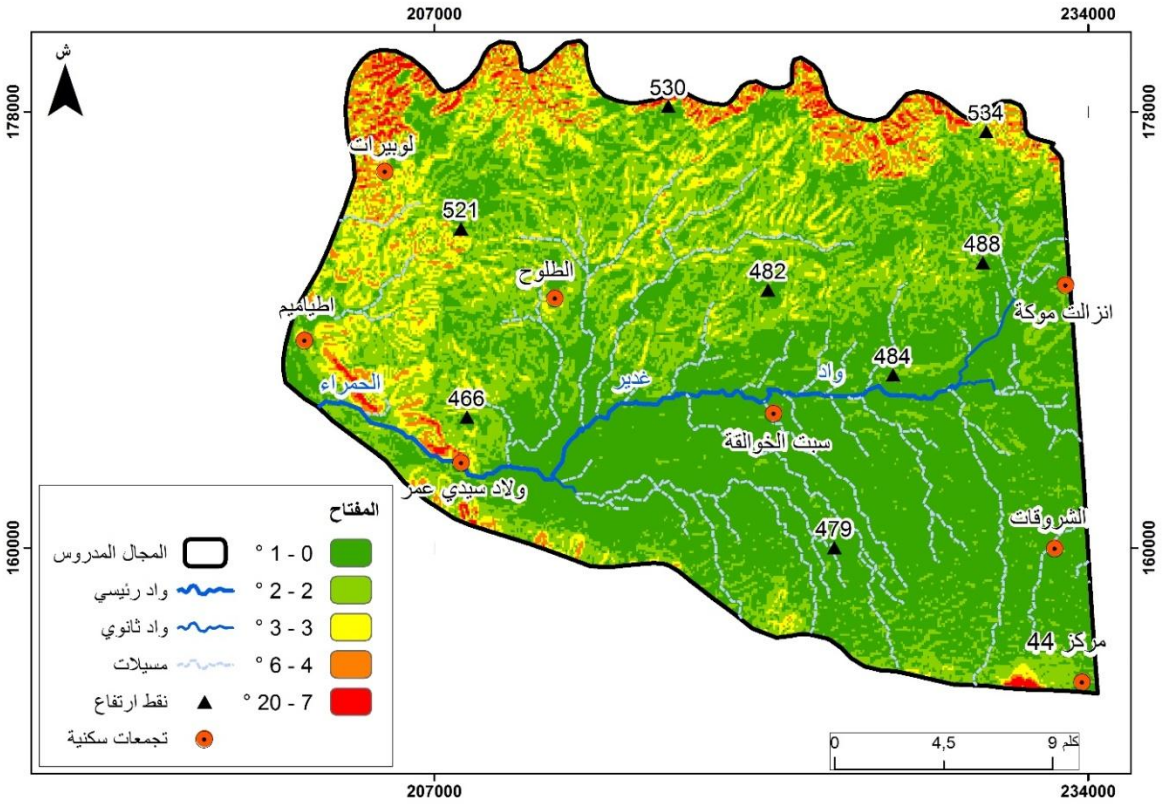

الخريطة من إعداد عبد الواحد معارف

2. دور الجيولوجيا في تشكيل فرشة البحيرة الغربية.

تشكلت فرشة البحيرة الغربية نتيجة تداخل عدة عوامل صخارية وبنائية استمرت لمدة زمنية طويلة، فإذا استثنينا صخور ما قبل الكمبري التي اختلف حولها الدارسين فباقي الصخور والتوضعات تغطي جميع الأزمنة الجيولوجية (huvelin,1977, p22)، كما أن البنائية استمرت من الزمن الجيولوجي الأول إلى الرباعي والدينامية الحالية. ففي الزمن الأول توالت الإرسابات وتكون الشيست الكمبري، ثم ترسب الحث والطين، والحث والكلس. كما عرف المجال حركات انتهاضية ارتفعت معها الجبيلات والكنتور والرحامنة ليتراجع الغمر البحري وتبدأ التعرية القارية نشاطها. وساهمت صخور هذا الزمن في تشكيل القاعدة الصلبة غير النافذة للحوض الهيدروجيولوجي. وفي الزمن الثاني توالى غمر وانحصار البحر خلال الجوراسي والكريطاسي كنتيجة للحركات التهدلية التي شهدتها المنطقة. وفي الزمن الثالث وبعد تراجع البحر الأيوسيني ساهمت البنائية في رفع الكتل القديمة بالرحامنة والكنتور والبحيرة والجبيلات. وخلال المرحلة البلايستوسينية وقعت انكسارات وطيات وانثناءات نتيجة عنف الحركات وطبيعة التوضعات الصخرية. فيما شكل الرباعي فترة تراكب الجبيلات فوق البحيرة بفعل التهدل الكبير الذي شهدته وحدة سد المجنون، وبالخوالقة التي تعد قلب ميدان البحث كان التهدل ضعيفا وتشكلت المجاري المائية (إقضان، 2014، ص 419- 420).

ومنه فتشكل الحوض الهيدروجيولوجي للبحيرة، جاء كنتيجة لتوالي الطبقات الهشة النافذة والصلبة غير النافذة التي تعمل على حجز المياه الباطنية، فيما توضعات الطبقات العليا تتسم بنفاذيتها مما سمح بتسرب المياه نحو الفرشة أو عبر مصادر التغذية الجانبية. كما أن البنائية وما رافقها من تهدل وانتهاض ساهم في تشكل حوض حبيس.

3. مظاهر التغير المناخي بمجال الدراسة:

ساهمت الجيولوجيا والطبوغرافيا والدينامية المناخية السابقة في تشكيل الفرشة المائية بالبحيرة الغربية، فيما اتسمت الدينامية الحالية بنوع من التغايرية المناخية، لكن لا يمكن أن نجزم هل هذا فعلا تغير مناخي ناتج عن الأنشطة البشرية أم أنها مجرد ظاهرة طبيعة تطال العناصر المناخية كما وقع ذلك في عدة فترات زمنية سابقة حسب البحوث والدراسات السابقة. ومن هذا المنطلق

سنطرح فرضيتان: الأولى تتمحور حول كون المجال وبفعل موقعه بالنصف الجنوبي للكرة الأرضية يمر من فترة بيمطيرة في إطار الدورات الكبرى للمناخ التي تتراوح بين فترات جليدية وفترات بيجليدية في النصف الشمالي للكرة الأرضية، ومطيرة وبيمطيرة في النصف الجنوبي للكرة الأرضية. أما الفرضية الثانية: فإنها تتمحور حول كون العناصر المناخية وما طالها من تغير ناتج عن الضغط المتزايد للأنشطة البشرية وتحولات غير طبيعية في تركيبة الجو والغازات المكونة لها.

وللإجابة عن هذه الإشكالية كان لابد من دراسة العناصر المناخية بمجال البحث وتحليل النتائج المتوصل إليها.

1.3 هل هي تغايرية أم تغير مناخي بالبحيرة الغربية؟

إن غياب سلسلة مناخية لفترة طويلة جدا تمكن من دراسة العناصر المناخية (خاصة الحرارة والتساقطات) **يصعب إصدار** حكم جازم عن هذه الإشكالية (هل هو تغير مناخي أم مجرد تغايرية؟). وبالتالي كان لزاما علينا البحث والتنقيب عما دون عن تاريخ المنطقة والمناخ المغربي عامة لفهم التحولات الطارئة على العناصر المناخية واتجاهات نزعتها. وفي هذا الصدد توصلنا إلى النتائج التالية:

- **استغلال الإنسان لمجال الدراسة قديم بقدم التاريخ**، وهذا أكدته الحفريات جنوب إقليم اليوسفية بجماعة إيغود حيث وجدت جمجمة أقدم إنسان عاقل في التاريخ، واللقى الأثرية المكتشفة شرق جماعة "اجنان أبيه" التي تؤكد التواجد القديم للأمازيغ بالمنطقة. وبالتأكيد فهذا التعاقب الحضاري والاستغلال المتتالي للمجال لا يمكن أن يستقيم إلا بتوفر ظروف عيش مناسبة من موارد مائية ووحيش ونبات يضمن الاستقرار البشري وهذا مرتبط بظروف مناخية خاصة (حمزة، 2012، ص 23).
- **المجال شكل موضعا للسكن وبالتالي فإنه كان يشهد وفرة للموارد المائية** في ظل مناخ رطب، ودليل ذلك أن الجنس البشري الحمري الذي يشكل غالبية سكان المنطقة ذا الأصول اليمنية (بنو معقل) دخل المغرب واستوطن المجال خلال النصف الأول من القرن السادس عشر الميلادي (الوزان، 1980، ص 41) .

- **لم تشهد البحيرة الغربية ومحيطها خلال العصر الوسيط وفرة في الموارد المائية** بما يكفي لممارسة نشاط فلاحي قائم على الزراعة مما جعلها تكتفي بتربية الماشية ودليل ذلك ما جاء في (بوشرب، 1948، ص 301) الذي أكد أن المنطقة كانت عبارة عن مجال رعوي واسع.
- وحسب (منصوري 1989، ص 168) فالمغرب خلال القرن السادس عشر ميلادي شهد تواليا لمجموعة من المجاعات (22 مجاعة) وأكثر من 14 فترة جافة، وخلال نفس الفترة المشمولة بالدراسة ستعرف البلاد مجموعة من الفياضانات (أكثر من 4).
- حسب (البزاز، 1970، ص ص 35- 119) فالمغرب شهد مجموعة من المجاعات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين والتي حصرها في (مجاعات: 1721- 1724. 1737- 1738. 1776. 1779- 1782. 1818- 1820. 1825- 1826. 1847- 1851. 1878. 1890- 1894).

على الرغم من كون البحوث والدراسات السابقة تشكل لمحة عن تاريخ المناخ بالمنطقة إلا أننا غير قادرين على الحسم في مسألة هل هناك تغير مناخي فعلا؟. وذلك لكون ما سبق جعلنا نخرج باستنتاجين متباينين:

الأول: مرتبط بوجود تغير مناخي فعلا ويمكن تفسير ذلك من خلال مقارنة الخصائص المناخية باعتماد الدراسات والبحوث قبل وبعد القرن السادس عشر ليتبين أن الفترة الأولى عرف فيها المجال وفرة للماء واعتبر موضع سكن، فيما شهد تراجعا خلال الفترة الثانية وازدادت حدة الجفاف وتوالي سنواته.

الثاني: مرتبط بكون ما ورد في هذه البحوث والدراسات يستنتج من خلاله أن الجفاف ظاهرة هيكلية بالمغرب، فهناك تعاقب للسنوات الجافة المتسببة في المجاعات، والمطيرة التي تتسبب في الفيضانات في بعض الأحيان، مما يؤكد أن المجال كما هو الشأن بالنسبة لكل التراب المغربي شهد تباينا في الطقوس والمناخات. وكدليل على ذلك نستحضر ما جاء مع البزاز (1970) نقلا عن رواية رئيس البعثة العسكرية الفرنسية للمغرب (في 17 فبراير 1890) والتي يقول فيها "إن كل المناطق الممتدة من مراكش إلى طنجة مهددة بالمجاعة" كما أنه خلال نفس السنة توالت الأمطار لمدة 20

يوما خلال شهر مارس مسببة عدة فيضانات وخسائر بشرية واقتصادية. وهذا يؤكد أن تركز التساقطات في شهور غير شهور فصل الشتاء ليس جديدا عن المناخ الحالي (البزاز، 1970، ص 318).

هذا سيحيلنا على دراسة السلسلة المناخية المتوفرة لبناء استنتاجات علمية يمكن أن توكد نزعة العناصر المناخية.

2.3 تراجع التساقطات ونزعة الحرارة نحو الارتفاع كمظهر للتغير/ايرية المناخي(ة).

الشكل 3: المعدلات الشهرية للتساقطات للفترتين الزمنيتين (1949- 1981) و (1991- 2023)

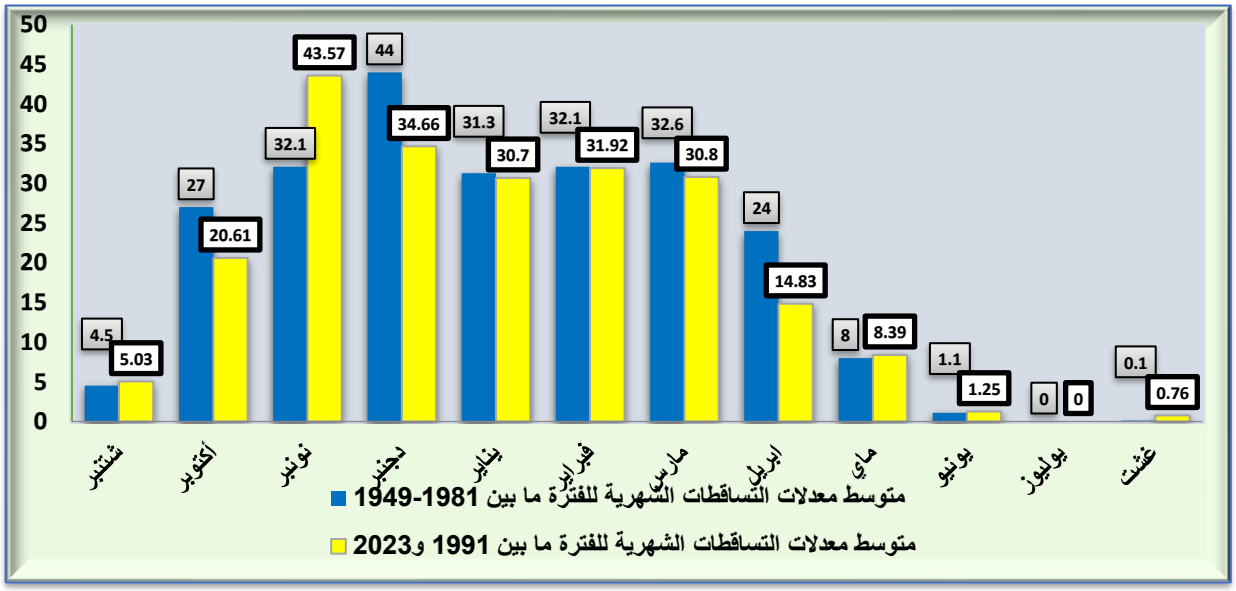

عبد الواحد معارف تحت إشراف ذ، المالكي وذ. كلاد باعتماد معطيات محطة الشماعية.

يمكن الشكل 3 من المقارنة بين متوسط المعدلات السنوية للتساقطات بمحطة الشماعية لفترتين مختلفتين، بحيث قمنا بتطبيق العملية التالية: (مجموع معدلات التساقطات للفترة الزمنية/ عدد السنوات= متوسط معدلات التساقطات) للحصول على (الشكل 3) الذي سيمكننا من إبراز التغير الذي طال توزيع التساقطات حسب شهور الموسم الفلاحي من جهة، ومقارنة متوسط المعدلات المطرية الشهرية للفترة الأولى الممتدة من 1949 إلى 1981 والفترة الثانية الممتدة من 1991 إلى 2023 من جهة ثانية.

وتبين من خلال نتيجة هذا العمل التركيبي أن متوسط معدلات التساقطات عرفت تراجعا بشهور أكتوبر ودجنبر ويناير وفبراير ومارس وأبريل بفارق تراوح بين 1- و10- مم. كما شهد هذا المتوسط ارتفاعا ببعض الشهور كنونبر وغشت، وهذا يعني أن التساقطات لم تعد تحترم ذلك المنحنى الذي تبدأ فيه في فصل الخريف وترتفع خلال فصل الشتاء تم تبدأ في التراجع خلال فصل الربيع لتنعدم خلال فصل الصيف، وإنما حدثت تغايرية جعلتها تشهدا تركزا في شهور غير الشهور المطيرة في بعض المواسم الفلاحية وهذا هو الذي جعل هذه المتوسطات ترتفع بالشهور سالفة الذكر.

ولتوضيح ذلك أكثر سندرس التساقطات الشهرية للموسمين الفلاحين الأخيرين ثم نقارنهما بنتائج العمل التركيبي المحصل عليه.

الشكل 4: التساقطات المطرية الشهرية بمحطة الشماعية لموسم 2023-2022

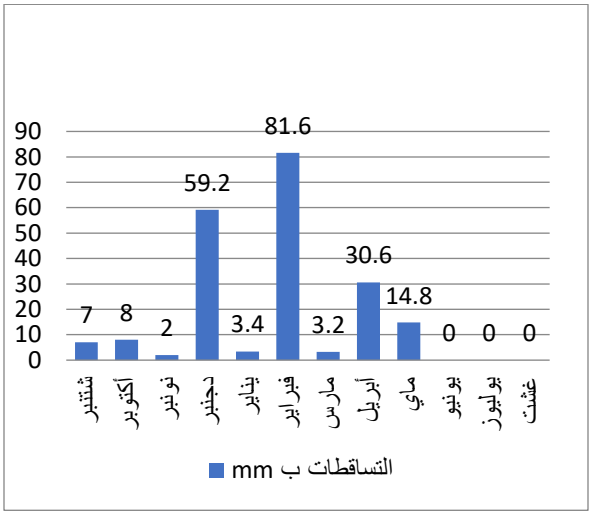

الشكل 5: التساقطات المطرية الشهرية بمحطة الشماعية لموسم 2022-2021

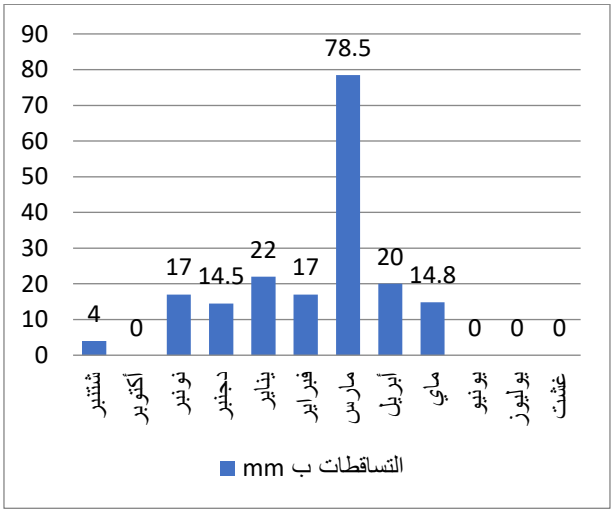

عبد الواحد معارف تحت إشراف ذ، المالكي وذ. كلاد باعتماد معطيات محطة الشماعية

يظهر (الشكل 4) و (الشكل 5) أن التساقطات المطرية الشهرية لم تعد تخضع لذلك الانتظام السنوي الذي تبدأ فيه التساقطات خلال فصل الخريف تم تبلغ أقصاها خلال فصل الشتاء لتتراجع بداية من فصل الربيع، وبمقابل ذلك باتت تتركز في شهر أو شهرين كما هو الشأن بالنسبة للموسم الفلاحي 2021- 2022 الذي بلغ فيه معدل التساقطات 78.5 مم من أصل 174.5 مم كمعدل سنوي أي بأكثر من ثلث كميات التساقطات المسجلة خلال طول الموسم الفلاحي. نفس الأمر ينطبق على الموسم الفلاحي 2022- 2023 الذي تركزت فيه التساقطات بشهري دجنبر وفبراير ب59.2 مم و81.6 مم على التوالي من مجموع التساقطات السنوية بلغ 208 مم. والأمر نفسه ينطبق على مواسم 2017- 2018 و 2019- 2020.

هذا الوضع له انعكاسان سلبيان: الأول مرتبط بالتصريف الذي أصبح لحظيا بالمواسم الفلاحية التي تشهد تركزا للتساقطات خلال شهر أو شهرين وهذا سيساهم في عدم استفادة الفرشة من هذه المياه في إطار التغذية. والثاني مرتبط بما يسببه تركز هذه التساقطات من فيضانات فجائية.

أما بخصوص التساقطات المطرية السنوية فيتبين أنها هي الأخرى قد شهدت تغايرية تتمثل في ازدياد معدل احتمالية تعاقب فترات جافة من مرة كل 5 سنوات إلى مرة كل أربع سنوات (الشكل 6)

الشكل 6: التساقطات المطرية السنوية بمحطة الشماعية في الفترة الممتدة من 1954 إلى 2023 بالمم

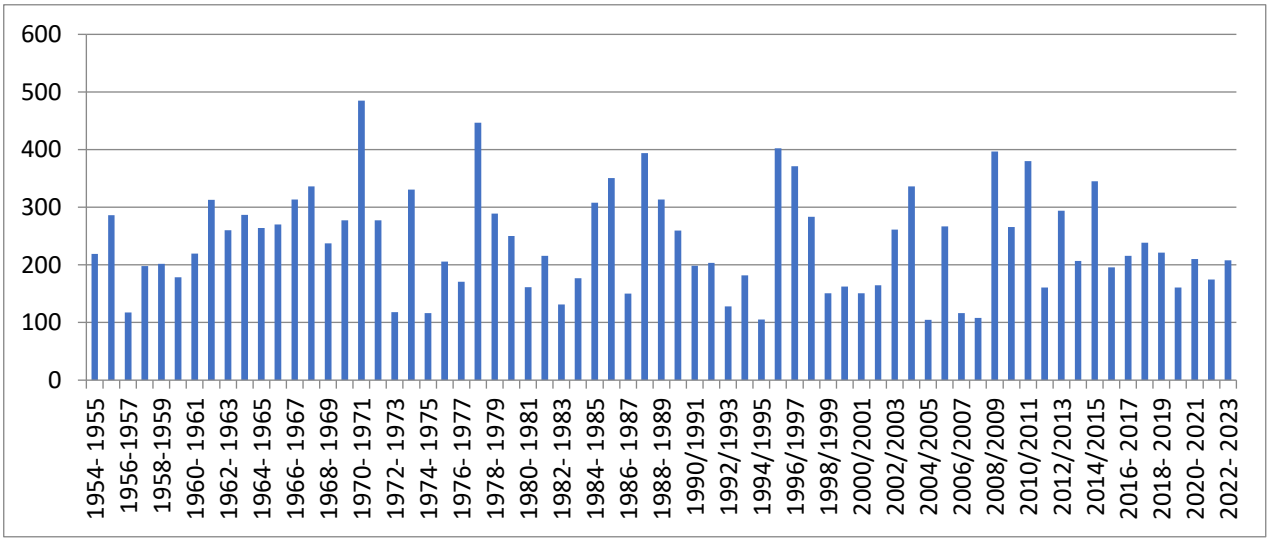

عبد الواحد معارف تحت إشراف ذ، المالكي وذ. كلاد باعتماد معطيات محطة الشماعية

يوضح (الشكل 6) أن التساقطات المطرية بمجال الدراسة تتميز بعدم الانتظام بحيث تختلف كمياتها من موسم فلاحي إلى آخر. ومن خلال هذه السلسلة فالتساقطات بلغت أدناها 104.5 مم خلال الموسم الفلاحي 2004- 2005 ووصلت أقصاها 485.2 مم خلال موسم 1970- 1971. وباعتماد هذه الأرقام التي تمكن من تحديد السنوات الجافة والأخرى المطيرة يتبين أن تردد السنوات الجافة داخل هذه السلسلة انتقل من سنة واحدة كل خمس سنوات بداية السلسلة إلى سنة واحدة كل أربع سنوات في نهايتها.

3.3 الحرارة بنزعتها نحو الارتفاع كمظهر من مظاهر التغايرية المناخية.

رغم التواصل المستمر مع مصلحة التسويق والمناخ بالمدرسة الجهوية الوسط الغربي ببنكرير (نتوفر على الرسائل الجوابية) قمنا باعتماد معطيات موقع (meteoblue)، التي توضح بخصوص المعطيات الخاصة بمتوسطات الحرارة السنوية بالشماعية أن درجات الحرارة اتخذت نزعتها نحو الارتفاع. إذ انتقل المتوسط من (بين 18° و 19°) في أقصاه خلال ثمانينيات وتسعينيات القرن العشرين ليستقر في 19° بداية الألفية الثالثة، لكن في المرحلة الأخيرة أصبحت المتوسطات الحرارية السنوية أكثرا ترددا عند 20° فأكثر (الشكل 7).

4.3 علاقة الحرارة والتساقطات بوضعية الموارد المائية بمجال الدراسة.

كلما ارتفعت الحرارة وانخفضت التساقطات كلما زادت مدة الفترة الجافة وهذا يؤثر على وضعية الموارد المائية بحيث تقل نسبة تجدد الموارد المائية بفعل نقص تغذية مياه الفرشة، ومن جهة ثانية يرتفع الطلب على الماء مما يجعل فلاحي المنطقة يتوجهون لضخ المياه.

الشكل 7: **متوسطات درجة الحرارة السنوية بالشماعية الشكل 8: مبيان مناخي لمحطة الشماعية لموسم 2022/ 2021**

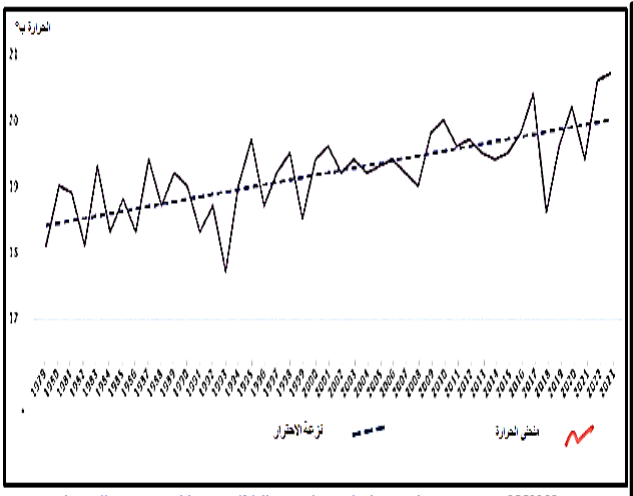

بتصرف https://www.meteoblue.com/fr/climate-change/echemmaia-est_maroc_2553382

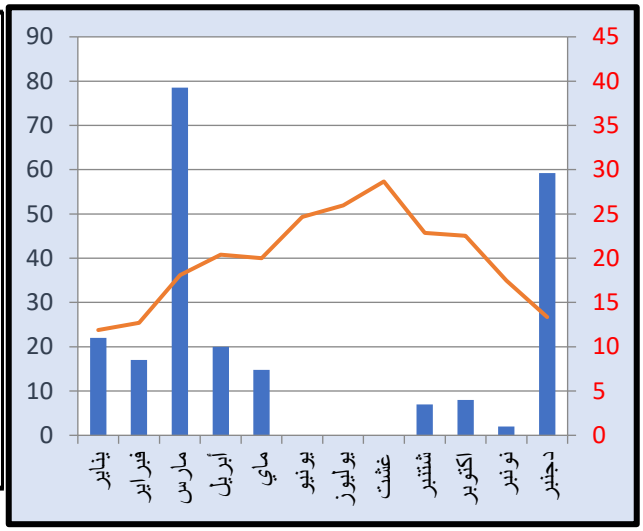

بفعل التغير الذي طال العناصر المناخية ارتفع عدد أشهر الفترة الجافة كنتيجة لتراجع معدلات التساقطات مقابل ارتفاع درجات الحرارة، فالشكل 8 يوضح أن عدد أشهر الفترة الجافة خلال الموسم الفلاحي 2021- 2022 ارتفع عن المعتاد ليصل إلى ثمانية أشهر جافة استمرت من أبريل إلى نونبر. هذا مقابل تركز التساقطات بشهر مارس بمعدل قارب 80 مم.

وفي علاقة لما سبق بوضعية الموارد المائية فطول الفترة الجافة يدفع بساكنة المنطقة إلى ضخ كميات مائية مهمة لتعويض الخصاص المائي لأنشطتها، خاصة بالقطاع الفلاحي، الذي يعد الماء عماده.

4. مظاهر تراجع الموارد المائية بمجال الدراسة

يرتبط الخصاص المائي بمجال الدراسة بمحددات طبيعية التي يعتبر المناخ أساسها، لكن هذا لا يستثني الدور الأساسي للمحددات البشرية المرتبطة بطرق استغلال الإنسان للمجال والتحولات التي طالت أنشطته المعتمدة على الماء، خاصة بالقطاع الفلاحي على اعتباره المستهلك الأول للماء بأكثر من 80% والقطاع المنجمي بحكم قدم الاستغلال بالمنطقة، وما كان يتطلبه لاستخراج الفوسفاط من كميات مائية لتجفيف المناجم بالكنتور قبل الانتقال إلى طرق الاستغلال الجديدة في إطار ما يسمى بمنجم السماء المكشوفة. في هذا الإطار سنتحدث عن مجال الدراسة كمنطقة شبه

جافة تعاني من ضعف التساقطات ونذرتها في بعض المواسم، بأودية موسمية الجريان لاتسمح بإقامة إعدادات هيدروفلاحية أو سدود لتزويد الساكنة والقطاع الصناعي بالحاجيات المائية، لتبقى الفرشة المائية البحيرة الغربية هي المصدر الأول لكل الحاجيات المائية التي تخص الأنشطة البشرية المختلفة.

وكنتيجة للضغط المتزايد على الماء سيشهد المستوى البيزومتري لفرشة البحيرة تراجعا اختلف حجمه حسب رطوبة السنوات.

الشكل9: تراجع المستوى البيزومتري بالبئر 44/4280 بالخوالقة

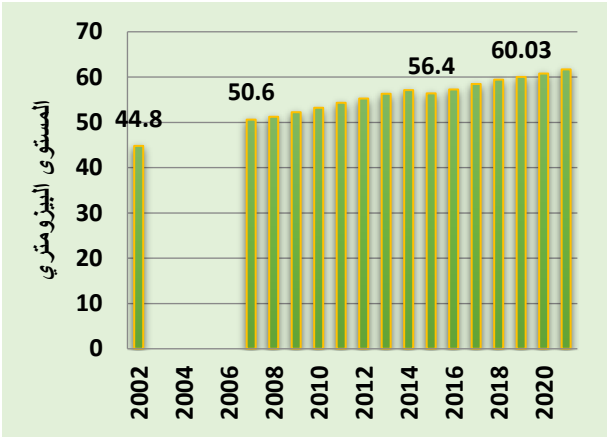

الشكل 10: تراجع المستوى البيزومتري بالبئر 44/4202 بالخوالقة

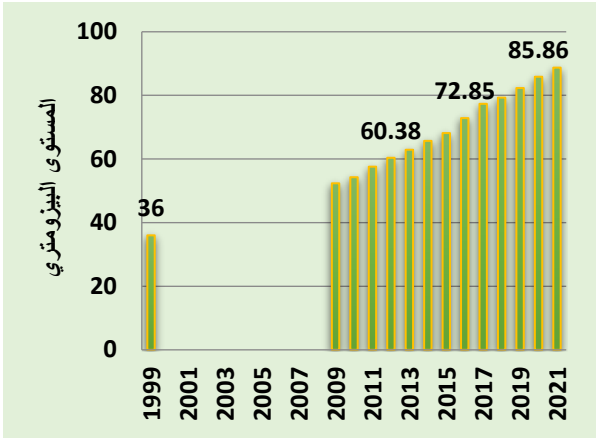

عبد الواحد معارف تحت إشراف ذ، المالكي وذ. كلاد باعتماد معطيات وكالة الحوض المائي تانسيفت 2024.

يتضح من خلال الشكل 9 والشكل 10 أن المستوى البيزومتري للفرشة المائية البحيرة الغربية في تراجع، فبالنسبة للبئر 44/ 4280 الواقعة بجماعة الخوالقة (X: 229372 Y: 166900) التي تمثل قلب فرشة البحيرة تراجع فيها المستوى البيزومتري من 44.8 متر سنة 2002 ليصل إلى 61.69م سنة 2021، أي بفارق 16.89 مترا خلال 19 سنة. بينما بالبئر 44/4202 الواقعة بالخوالقة (X: 221844 Y: 166774) تراجع من 36 م خلال سنة 1999 ليصل إلى 85,86م سنة 2021 بفارق 49.86 م خلال 22 سنة. كما يتبين أن حجم التراجع السنوي 2.26 م بالنسبة للبئر 44/4202، بينما بلغ 0.88 م بالبئر 44/ 4280 مما يعني أن حجم التراجع يتغير حسب الزمان (عدد السنوات الجافة والمطيرة) وحسب المكان (بفعل الخصائص الهيدروجيولوجية وحجم الاستغلال).

الشكل 11: التراجع الشهري للمستوى البيزومتري بالبئر 44/4203 الواقع بمنخفض الخوالقة خلال سنة 2017.

صورة 1: تقنيات السقي التقليدية ببعض الضيعات بمجال البحث

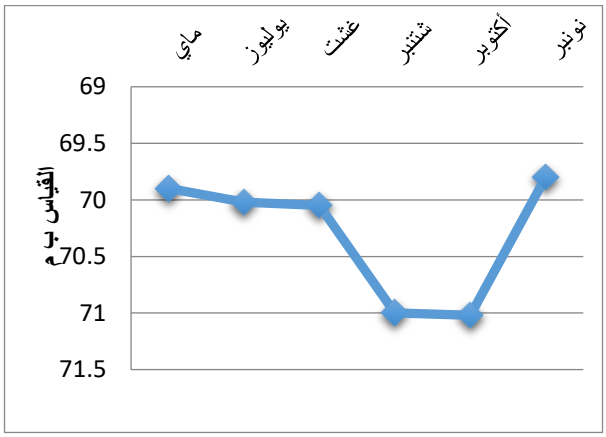

عبد الواحد معارف تحت إشراف ذ، المالكي وذ. كلاد باعتماد معطيات وكالة الحوض المائي عدسة عبد الواحد معارف

انطلاقا من (الشكل 11) يتبين أن التراجع السنوي للمستوى البيزومتري بالفرشة ناتج بدوره عن تراكم العجز الشهري، إذ يتبين أنه يشهد استقرارا من نونبر إلى يوليوز بينما يبلغ تراجعه أقصاه من غشت إلى أكتوبر وهذا يعني أن الشهور المطيرة يقل فيها ضغط الأنشطة البشرية بينما يرتفع خلال فصل الصيف. وبالتالي يستنتج أن الفترات التي تكون فيها التغذية جيدة خلال المواسم الفلاحية المطيرة تتعافى الفرشة ويستقر التراجع، بينما مع توالي سنوات الجفاف يتراكم العجز الناتج عن ضخ المياه لسد الخصاص المائي، وبالتالي تراجع المستوى البيزومتري للفرشة. لكن هذا العجز لا يرتبط بعوامل طبيعية صرفة وإنما تتدخل فيه عوامل أخرى هي التي زادت من حدة النقص المائي، فالصورة 1 توضح أن الساكنة المحلية بالضيعات الفلاحية لازالت تستخدم طرقا تقليدية للسقي وهذا يساهم في هدر كميات مائية مهمة.

كما ساهم تراكم هذا العجز في جعل الميزانية المائية للفرشة تدخل مرحلة الإجهاد المائي، كنتيجة لحدوث خلل في الموازنة بين كمياتها المفقودة وكميات التجديد، إذ سجلت عجزا بلغ 6.5 م م^3 خلال

سنة 2010 ارتفع خلال الحصيلة المائية لسنة 2018 (وصل 28 م م^3 بالبحيرة الوسطى والغربية مجتمعتين). (وكالة الحوض المائي تانسيفت 2019).

يلعب القطاع الفلاحي دورا مهما في هذا العجز المائي لكونه المستهلك الأول للموارد المائية. بحيث يوضح العمل التركيبي (الشكل 12) أن حصة القطاع الفلاحي في تزايد مطرد على حساب باقي الأنشطة بمجال الدراسة، بحيث انتقلت حصة القطاع الفلاحي من 4،61% في حصيلة 1990 حسب ما جاء مع باستهلاك قدر ب 946080م3 (bougdra, 1991, p183).

وفي حصيلة 1995 ارتفعت حصة الفلاحة من الماء إلى 5,88%، بحيث وصل استهلاكها إلى 30 ل/ث حسب ما جاء في دراسة (Er-rouane, 1996, p 137).

لكن خلال حصيلة 2006 تضاعفت حصتها حوالي ثمان مرات لتشكل 42% من مجموع الاستغلال باستهلاك وصل ل 21,6 م م^3، ليستمر هذا الارتفاع في الطلب على الماء ليبلغ 28م م^3 حسب حصيلة 2010 بنسبة قاربت 76%، و 83,11% سنة 2018. (وكالة الحوض المائي تانسيفت 2006 - 2018)

الشكل 12: تطور نسب الكميات المائية المستغلة بالقطاع الفلاحي (1991- 2018)

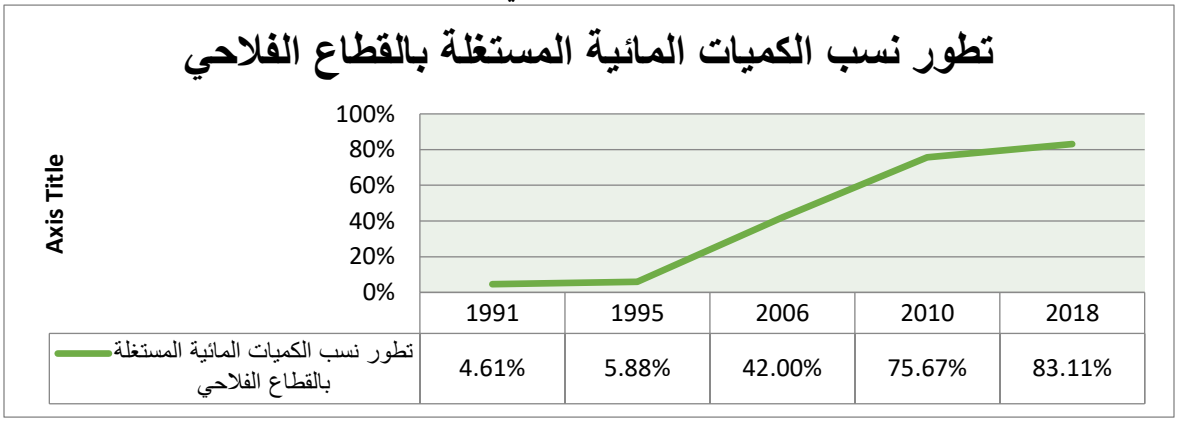

المصدر: عبد الواحد معارف تحت إشراف ذ، المالكي وذ. كلاد باعتماد معطيات وكالة الحوض المائي تانسيفت 2019

5. الاستراتيجيات البديلة لتدبير الخصاص المائي.

يعترض التدبير الجيد والمستدام للموارد المائية إشكال مرتبط بالعقلية المدبرة التي ترجح كفة التعبئة المائية وتغفل التدبير الجيد للعرض المائي. وهذا يتضح من خلال حديث كل الفاعلين (خاصة وكالة الحوض المائي، القطاع الفلاحي، المكتب الشريف للفوسفاط...) عن الزيادة من التعبئة المائية وتغذية الفرشة في الوقت الذي يقل فيه الحديث عن استراتيجيات كفيلة بتقليص كميات الاستغلال المائي. من هذا المنطلق سنقترح مجموعة من التدابير لترفع كتوصيات لهؤلاء الفاعلين في قطاع الماء بالفرشة المائية البحيرة الغربية. ويمكن اختصار استراتيجيات هذا التدبير في ثلاثة محاور أساسية.

1.5 التكيف مع التغير المناخي:

يتوجب تكييف الاستغلال مع الوضع الحالي الذي بات فيه التغير المناخي يزيد من تفاقم العجز المائي. فلا يعقل أن تكون المنطقة شبه جافة ومهددة بالعطش (احتجاجات ساكنة الكنتور كمثال) ولازالت تعتمد أصناف زراعية لا تتلاءم وطبيعة مناخ المنطقة. وبالتالي وجب تغيير خريطة الفلاحية بالمنطقة بتوزيع الأنواع الزراعية والأنشطة الاقتصادية حسب طبيعة كل جماعة ترابية أو كل جزء من الجماعات الترابية إن اقتضى الحال.

ويعتبر وضع خريطة أو تصميم توجيهي لاستغلال الموارد المائية بالمجال، عملية مطلوبة تخصص فيها منطقة الخوالقة كمنطقة استراتيجية بتوفرها على أكبر صبيب مائي للفرشة.

2.5 التعبئة المائية.

يتوجب تعميم إحداث محطات لمعالجة المياه العادمة بكل المراكز الشبه حضرية والقروية القريبة من الفرشة المائية لحمايتها من التلوث، وزيادة العرض المائي باستغلال مياه هذه المحطات في استعمالات فلاحية وصناعية وتوجيه مياه الفرشة للشرب فقط. مع تغدية الفرشة المائية بواسطة التقنيات المستخدمة لهذا الغرض كحفر ثقوب على طول المجاري المائية الناشطة بمجال الخوالقة، وتحلية مياه البحر بآسفي الذي لا يبعد عن مجال الدراسة إلا بأقل من 80 كم.

3.5 التوعية والتحسيس.

تحتل عمليات التوعية والتحسيس، ضرورية لإنجاح أي مشروع تدبيري للموارد المائية في غياب، لذلك لابد من العمل على تنشيط عمل الجمعيات الناشطة في مجال حماية الماء والبيئة، وتشجيع عمل الأندية بالمؤسسات التعليمية الابتدائية والإعدادية والثانويات التأهيلية على اعتبار متعلم اليوم

هو رجل الغد، وكذلك تشجيع البحث العلمي المحلي والوطني وتشجيع المبادرات الهادفة لحماية الماء من كل أشكال التدهور (كالمسابقات التي تقوم بها الوزارة الوصية على قطاع التربية والتكوين بشراكة مع مؤسسة محمد السادس لحماية البيئة).

لائحة المراجع

- البزاز محمد الأمين، 1992. تاريخ الأوبئة والمجاعات بالمغرب خلال القرن الثامن عشر والتاسع عشر، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، ط1.

- الوزان حسن، 1980: وصف إفريقيا، ج 1، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، الرباط،.

- منصوري عثمان، 1989: أثر الحروب والكوارث على النشاط التجاري بالمغرب، سلسلة أعمال ندوة التجارة والدولة والمجتمع عبر التاريخ، ج 2، كأ، ع، إ، الدار البيضاء.

- حمزة مصطفى، 2012: ورقات من تاريخ قبيلة أحمر، ورد في "منطقة أحمر معالمها وأعلامها" منشورات المجلس العلمي لإقليم اليوسفية، ط 1.

- إقضان (م).2014. التطور الجيومورفلوجي للبحيرة الوسطى وهوامشها. أطروحة لنيل شهادة دكتوراه الدولة في الجغرافيا. كلية الآداب والعلوم الإنسانية بن امسيك الدار البيضاء.

- معارف (ع). 2018. ضغوط الأنشطة البشرية على الفرشة المائية البحيرة الغربية. بحث لنيل شهادة الماستر، ماستردينامية الأوساط الطبيعية بالمغرب، كلية الآداب والعلوم الإنسانية مراكش.

- وزارة الفلاحة والصيد البحري والتنمية القروية والمياه والغابات. مخطط المغرب الأخضر الحصيلة والآثار 2008- 2018. مديرية الإستراتيجية والإحصائيات ط 2020.

- Abbad (A) .1993 contribution à l’étude éco-pédologique et cartographique des peuplements halophiles de la région de Marrakech (sebkha zima). Fs Semlalia Marrakech.

- Bougdra (A). 1991 synthèses hydrogéologiques de la bahira occidentale. Thèse pour obtenir le diplôme d’étude supérieure de troisième cycle.). Fs Semlalia Marrakech. Université cadi ayyad.

- Er-rouane (S). 1996. mise en ouvre d’outils informatises pour la modélisation du système aquifère de la plaine de bahira (Maroc occidentale).1996 fs semlalia Marrakech. Université cadi ayyad.

تأثير تقارب واندماج وسائل الإعلام على المتلقي في المغرب

The Impact of Media Convergence and Integration on the Moroccan Audience

الباحث: عمر الطوسي
taoussi1982@gmail.com
المشرف: الأستاذ رضوان حسبان
redoine.hasbane@um5.ac.ma
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
جامعة محمد الخامس بالرباط
المملكة المغربية

الملخص:

يواجه المجال الإعلامي المغربي تحديات كبرى فرضها تقارب واندماج وسائل الإعلام بفضل التكنولوجيا الحديثة بما في ذلك الثورة الرقمية، التي أثرت على المتلقي وعلى شركات وسائل الإعلام المحلية في مجموعة من النواحي، منها ما هو ثقافي ومنها ما هو تقني واقتصادي.

ومن خلال هذا الطرح، تبرز إشكالية مدى تأثير هذا التقارب والاندماج على المتلقي وعلى الشركات الإعلامية من الناحية التقنية والثقافية، وبالتالي يكون سؤال البحث الرئيسي هو: **ما هو تأثير هذا التقارب الإعلامي على المتلقي من الناحية الثقافية والاقتصادية؟**

وفي هذا السياق، سيكون الهدف من هذا البحث هو الإجابة عن السؤال المطروح من خلال شقين أساسين: **الأول** منهما، وهو الإطار النظري، ومبدؤه توضيح بعض المفاهيم النظرية، **ثم** الاستعانة باستمارة كأداة قياس تجيب عما طرح سابقا، وهي موجهة إلى عينة من المتلقين وبعض الفاعلين في المجال السمعي البصري.

الكلمات المفاتيح:

الإعلام - الاندماج الرقمي - أنواع الاندماج - التأثير.

Abstract:

The Moroccan media industry is facing major challenges imposed by the convergence and integration of media outlets thanks to modern technology,

including the digital revolution. The latter has affected the audience and local media companies in a range of aspects, including cultural, technical and economic. This raises the question of the extent of the impact of this convergence and integration on the audience and media companies from a technical and cultural point of view. The main research question is: What is the impact of this media convergence on the recipient from the cultural and economic point of view? In this context, the researcher will prepare a theoretical framework to clarify some opening statements in this regard, in addition to a questionnaire as a measurement tool to be addressed to a sample of audiences and some actors in the audiovisual field in order to answer the above-mentioned questions.

Keywords:

Media, Digital Integration, Types of Integration, Influence.

مقدمة

تعد وسائل الإعلام المغربية من أعرق المدارس في شمال إفريقيا، بل في إفريقيا برمتها، ولقد كان لها دور هام في تاريخ البلاد، وأولها الصحافة المكتوبة، التي كانت ولادتها عسيرة في مرحلة صعبة مرت منها البلاد من أجل التحرر من الاستعمار الفرنسي والإسباني، الذي كان يستعملها من أجل احتلال المملكة المغربية الشريفة ووضعها كسلاح إلى جانب أسلحة أخرى من أجل فرض الوصاية عليها.

ولعب الملوك المتعاقبون على حكم المغرب دورا كبيرا وحيويا في تطور وسائل الإعلام المسموعة والمرئية، حيث قاموا بسن قوانين تتيح لهذا القطاع الهام تطوير أدائه، وإمكانية تحوله من الإعلام التقليدي إلى الإعلام العصري، وبالأخص إلى الإعلام الرقمي، وكان آخرها إشراف جلالة الملك محمد السادس نصره الله على إطلاق قمرين صناعيين، كما قام المشرع المغربي بسن مجموعة من القوانين بخصوص قطاع الإعلام، والتي ظهرت بموجبها مجموعة من الإذاعات الرقمية الخاصة لمجموعة من صناع المحتوى، حيث أصبح الولوج إليها سهلا عبر الإنترنت بواسطة حاسوب أو هاتف ذكي.

وأثر هذا الاندماج لوسائل الإعلام على المتلقي والشركات الإعلامية سياسيا، وثقافيا، واجتماعيا، واقتصاديا، .... وأصبح يشكل حجر الزاوية من أجل توصيل الرسالة بغزارة وبسرعة فائقة لم يسبق لها مثيل، وأثر على جمع المعلومات وإنتاجها وتوزيعها، مما نتج عنه تقديم وسائل جديدة لبث المحتوى سواء عبر أجهزة التلفاز أو عبر بروتوكولات الإنترنت من خلال استعمال الأجهزة الذكية.

- **أهمية الدراسة**

تتجلى أهمية هذا البحث العلمي بأنه يقوم بدراسة ظاهرة إعلامية حديثة، حيث أضافت التكنولوجيا الرقمية تغييرا جذريا في المفاهيم لدى المتلقي المغربي الذي أصبح يعيش في بيئة رقمية محضة في كلا المجالين الحضري والقروي، ومنه تبرز أهمية هذا البحث فيما يلي:

← اهتمام المجتمع المغربي بالعالم الرقمي، والذي أصبح حجر الزاوية لدى المغاربة من خلال التقنيات والإلكترونيات التي أصبحت تعاصره؛

← غزو التكنولوجيا الرقمية لثقافة المتلقي المغربي؛

← المنافسة الشرسة بين الشركات الإعلامية وصناع المحتوى من أجل الحصول على المعلومة بأسرع وقت ممكن في الزمان والمكان المناسبين باستعمال أحدث الأجهزة الإلكترونية.

- **أسباب اختيار الموضوع**

تتجلى أسباب اختيار هذا الموضوع من جهة في أهمية الاندماج الرقمي التي شكلت دراسته مجالا خصبا لل‌باحثين والفاعلين الإعلاميين، ومن جهة أخرى لندرة الدراسات العلمية التي تتطرق للاندماج الإعلامي وما ينتج عنه من تأثيرات على الملتقي المغربي.

- **الدراسات السابقة**

في سياق التحولات الرقمية المتسارعة، يبرز مفهوم التقارب الإعلامي (Media Convergence) بوصفه إشكالية بحثية أساسية، نظرًا لما يحمله من تأثيرات عميقة على المشهد الإعلامي وعلى المتلقين في الوقت نفسه. ففي حين تؤكد الدراسات السابقة على الأبعاد التقنية والاقتصادية والثقافية للتقارب الإعلامي، ما زالت هناك فجوة علمية تتعلق بكيفية استثمار هذا التقارب في تشكيل أنماط تفاعل جديدة بين وسائل الإعلام والمتلقين، ودور ذلك في إعادة صياغة العلاقة بين المنتجين والجمهور.

لقد طرح هنري جنكيز (Jenkins 2006) الأسس الأولى لفهم ثقافة التقارب، من خلال تأكيده على أن المحتوى الإعلامي يعبر الحدود بين الأنظمة الإعلامية المختلفة معتمدًا على المشاركة الفاعلة للمتلقين. ويؤكد هذا الطرح أن التقارب الإعلامي ليس مجرد تداخل تقني، بل هو عملية تفاعلية يتحول فيها المتلقي إلى شريك في إنتاج المعنى. أما مايك ساندبوثي (Sandbothe 2020) فقدم مقاربة فلسفية براغماتية تميز بين مستويات متعددة للتقارب الإعلامي، تشمل الجانب التقني والاقتصادي والرمزي والأدائي. ورغم أن ساندبوثي يلفت الانتباه إلى دور وسائل الإعلام في تشكيل أنماط التفكير والشعور، إلا أنه يركز في المقام الأول على التحليل الفلسفي لأثر هذه الوسائل، مع ترك مساحة لم تطرق بالقدر الكافي لفهم كيفية تداخل هذه المستويات في صياغة علاقة أكثر تعقيدا بين الوسيط والجمهور.

من جهته، تناول توبياس ريجيش (Regesch 2012) قضية المخاطر والإمكانات في سوق التلفزيون الألماني في ظل التقارب الإعلامي، مشيرا إلى أن التلفزيون سيظل مهيمنا على الرغم من تعدد المنصات الرقمية. وفي المقابل، ألقى هاردي دريير (Dreier 2002) الضوء على تراجع استخدام بعض الأجهزة التقليدية نتيجة توافر تقنيات متعددة الوظائف وقابلة للحمل، ما يفتح الباب أمام تغيير جذري في عادات الجمهور وتوقعاته من المنتجات الإعلامية. ومع أن كلا البحثين قدّما رؤى حول تأثير التقارب على المؤسسات الإعلامية والجمهور، فإن التركيز بقي منصبا على وصف التغيرات وتعميق النقاش حول كيفية تفعيل هذه التغيرات لإثراء المحتوى ورفع مستوى تفاعل المتلقي.

أما دراسة لانغنر وآخرين (Langer et al. 2018) فقد سلطت الضوء على التحولات المتسارعة في سلوكيات التواصل للمُتلقين، وأظهرت أن التقارب الإعلامي يفرض تحدياتٍ جديدة أمام الشركات فيما يخص بناء العلامة التجارية واستقطاب الجمهور. وفي السياق ذاته، يشير بيرند دبليو فيرتز (Wirtz 2006) إلى أنّ التعارض المتزايد بين قطاعات الإعلام وتكنولوجيا المعلومات يجعل من الصعب رسم حدود فاصلة بينها، في ظل تزايد حدة المنافسة وظهور فاعلين جدد في سوق الإعلام. إلا أن معظم هذه المقاربات تبقى تركز على توصيف المشهد الإعلامي وإعادة هيكلة المؤسسات الإعلامية، من دون التوسع في مناقشة الآليات التي يمكن من خلالها تعزيز دور التقارب في إعادة تشكيل العلاقة التواصلية بين المنتِج والمتلقي بهدف تحقيق تفاعل بناء.

بناء على ما تقدم، تبرز إشكالية تأثير التقارب الإعلامي على المتلقين بوصفها محورا بحثيّا رئيسا؛ ذلك أن التحولات الناجمة عن التقارب لا تقتصر على التطور التقني أو إعادة هيكلة المؤسسات الإعلامية فحسب، بل تمتد إلى أنماط الاستهلاك وتفاعل الجمهور مع المحتوى، بما في ذلك إعادة صياغة مفهوم "المتلقي" نفسه. من هذا المنطلق، يسعى هذا البحث إلى تجاوز الطروحات التي تركز على الجوانب الفنية أو الاقتصادية للتقارب، ليضع المتلقي في بؤرة الاهتمام، متناولا السؤال التالي: كيف يؤثر التقارب الإعلامي في بناء علاقة تفاعلية بين المتلقي والمحتوى؟ إن الإجابة عن هذا السؤال تتطلب استكشاف الأبعاد النفسية والاجتماعية والسلوكية التي تنشأ عندما تندمج المنصات والأدوات الإعلامية في بيئة رقمية واحدة، مما يوسع مساحة المتلقي بوصفه فاعلا مشاركا، وليس مجرد مستهلك سلبي للمعلومات.

ولإبراز هذه الإشكالية، يركز البحث على تحليل آليات التغيير في سلوك الجمهور: بدءًا من كيفية تلقي المحتوى والاستجابة له، مرورا بإمكانية إعادة إنتاج المحتوى وتداوله، وانتهاء برسم ملامح تفاعلية جديدة تجمع بين الجمهور والمؤسسات الإعلامية. وتأتي أهمية هذه المقاربة في أنها تحاول بناء حجج علمية تفسر التداخل المتزايد بين التقنيات الرقمية والأنشطة الاتصالية، بدلا من الاكتفاء بوصف الظاهرة أو حصرها في إطار تخصصي ضيق. وعليه، يهدف البحث إلى كشف مدى عمق التحولات الاتصالية في عصر التقارب الإعلامي، وتأثيرها على دور المتلقي وموقعه في المنظومة الإعلامية. وينتظر أن تسهم النتائج المتحصلة في إثراء النقاش حول الكيفية التي يمكن بها توظيف هذا التأثير لتحسين تجربة الجمهور، وتعزيز العلاقة بين المنتجين والمتلقين، بما ينعكس إيجابا على جودة المحتوى الإعلامي وحيوية الحوار المجتمعي.

- **الفئة المستهدفة بالبحث**

تم اختيار مدينة الدار البيضاء كموقع لهذا البحث بناءا على كونها واحدة من أبرز مدن المغرب، حيث تتمتع بتنوع اجتماعي وثقافي واقتصادي يعكس التعددية في الفئات المستهدفة للسلوك الإعلامي، كما تعتبر قطبا حضريا حيويا يعكس التحولات الرقمية المعاصرة بشكل واضح، حيث يزداد الوعي بين السكان بالتكنولوجيا المتقدمة والتغيرات الإعلامية الناتجة عن التقارب الإعلامي. علاوة على ذلك، تعد الدار البيضاء مدينة ذات كثافة سكانية عالية وبالتالي توفر عينة واسعة من المتلقين من مختلف الخلفيات الاجتماعية والاقتصادية، ما يتيح فحصا شاملا لتأثير التقارب الإعلامي على الجمهور. لقد ركزت الدراسة على المتلقين في هذه المدينة بوصفها عاصمة اقتصادية وثقافية تؤثر في المشهد الإعلامي الوطني، مما يسهم في تسليط الضوء على تنوع التجارب والآراء المتعلقة بتأثير التقارب الإعلامي. تجدر الإشارة إلى أن هذه المنطقة تعد من أكثر المناطق تقدمًا من حيث استخدام التكنولوجيا الحديثة في مختلف المجالات، وبالتالي تعتبر البيئية المثلى لدراسة تأثير التقارب الإعلامي بشكل عميق.

1. مفهوم وسائل الإعلام

قبل البدء في تحرير البحث، كان لا بد من تحديد لمفهوم وسائل الإعلام، وحتى الآن لم أقف على تعريف واضح لمصطلح "**وسائل الإعلام**" أو: "**ماهية وسائل الإعلام**"، بحيث لم يتفق الباحثون في مجال الإعلام على تعريف واضح، (رضى أمين 2015، 15).

فبالعامية، يستخدم مصطلح "**وسائل الإعلام**" للإشارة إلى كل ما يقوم: بإعلامنا أو ترفيهنا أو إرشادنا أو تثقيفنا (Böhm 2014, 4). ومع ذلك، فقد تم وصفه بأنه وسيلة وعملية تستخدم لنشر المعلومات والصور والأخبار بغرض التواصل الاجتماعي (Müller 2006, 3).

2. التقارب الإعلامي

هو ظاهرة تقوم على الربط والدمج بين تقنيات المعلومات والاتصالات وشبكات الكمبيوتر والمحتوى الإعلامي، وتجمع بين ثلاثة عناصر أساس: معالجة البيانات، والاتصال، والمحتوى.[1] ويعرف العالم **جينكنز** (Jenskins 2006, 6) التقارب الإعلامي على أنه تدفق المحتوى عبر منصات إعلامية متعددة:

"The flow of content across multiple media platforms, the cooperation between multiple media industries, and the migratory behavior of media audiences who will go almost anywhere in search of the kinds of entertainment experiences they want." (Jenskins 2006, 6)

ومن ناحية أخرى، أكدت **إينيس براون** أن التقارب يشمل الخيارات المتنوعة لرقمنة أشكال العرض المختلفة مثل: الصور والصوت وما إلى ذلك، ويمكن تقديم هذا المحتوى المدمج تكنولوجيا في وقت واحد في أشكال مختلفة، مثل: الإنترنت والصحف والرسائل النصية وما إلى ذلك، ومن ناحية أخرى، يشير مصطلح التقارب إلى مصطلح الوسائط المتعددة (Braune 2008, 54)، حيث يمكن استخدام جهاز واحد بطرق متنوعة كجهاز نهائي لعروض وسائط مختلفة (Hepp 2004, 74).

---

[1] . https://www.britannica.com/topic/media-convergence (تاريخ الزيارة 2024/05/28).

ومنه، يمكن وصف اندماج وتدفق تقنيتين أو أكثر من وسائل الإعلام في منصة جديدة تحتفظ بخصائص كل تقنية على حدة، وتجمع بينها بأنه: تقارب بين تقنيات مختلفة.

فعلى سبيل المثال، يعد الهاتف المحمول جهازا متعدد الوظائف، فلا يستخدم لإجراء المكالمات الهاتفية فحسب، بل يوفر أيضا وظائف مثل الراديو ومشغل الموسيقى والفيديو ومتصفح الإنترنت ووحدة التحكم في الألعاب وكاميرا للتصوير الفوتوغرافي وفيديو عالي الدقة وتلفزيون صغير. ونتيجة لذلك: يمكن للمستخدم أن يجري مكالمة هاتفية، أو يستمع إلى الموسيقى، أو يشاهد فيلما، أو يطلب طعاما، أو يكتب بريدا إلكترونيا، أو يبحث ببساطة عن معلومات على هاتفه الذكي في آن واحد.

2-1. أنواع التقارب الإعلامي

- **الاندماج الرقمي**

ظهر كمصطلح جديد مع بداية استخدام الحواسيب والإنترنت، حيث أصبح للأجهزة الرقمية مجموعة متنوعة من الوظائف والتي تمكنها من التواصل مع بعضها البعض، وتخزين المعلومات ومعالجتها، وبفضل هذه الميزات الجديدة، يمكن للأجهزة الرقمية الآن التواصل مع بعضها البعض وتخزين البيانات ومعالجتها، كما يسمح لها بعرض نفس محتوى الوسائط المتعددة على أجهزة مختلفة من خلال رقمنة المحتوى، مثل: الأفلام والصور والموسيقى والصوت والنصوص.

وقد أدى دمج التقنيات والشبكات في جهاز واحد إلى زيادة الكفاءة وسهولة في الحياة اليومية، وتعد الهواتف الذكية وأجهزة التلفزيون مثالاً جيداً على ذلك: حيث يوفر التلفزيون إمكانية عرض جميع المعلومات الهامة على شاشة واحدة ويمكن توصيله بسلاسة بجهاز كمبيوتر، ويمكن أيضا توصيل الهواتف الذكية بالتلفزيون، حيث يتيح نظام I-Cloud، الذي طورته شركة Apple، تبادل الصور ومقاطع الفيديو والتطبيقات بين الكمبيوتر والهاتف الذكي.[1]

[1] https://ccm.net/apps-sites/internet-archeology/e/ (تاريخ الزيارة 2024/06/01).

- **الاندماج التكنولوجي**

لقد أصبح الوصول إلى المحتوى الإعلامي مثل المطبوع والمسموع والمرئي سهلا في زماننا، وذلك بفضل الانتشار الواسع للإنترنت وسهولة استعمال الهواتف الذكية وأجهزة الكمبيوتر المحمولة وأجهزة التلفاز الذكية وغيرها من الأجهزة الرقمية. فهناك وكالات أنباء لا توفر فقط المحتوى المرئي والمسموع، بل أيضا منصات تقدم مواد بصيغ مختلفة مثل الفيديو والبودكاست، كما تتيح شبكة الإنترنت للمستخدمين فرصة التعليق على الأحداث الهامة، وهذه أمثلة على المؤسسات الإعلامية التي توزع المحتوى عبر وسائط مختلفة.[1]

- **دمج الرسائل**

أصبح بالإمكان إنشاء أحرف فريدة باستخدام الدمج البريدي، كالتخطيط والتنسيق والتنصيص وإنشاء رسومات كل حرف بطرق مختلفة، واختصارها على شكل رسومات خاصة مثل صيغ التحية.[2]

3. مفهوم التأثير

غالبا يكون التأثير منبثقا من سبب ما، أو ينشأ كنتيجة متحققة،[3] وفي اللغة: نقول أثر في الشيء، أي: وضع فيه أثرا أو جعل فيه أثرا وإشارة، فتأثر معناها وافق وانفعل.[4]

واصطلاحا هو: نتيجة حالة نفسية لأفكار جديدة لدى المتأثرين، تجعل حركاتهم بمجموعة من الأفكار والمعلومات. ولهذه الحالة النفسية أدوار كبيرة جدا، فهي أساسية في تغيير سلوكيات الفرد أو مجموعة من الأفراد لمدة محددة في اتجاه معين. ويعتبر التأثير أحد العوامل الأساس في عملية التواصل، فالعديد من الباحثين ادعوا أن التأثير عبارة عن عنصر ضروري وأساس في كل عملية تواصل، ونلاحظ في هذا التعريف أن التأثير هو من أهم مكونات عملية التواصل.[5]

---

[1] . https://www.britannica.com/topic/media-convergence (تاريخ الزيارة 2024/06/01).

[2] https://support.microsoft.com/ar-sa/office/ (تاريخ الزيارة 2024/06/01).

[3] https://www.dwds.de/wb/Wirkung (تاريخ الزيارة 2024/06/01).

[4] https://www.almaany.com/ (تاريخ الزيارة 2024/06/02).

[5] انظر: https://dinpresse.net/الصحافة-الإلكترونية-المغربية-ومعركة /(تاريخ الزيارة 2024/06/02).

4. الإطار الميداني

في هذا القسم من هذه الدراسة، أجرينا استبيانا بين المتلقين، وتم إنشاؤه على شكل مستند Word، وتم نشره على الإنترنت، واعتمدت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي. وحددنا الفئة المستهدفة للدراسة من المتلقين بالمغرب، وخصوصا من مدينة الدار البيضاء، ولأن مشروع أطروحة الدكتوراه لبحثنا يتم فيه إنجاز استبيان وصفي تحليلي للمتلقين في جميع جهات المغرب. ولتحقيق أهداف الدراسة، تمت الإجابة عن الأسئلة الرئيسية المطروحة التي تهم استعمال وسائل الإعلام وآثار الإندماج الإعلامي الرقمي، وتم إعداد استبيان مغلق لقياس معارف المتلقين عن وسائل الإعلام المغربية التي يستعملونها، إضافة إلى الوسائل الإلكترونية المستعملة من لدنهم.

4-1. عرض نتائج الدراسة الاستقصائية

❖ **التكوين الديموغرافي وانعكاسه على قابلية التكيف مع التقارب الإعلامي**

تظهر النتائج أن الشريحة العمرية للمشاركين تمتد من 17 إلى 61 عامًا، مع توازن نسبي بين الذكور والإناث. هذه الفئة المتنوعة تعكس من جانب أول التنوع في تجربة استخدام الوسائط (سواء كانت تقليدية أو رقمية)، ومن جانب آخر تبين استعدادا للتعرف على وسائل إعلامية متطورة لدى الفئات الأصغر سنا، في حين قد تكون الفئة الأكبر سنّا أقل حماسة في تبني بعض التقنيات. وهذا يتوافق مع الرؤى النظرية التي تؤكد أن مدى تقبل التقنيات الإعلامية الجديدة يرتبط في جزء منه بالفئة العمرية ومدى إلمامها بالتكنولوجيا.

رسم توضيحي (01) : البيانات الديموغرافية

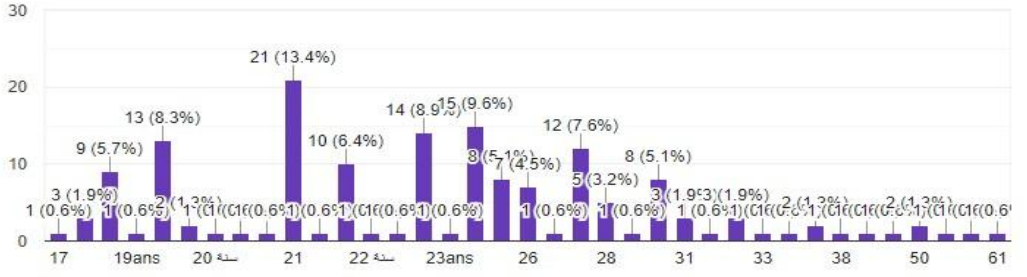

رسم توضيحي (02): الجنس

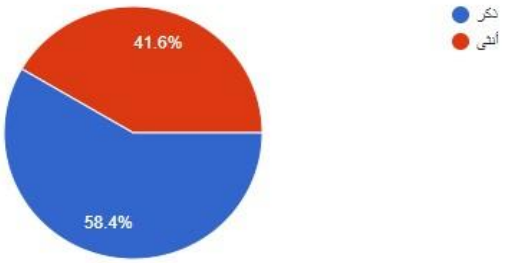

❖ **مستوى التعليم وتعددية اللغة: مؤشر على وعي نقدي**

تفيد المعطيات بارتفاع المستوى التعليمي لأغلب المستجيبين (شهادات جامعية إلى الدكتوراه)، إلى جانب تعدد لغوي (عربية فصحى، دارجة مغربية، فرنسية...). في النظريات الإعلامية، غالبا ما يعتبر ارتفاع المستوى التعليمي عاملا يعزز القدرة على الاختيار النقدي للوسائط والمحتوى، وبالتالي يزيد من الانخراط الواعي في ظاهرة التقارب الإعلامي. كما أن الازدواجية أوالتعددية اللغوية لدى المتلقين تمكنهم من الوصول إلى طيف أوسع من المحتوى، وتعزز قابلية المقارنة والانتقاء بين مصادر إعلامية متنوعة، بما ينسجم مع افتراضات تؤكد ارتباط التقارب الإعلامي بالتنوع الثقافي واللغوي.

رسم توضيحي (03): التعدد اللغوي

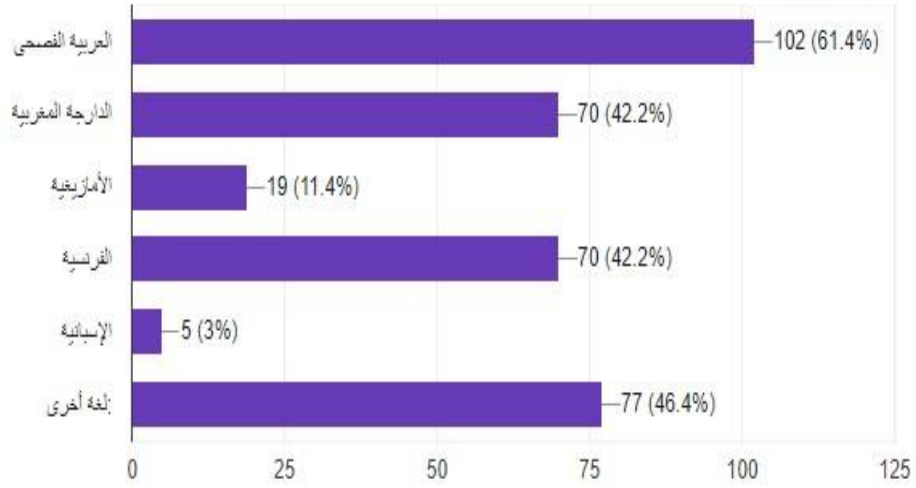

❖ **الوسائط الرقمية كقناة رئيسة للحصول على المعلومات**

أظهرت النتائج هيمنة استخدام الصحف الإلكترونية والإنترنت كأهم مصادر للمعلومات، مع ارتفاع كبير في معدل تكرار الاستخدام اليومي. وفق النظريات المعاصرة للاندماج الإعلامي، يؤدي ظهور المنصات الرقمية وتوفرها على مدار الساعة إلى انحسار نسبي لدور الوسائط التقليدية (مثل الصحافة الورقية أو القنوات الأرضية)، ويخلق لدى المتلقي نمط استخدام سريع ومتنوع. يشير هذا النمط إلى أن الفرد لم يعد يستهلك المعلومة من قناة واحدة، بل يتنقل بسلاسة بين عدة قنوات ومنصات في إطار ما يعرف بـ"استهلاك الوسائط المتقاربة".

رسم توضيحي (04): استخدام وسائل الإعلام

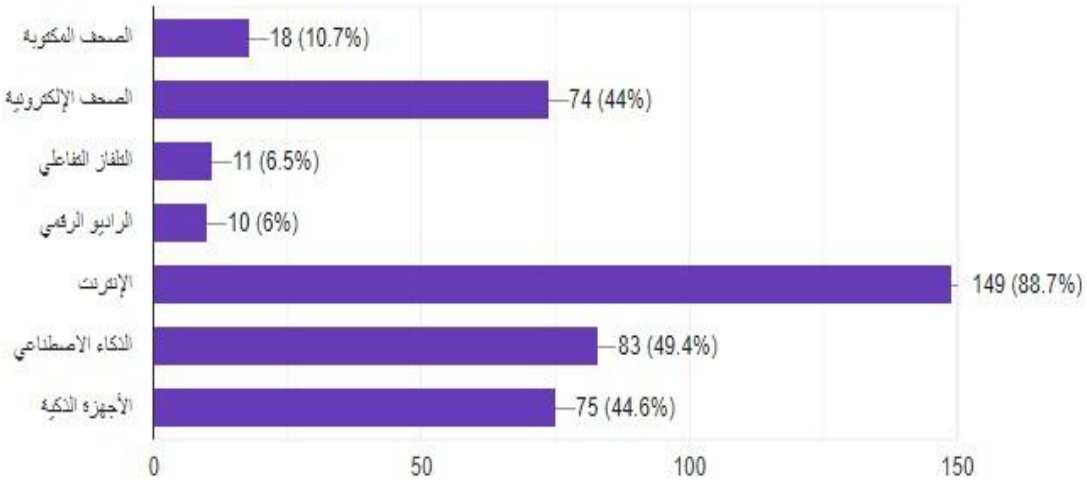

رسم توضيحي (05): تواتر استخدام وسائل الإعلام

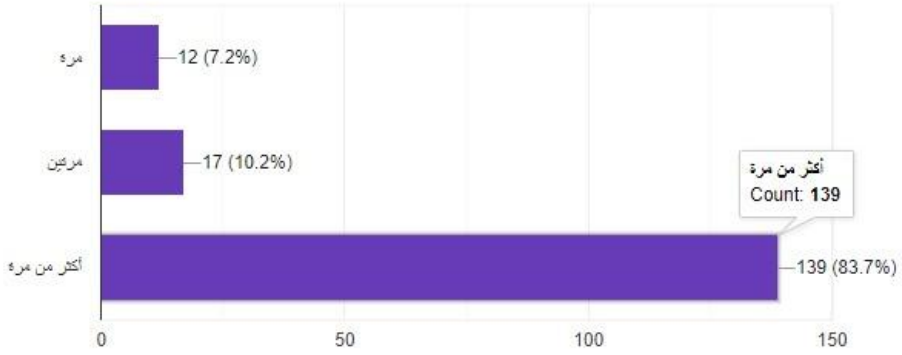

❖ **إدراك التغيرات الإعلامية وتأثيراتها الاجتماعية والاقتصادية**

ذكر غالبية المشاركين (76.8 في المائة) أنهم لاحظوا تغيرات كبيرة في المشهد الإعلامي في السنوات الأخيرة، مع تأثيرات اجتماعية وثقافية واقتصادية مختلفة. ووفقا للإطار النظري، فإن هذه التغييرات هي نتيجة مباشرة لتقاطع التقنيات الرقمية مع المنصات الإعلامية التقليدية، مما أدى إلى إعادة توزيع الأدوار بين المؤسسات الإعلامية والمعلنين والجمهور. ويعكس الوعي بهذه التغييرات مدى تأثر سلوك المتلقين بالتحول الرقمي، حيث يتوقعون المحتوى الإعلامي بطريقة مختلفة .

رسم توضيحي (06): إدراك التغيرات

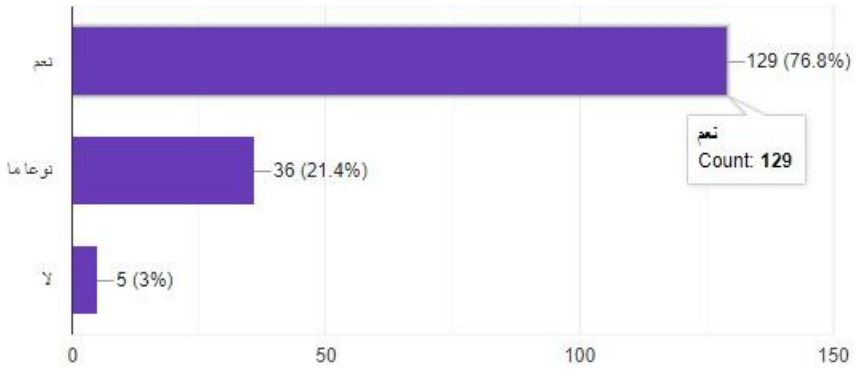

رسم توضيحي (07): التأثيرات

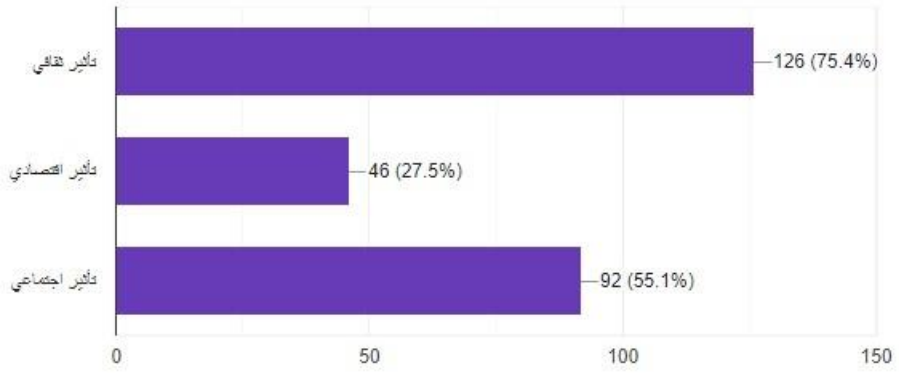

❖ **تنوع المحتوى الإعلامي ومستوى الثقة به**

يصنف غالبية المشاركين في الاستطلاع تنوع المحتوى الإعلامي على أنه متوسط إلى مرتفع، ويتحققون من مصداقية المحتوى من خلال تقييم المصدر. تتماشى هذه الملاحظة مع النظريات المتعلقة بتوحيد وسائل الإعلام، والتي تشير إلى أن انفتاح المنصات الرقمية أدى إلى انفجار المحتوى، ولكنه يفتح الباب أيضا أمام مشاكل المصداقية والمعلومات المضللة. إن ارتفاع مستوى الوعي لدى الجمهور يعني أنهم يريدون التحقق من المصدر والتأكد من مصداقيته. وهذا يبلور دور المتلقي الناقد، الذي لم يعد مستهلكا سلبيا للمعلومات.

رسم توضيحي (08): تنوع المحتوى

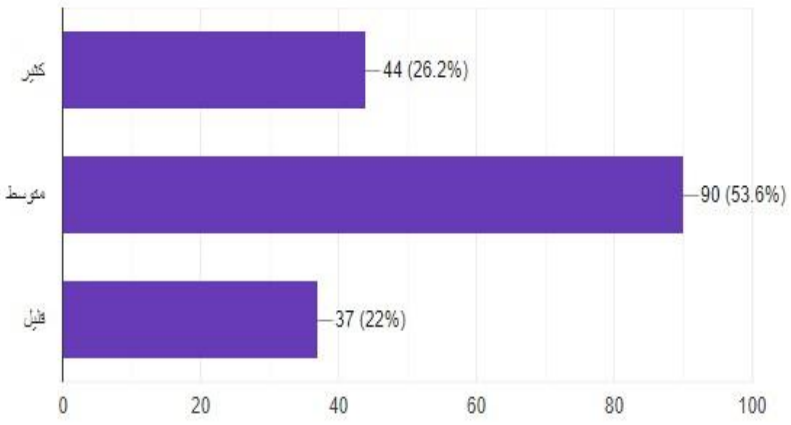

رسم توضيحي (09): التحقق من مصداقية المحتوى

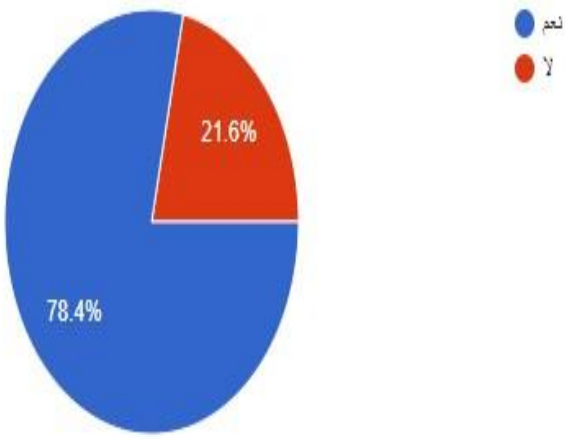

رسم توضيحي (10): طريقة التحقق من مصداقية المحتوى

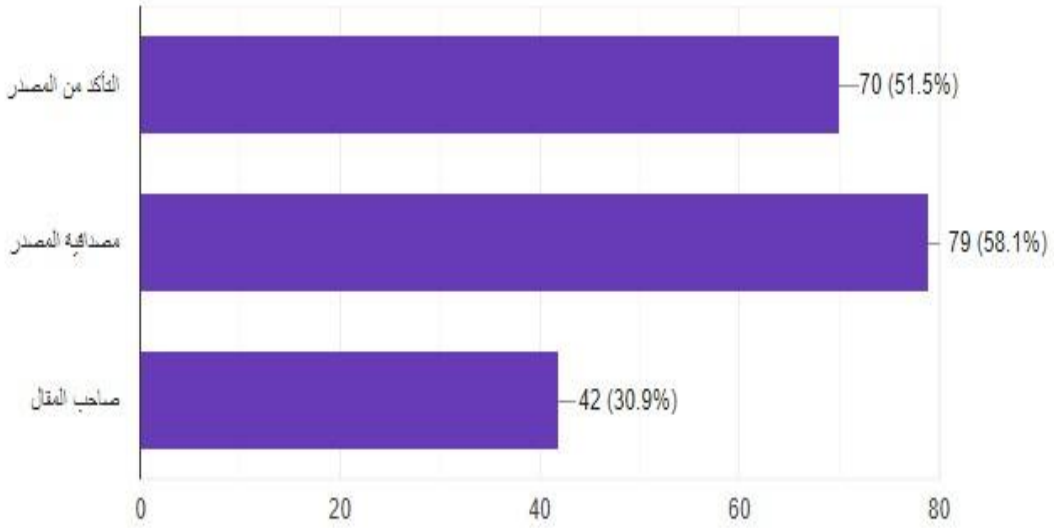

❖ **التكاليف الإضافية المرتبطة باستخدام الوسائل الذكية**

يصنف غالبية المشاركين في الاستطلاع تنوع المحتوى الإعلامي على أنه متوسط إلى مرتفع، ويتحققون من مصداقية المحتوى من خلال تقييم المصدر. تتماشى هذه الملاحظة مع النظريات المتعلقة بتوحيد وسائل الإعلام، والتي تشير إلى أن انفتاح المنصات الرقمية أدى إلى انفجار المحتوى، ولكنه يفتح الباب أيضا أمام مشاكل المصداقية والمعلومات المضللة. إن ارتفاع مستوى الوعي لدى الجمهور يعني أنهم يريدون التحقق من المصدر والتأكد من مصداقيته. وهذا يبلور دور المتلقي الناقد، تظهر

النتائج تقييماً مختلفاً للتكاليف الإضافية المترتبة على استخدام التقنيات الذكية (منخفضة إلى مرتفعة). ووفقا للإطار النظري، يرتبط مفهوم التقارب الإعلامي أيضا بتغلغل التكنولوجيا في الحياة اليومية، الأمر الذي يمكن أن يترتب عليه أعباء مالية (تكاليف الاشتراكات في الإنترنت، والأجهزة الذكية، وتحديث التطبيقات، وما إلى ذلك). تعكس هذه الاختلافات اختلاف القدرة الاقتصادية للأفراد وبالتالي اختلاف قدرتهم على الاستفادة من التقارب الإعلامي. الذي لم يعد مستهلكا سلبيا للمعلومات.

رسم توضيحي (11): التكاليف

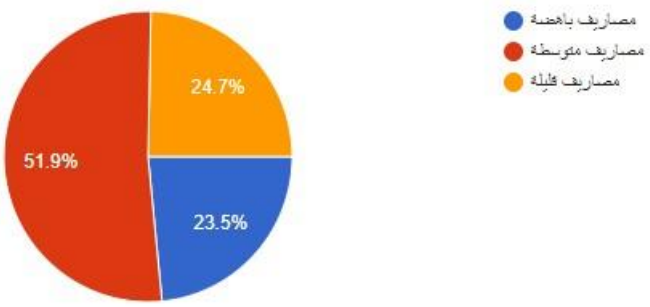

❖ **التوقعات المستقبلية: استمرار التطوّر التقني وانعكاساته على المحتوى**

وتظهر النتائج أن غالبية المستجيبين متفائلون نسبيا بالتطورات التكنولوجية المستقبلية في قطاع الإعلام، بما في ذلك تحسين جودة المحتوى وظهور أشكال جديدة من المحتوى. على المستوى النظري، يشير هذا التفاؤل إلى أن الجمهور يتقبل التغيرات التكنولوجية والإعلامية المستقبلية ويرغب في استكشاف المزيد من النماذج التفاعلية والمشاركة في إنتاج المعنى. ويصب هذا في اتجاه مفهوم "الثقافة التشاركية" الذي اقترحه بعض الباحثين (مثل هنري جنكينز)، حيث يكون المتلقي عنصرا فاعلا في إنشاء المحتوى ونشره وليس مجرد مستهلك.

رسم توضيحي (12): التوقعات المستقبلية

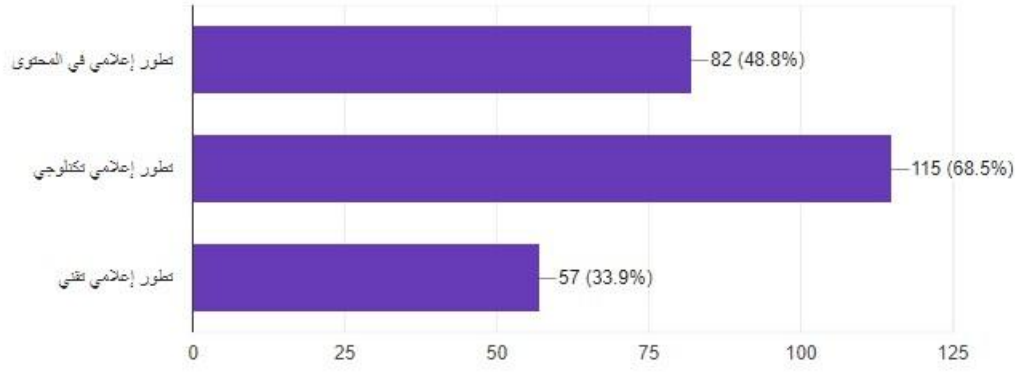

خاتمة

تؤكد النتائج الميدانية أن الاندماج الإعلامي أصبح جزءا لا يتجزأ من الحياة اليومية للمشاركين، خاصة على المستوى الرقمي. حيث يعزز المستوى التعليمي المرتفع لدى شريحة كبيرة المستجوبين قدرتهم على التمييز والتحقق من مصداقية المحتوى الإعلامي، الشيء الذي ينسجم مع النظريات التي تشير إلى ارتباط زيادة وعي المتلقين بتنوع المنصات الإعلامية.

إلى ذلك يكشف التعدد اللغوي عن مرونة أكبر في تلقي المعلومات من منصات محلية ودولية، وهو ما يثري التبادل الثقافي والإعلامي، لكنه يطرح في الوقت نفسه تحديات تتعلق بجودة المحتوى وموثوقيته.

كما تظهر التأثيرات الاجتماعية والاقتصادية الناتجة عن التقارب الإعلامي بتوسع دائرة النقاش لتشمل أبعادا أعمق، كدور المؤسسات الإعلامية وآليات تمويلها، وهو ما يتوافق مع الطرح النظري القائل بأن التقارب ليس مجرد مسألة دمج تقني، بل تحول بنيوي يطول سلوك الأفراد والمؤسسات على السواء. وأخيرًا، فإن تفاؤل الجمهور بتطور المحتوى في المستقبل يدل على وعيهم بالدور الذي يلعبه التقدم التكنولوجي في تحسين عملية التواصل وزيادة فرص الانخراط الفاعل في المشهد الإعلامي، ما يكرس مبدأ التشاركية ويعزز أبعاد "المتلقي المنتج".

بهذا التحليل، يتبين أن البيانات لا تقتصر على وصف واقع استخدام الوسائل الإعلامية فقط، بل يمكن قراءتها في ضوء المفاهيم النظرية للاندماج الإعلامي، لتكشف أن التقارب الإعلامي يترك أثرا ملموسا على المتلقين، سواء على مستوى الوعي النقدي أو في أنماط الاستهلاك أو في توقعاتهم للمستقبل. وبذلك، تسهم هذه النتائج في بناء فهم أشمل للعلاقة المتنامية بين التقنيات الإعلامية الحديثة والمجتمع المغربي، مع التركيز على دور المتلقي في ظل توسّع دائرة الاندماج الإعلامي في الحياة اليومية.

المصادر والمراجع

مصادر عربية:

رضا أمين (2015). الإعلام الجديد، القاهرة: دار الفجر للنشر والتوزيع.

مصادر بلغات أخرى:

- Braune, I. (2008). *Aneignungen des Globalen. Internet-Alltag in der arabischen Welt: eine Fallstudie in Marokko*. Bielefeld: Transcript (Global Studies).

- Dreier, H. (2002). *Vielfalt oder Vervielfältigung? — Medienangebote und ihre Nutzung im digitalen Zeitalter*. In: Björn Müller-Kalthoff (Hg.): *Cross-Media Management. Content-Strategien erfolgreich umsetzen*. Berlin, Heidelberg: Springer Berlin Heidelberg, pp. 41–60.

- Hepp, A. (2004). *Netzwerke der Medien. Medienkulturen und Globalisierung*. Wiesbaden: VS Verlag für Sozialwissenschaften (Medien - Kultur - Kommunikation).

- Langner, T. et al. (2018). *Medienkonvergenz managen: Wahrnehmungs- und Wirkungspfade der Kommunikation antizipieren*. In: Tobias Langner, Franz-Rudolf Esch und Manfred Bruhn (Hg.): *Handbuch Techniken der Kommunikation. Grundlagen - Innovative Ansätze - Praktische Umsetzungen. Unter Mitarbeit von Franz-Rudolf Esch und Manfred Bruhn*. 2. Aufl. Wiesbaden: Springer Gabler (Springer Reference Wirtschaft), pp. 21–51.
- Jenkinson, H. (2006). *Convergence culture. Where old and new media collide*. 1. publ. in paperback, updated and with a new afterword. New York, London: New York University Press.
- Müller, S. (2006). *Konvergenz in der TIME-Branche. Anforderungen an und Lösungsmöglichkeiten für das Risikocontrolling, insbesondere die Risikoidentifikation*. Hamburg.
- Oxford Business Group (2023). *Morocco Digital Transformation. Covid-19 Recovery Roadmap*.
- Regesch, T. (2013). *Medienkonvergenz im digitalen Zeitalter. Welche Risiken und Potenziale bieten sich dem TV-Markt?* München: GRIN Verl.
- Sandbothe, M. (2020). *Perspektiven pragmatischer Medienphilosophie. Grundlagen - Anwendungen - Praktiken*. Bielefeld: transcript-Verlag (Achtsamkeit - Bildung - Medien, 3).
- Wirtz, B. W. (2006). *Medien- und Internetmanagement*. 5. überarbeitete Auflage. Wiesbaden: Betriebswirtschaftlicher Verlag Dr. Th. Gabler / GWV Fachverlage GmbH, Wiesbaden (SpringerLink Bücher).

ملحق

استبيان المتلقي:

I. التفاصيل الشخصية

- العمر:
- الجنس:
- المهنة:
- المستوى التعليمي:
- اللغات المفضلة في وسائل الإعلام:
  - العربية الفصحى
  - الدارجة المغربية
  - الأمازيغية
  - الفرنسية
  - الإسبانية
  - لغة أخرى:

II. استخدام وسائل الإعلام

1. ما هي وسائل الإعلام التي تستخدمها للحصول على المعلومات؟

- الصحف المكتوبة
- الصحف الإلكترونية
- الراديو الرقمي
- التلفاز التفاعلي
- الإنترنت
- الذكاء الاصطناعي
- الأجهزة الذكية

2. كم من مرة تستخدمها في اليوم؟

- مرة
- مرتين
- أكثر من مرة

3. هل لاحظت تغير في وسائل الإعلام في السنوات الأخيرة؟

- نعم
- نوعا ما

- لا

III. تقارب وسائل الإعلام:

ما هو تأثير هذا التغيير على سلوك استخدامك لوسائل الإعلام؟

- تأثير ثقافي
- تأثير اقتصادي
- تأثير اجتماعي

IV. تنوع المحتوى والمصادر

1. ما مدى التنوع في رأيك في العروض الإعلامية في المغرب؟

- كثير
- متوسط
- قليل

2. هل تتحقق من المحتوى الإعلامي الذي تتلقاه؟

- نعم -لا

3. في حالة نعم كيف؟

- التأكد من المصدر
- مصداقية المصدر
- صاحب المقال

V. التأثير الاقتصادي

1. ما هي التكاليف الإضافية التي تكبدها المتلقون نتيجة لاستعمال الوسائل الذكية؟

- مصاريف باهظة
- مصاريف متوسطة

VI. مصاريف قليلة

VII. التوقعات المستقبلية

1. ما هي الاتجاهات التي تتوقعون رؤيتها في السنوات العشر المقبلة؟

- تطور إعلامي في المحتوى
- تطور إعلامي تكنلوجي
- تطور إعلامي تقني

الشعـــر الجديـــــد بالمغـــرب
- من فعل الكتابة إلى فعل الانكتاب -

New poetry in Morocco
From the act of writing to the act of Inkitab

الطالب الباحث كريم أيوب
إشراف الدكتور المعتمد الخراز والدكتورة العالية ماء العينين
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
جامعة محمد الخامس بالرباط، المغرب
ayoub_karime@um5.ac.ma
aliamaelainin@gmail.com
Almouatamid@gmail.com

الملخص:

عاش الشعر المغربي إحدى أعمق تحولاته على المستوى الإبداعي والإنساني، إذ سعى إلى أن يحدث تغييرا في أبعد مستويات الانتماء، لقد جرب أن يصارع انتماءه إلى الزمن والبيئة، وجرب مرة أخرى أن يصارع وجوده الاجتماعي والسياسي والواقعي، كما جرب أن ينتمي إلى الممكن والمصير، وها هو يدخل في صراع مع مؤسسته الوحيدة. إن التخلي عن الكتابة هو تخلّ – في جوهره- عن أصوات جماعية ترفع شعارات التكتل والدفاع عن مواقف راسخة، ومبادئ مستلهمة من التفكير الغربي. وبدلا من ذلك، اختار الشعراء المغاربة سبيلا آخر. لقد اختاروا الانتماء إلى النص، بما هو انكتاب بدرجة أولى وليست مجرد كتابة تعبيرية أو دلالية أو جمالية، فالانتماء للنص هو ارتماء في أحضان الذات وجعلها تنكتب بموقف فردي يتميز بصوته الخاص، وهو بذلك، يسعى إلى التخلي عن كل التنظيمات التي يمكن أن ينصهر فيها صوته الوحيد. وهو ما يجعل تتبع مسار الشعرية المغربية وإبدالاتها من الشعر الجيلي الجماعي إلى الحساسية الجديدة، في لُباب نظر هذا البحث.

الكلمات المفاتيح:

الشعر الجديد – الحساسية الجديدة – الكتابة - الانكتاب – الجيل – الانتماء.

Abstract:

Moroccan poetry has experienced one of its deepest transformations on the creative and human levels, as it has sought to bring about changes at the furthest levels of belonging. It has tried to struggle with its belonging to time and the environment, and it has tried again to struggle with its social, political, and realistic existence. It has also tried to belong to possibility and destiny, and here it is. He comes into conflict with his only institution. Abandoning writing is, in essence, abandoning collective voices that raise slogans of bloc and defend established positions and principles inspired by Western thinking. Instead, Moroccan poets chose another path. They chose to belong to the text, as it is primarily Inkitab) When the poet is the text (and not just expressive, semantic, or aesthetic writing. Belonging to the text means throwing yourself into the arms of oneself and making it has write with an individual stance that is distinguished by its own voice, and in doing so, It seeks to abandon all arrangements in which its individual voice can be fused. That makes tracing the path of Moroccan poetry and its changes from fron collective generational poetry to the new sensibility, the focus of this research.

Keywords:

New poetry - new sensitivity - writing and Inkitab (When a writer becomes a text (- generation - belonging.

تقديم

لقد ذاع صيت الشعر المعاصر منذ أربعينيات القرن الماضي، بما هو خروج عن المألوف، وعن التيارات الكلاسيكية والرومانسية حينئذ، فاتخاذ خطوته الجريئة في قلب موازين الشعر العربي شكلا ومضمونا متأثرا بالمنجز الغربي الحداثي ومنطلقاته الفكرية والحضارية الجديدة، وذلك في جو يسوده الصراع الدائم بين ثنائية الأنا والآخر، والسعي لفهم الحدود الواصلة والفاصلة بينهما خلال عقود من الزمن.

غير أن الشعر الجديد، الراهن (كريم، 2023)، وهو يعلن عن وجوده منذ تسعينيات القرن الماضي ومطلع الألفية الثالثة، تجاوز كل التخوم والانتماءات التي خاضت فيها القصيدة الحداثية بالمغرب، بل أصبحت اليوم، قصيدة الحساسية التي ترفض الانصهار داخل يافطات براقة، أو أصوات، أو سلالات شعرية (الزياني، 2015)، وبدل ذلك، تتآلف مع صوتها الخافت وتجابه مآلاتها بموقف فردي، بل تقف أمام العالم والمصير، تارة بصوت النص، الشعر، وتارة بصوت النّاص، الشاعر.

ولم تعد الحاجة للبحث في عشيرة من الشعراء، تحت مصطلح الجيل، أو التيار، أو التنظيم.. وبيان خصائصها التي تسري على جماعة من الأصوات، بل ثمة اليوم ضرورة الالتفات إلى كل صوت شعري في معزل عن غيره، ما دام الشعراء الجدد لا ينتمون إلا لنصوصهم، بما هو انكتاب بدرجة أولى، وليس مجرد كتابة، وهو الإشكال الذي يطرح نفسه، ويردده صوت الشاعر الحميمي، أي انتماء لي، غير النص!

لكل ذلك، تسعى الدراسة - بالنظر إلى المسار التاريخي والمقاربة التحليلية - إلى طرح السؤال ذاته، في محاولة للاقتراب من هذا الإبدال الجديد في الشعرية المغربية الراهنة، ومن فهم التصورات التي تحيا بها القصيدة الجديدة في ألفيتنا الثالثة وقد منحها الشاعر وجوده الكامل، إلى درجة يكون فيها هو الشعر والنص، حيث سنقف عند ثلاثة مداخل أساسية:

إبدال النظر في الشعر الجديد من اختيار مفهوم الجيل منطلقا للتحليل، إلى مفهوم الفرد.

الانتماء للنص، والتخلي عن منفى الجماعات والتنظيمات واليافطات البارزة، بما هو تحول من الحداثة، إلى الحساسية الجديدة التي تمنح لكل صوت جمالياته.

تجريب الشاعر أن يكون نصا، أن يكون منكتبا، بدل أن يكون كاتبا، مما يعكس حجم التآلف بين النص والنّاص.

ولعل هذه المداخل، تفتح حدود التأويل، مع الاستناد على الدراسات السابقة التي عبدت الطريق للمنطلق الجديد، سيما ما ارتبط منها بتناول قضايا الشعر المغربي في علاقته بمفهوم الحساسية الجديدة خلال سنوات التسعينيات والألفية الثالثة.

1- يافطة الجيل، أو كتابة الجماعة

لا يخفى هذا التاريخ الشعري عن المشهد العربي عموما، بكل مسبباته السياسية والاقتصادية والاجتماعية والتاريخية، والتجربة الإنسانية العامرة بالتفجع والإحساس بالغربة، بالموت والحياة والأمل واليأس والوطن والمنفى.. موضوعات تعكس تصور الشعر للواقع والمصير وتترجم حياة الشعراء الإبداعية والفكرية والوجدانية، إذ كانوا يرون أن التعبير بصوت الشعر المتحرر من قيوده، وإن لم يكن تحررا مطلقا، كان ضرورة حتمية نابعة من الذات ومحيطها.

ولقد دعا الوضع حينئذ، في منتصف القرن الماضي، للبحث عن شكل جديد يعبر عن مضامين جديدة، ورأوا أنه من غير الطبيعي أن ينشد الشاعر أشعار الحرية مثلا، في قالب مقيد، وشكل تحدده الأنماط القديمة التي تكبح جماح القول الشعري، ورحابة الرؤيا واتساع الآفاق. والمتأمل اليوم للأوضاع الشعرية في تلك الفترة، يجدها ملحمية وبطولية، بحيث استطاع الشعراء أن يفجروا القوالب المسكوكة، ويخلقون شكلا جديدا في بنيته الداخلية والخارجية، سواء في اللفظ أو في الإيقاع والصورة والأسلوب والقول المرفق بالانفعالات، وهذا الشكل ثمرة جهود متواصلة لجيل من الشعراء (المجاطي، 2002)، بعدما تسرب في أذهانهم الإحساس بضرورة تغيير الأوضاع المجتمعية ورسم صورة الأنا العربية كقضية جوهرية، سيما بعد النكبة الفلسطينية التي مثلت هزيمة للوطن العربي، وليس لفلسطين وحدها.

إن ما ميز هذا الشعر، دفاعه عن قضاياه دفاعا جماعيا، فلم تكن التصورات الفردية قائمة في التعبير وحده، بل إن الرغبة الجامحة في الخروج من وقر التقليد هي رغبة جيل كامل، أو رغبة أجيال تتعايش للهاجس نفسه (السرغيني، 1990) وليس من منطلق فردي يتحكم في مساره المعنوي والمادي. فعملية الخلق التي أثارها الشعر المعاصر نابعة من الجذور الاجتماعية والتاريخية الكبرى التي يسير وفقها النظام، مما ولد في نفوس الشعراء تلك الاندفاعة الجماعية نحو تبني رؤى خاصة، والنزعة إلى الواقع والحنين إلى الاستقلال والنفور من الجاهز (الملائكة، 1962).

وبالتالي، نملك أن نقول، من جهة أخرى، الكتابة الشعرية في فترة الأجيال محاورة لمواضيع مشتركة في الإنساني والاجتماعي والسياسي، هي نفس المواضيع المحملة بآهات الشعراء وشكواهم ونشدانهم لتبديل الأنماط وتعديلها والخروج بأفق حالم في الشعر العربي والمغربي على الأخص. صحيح أننا نجد من تناول المضامين ذاتها في فترات إبداعية سابقة للحداثة، مثل الذات والحب والوطن والهوية والموت والانتصار والهزيمة والانكسار والحياة والأمل والأحلام والمصير.. غير أن الجلي، في شعر الجيل، ذلك الصوت الذي يتردد من نص لآخر، صوت الفجيعة التي تتحكم في موقف الأفراد حتى يلتحم بعضهم ببعض دفاعا عن القضية من داخل انتماءات فكرية وإبداعية واضحة. ثم ذلك الشكل المتشابه الذي يضمد آهاتهم ويسعف دفقاتهم الشعورية المحملة بالصراخ.

وعلى ذلك، نعتقد أن الكتابة الشعرية الجيلية، كتابة انتماء، مبدئيا، إلى نوع، فجيل، فتيار، فحركة شعرية تتآلف فيها النصوص دفاعا عن قضاياها الإبداعية والمجتمعية، بحيث يمكن أن نلمح اتحاد أصحاب هذا الاتجاه جماليا، وليس فقط موضوعاتيا وشكليا. علما أن الشكل اتسم بالطابع الأحادي، واعتد بالتفعيلة، وهو ما يسبغ على النص الشعري جو النمط الوحيد، حتى وإن كان قائما على فكرة الحرية والانطلاق بلا قيد نشدانا للسراح الوجودي والرمزي.

كما أن الذات الشاعرة تلقى في أحضان جيل بانتماءاته الفكرية والثقافية ومنطلقاته الحضارية، لا في أحضان النص، فالذات التي تكتب كانت صوتا للجيل بحمولاته وجوانبه الكاملة، إنها تعبر عن موقفها داخل موقف جماعي من الشعور بالغربة أو بالأسى أو بالمنفى، ولم تستطع الانفلات من فكرة البحث عن المعنى من داخل العشيرة الرمزية المتمثلة في الخصائص الإبداعية التي يتشاركون في توظيفها والتعبير بها؛ ذلك ما يجعل الكتابة بروح واحدة. ولا تفتأ الأصوات الشعرية تسير جنبا إلى جنب كسلسلة متماسكة ومترابطة، تشد الحلقة الأخرى في التحام، مع أن ذلك لا يعني أن أصحاب هذا الاتجاه بالمغرب لم يحاولوا الانفلات بمواقفهم الفردية، لكنه كان من داخل منظومة جماعية تؤمن بالقدرة على اقتلاع النظام الشعري القديم على مستوى الإنتاج والتلقي، فلم تقدم للشعراء ما كانوا يطمحون إليه، بما يكفي من كسر القوالب الداخلية للنص تعبيرا عن الرغبة في كسر القوالب النمطية التي يعيشونها في المجتمع ومآسيه، وظلت، مع ذلك، آفاق رؤاهم، آفاقا مسدودة.

فلا تخرج كتابات الجيل، عن النظام الواحد والوحيد، وإن كانت من صميم الحداثة التي تدعو إلى الخلق المستمر وتتبنى مبدأ التجاوز بوعي وتحطيم النمط ومنح العقل سلطته الكاملة، لكنها تظل نظاما واحدا، استطاع أن يضم شعراء العالم، ويدافعون عن قيمه ويحيون بها، معتقدين أنها وسيلتهم الجديدة للتفكير والتعبير، أو أنهم رأوا فيها خلاصهم وأحلامهم من وقر التاريخ القديم الذي أعاد نفسه.

ألا تكون الحداثة بهذا المعنى، بما هي أفكار بسطت سلطتها على الإنتاج الشعري العربي، ووحدت أشكاله التعبيرية، وصارت يافطة بارزة يلتف حولها عدد من شعراء العالم، ألا تكون نوعا من الإمبريالية الثقافية (أدونيس، 1978)، باعتبارها مجموعة من الوسائل التي تمكن من إدخال مجتمع ما في إطار النظام العالمي الحديث؟ بحيث يكون الشعراء لا ينتمون بالضرورة إلى ماضيهم الشعري، إنما يقتصرون على الانتماءات الحضارية الجديدة، والمبادئ التي وحدت تفكيرهم وإبراز أصواتهم؟

مع أنه يصعب التخلي عن ماضوية الماضي، وعن حضوره أيضا، ولا نملك طريقة عادلة لحجر الماضي عن الحاضر. إنهما متفاعمان، كل يشي بالآخر ويوحي به، فإن كلا منهما يتعايش مع الآخر (إدوارد، 2014)، وحتى إذا انصهر الشعراء في موجة الحداثة، فإن ذلك لا يمكن أن يكون قطعا مع تاريخية المسار ولا مع خصوصية القومية العربية والمواقف الفردية.

لقد اهتم شعراء الأجيال بالكتابة منذ ستينيات القرن الماضي، وصاغوها لتعبر عن موضوعات الحضارة والمجتمع، وقضايا الجيل والمصير، وكان ذلك بصوت جهوري واحد، فالشعر التفعيلي بالمغرب حينها تأوه بلغة صارخة وصاخبة، وقلما نجد صوتا مهموسا يحاول أن يخرج عن انتماءاته من الداخل، إنما اعتنى بالصراخ تعبيرا عن أحواله وأحوال الجماعة، شعريا وإنسانيا، بل اتحدت لغة الشعر المعاصر جهوريا، باتحاد أصوات الشعراء أنفسهم من خلال التكثيف والترميز أحيانا، والوضوح والتقرير أحيانا أخرى.

على هذا الأساس، إذا تأملنا في ضروب الشعر المعاصر، من محمد السرغيني إلى أحمد المجاطي ومحمد بنيس ومالكة العاصمي ومحمد الخمار الكنوني وغيرهم، ولا سيما في أثناء العقدين الأولين من تاريخ الحداثة الشعرية المغربية، نجد أن صوت الكتابة الجماعية كان أهم من صوت الذات وتفردها. إنها حالة الكتابة التي لجأ إليها شعراء الحداثة كأبرز يافطة تضم أرواحهم داخل جسدها، هي حالة من

اللجوء الجماعي لمبادئ جديدة تمثل إبدالا لما كان سائدا وجاهزا، هو رد الفعل على المستهلك الماضوي، ورد الفعل على الذات نفسها وإحساس غربتها وإشكالاتها وعلاقاتها الإنسية والحضارية مع المؤسسات والمدن والشوارع والأحلام والممكنات والآفاق..

2- بداية التفكك، من منفى الجيل إلى وطن النص

عند ثمانينيات القرن الماضي، بدأت إرهاصات أخرى توحي بوضع الذات المغربية في محط التأمل والاختبار، والمحاولة في تبني الاختلاف والخروج بشكل ومضمون مغاير، سيما أنها الفترة التي أقبل فيها بعض الشعراء المغاربة على قصيدة النثر، وكانت الضرورة ماسة إلى إعادة تدوير المنطلقات ورسم طريق جديد، بدءا من الذات ومضاعفاتها وقرائنها، على مركزيتها، رغم ما تتسم به من اختلاف في التجربة الثمانينية (بوسريف، 1998).

إن العودة إلى الذات هي عودة إلى النص وأحضانه، وشاعر الذات إبداعي، يتوسم شكلا شعريا ويتحفز بماء النص (الشليح، 2013)، ولا تعني الكتابة التي تنطلق من الذات أنها مجرد استنطاق لمكنوناتها، إنما ينظر إليها الآن ذاتا كونية، تتآلف وتتباين فيها جوانب متعددة في المشترك الإنساني. فكانت هذه الفترة فاتحة للخروج الجديد من الانتماء للجماعة الشعرية ومبادئها العامة، إلى مبادئ فردية وخاصة لا تؤمن بفكرة المجايلة، بل إنها اختبار للذات المغربية أمام تجاوز مفهوم الجيل (الشليح، 2013)، على الرغم من أن الناقد والشاعر صلاح بوسريف، وهو من شعراء هذه الفترة البارزين، اعتبر التجييل ضروريا، ولا بد منه وإن كان تصنيفا معياريا ليس إلا (بوسريف، 1998).

بدأ الشعراء المغاربة في تلك الحقبة، وبالتحديد في مطلع التسعينيات بصراع من نوع آخر، يقوم على تشكيل هوية جديدة تستكين لها رغبتهم في الانتماء الوجودي، واستجابة للمنطلقات الحضارية المنبثقة عن وعي آخر بالذات والكون، وهو ما منحهم حق الوقوف أمام التصورات الجاهزة، وأمام الجماعات، وأمام اليافطات البارزة، وأمام الكتابة ذاتها. فمهما حاول الكاتب أن يكون موضوعيا في موقفه، بل في كتابته، فإنه لن يستطيع التخلص من الإحساس بأنه كائن يتأمل ويحس، ويتألم، ويصارع المؤسسة، بما في ذلك المؤسسة التي ينتمي إليها: مؤسسة الكتابة. (القمري، 1996) لقد عاش الشعر المغربي إحدى أعمق تحولاته على المستوى الإبداعي والإنساني معا، إذ سعى إلى أن يحدث تغييرا في أبعد مستويات الانتماء، فقد جرب أن يصارع انتماءه إلى الزمن والبيئة، وجرب مرة أخرى أن يصارع

وجوده الاجتماعي والسياسي والواقعي، كما جرب أن ينتمي إلى الآفاق والآتي والمصير، وصارعها حينما بدت له العتمة والتشظي، وها هو يدخل في صراع مع مؤسسته الوحيدة التي يشكلها بأنفاسه وأنفاس جيله. إن التخلي عن الكتابة هو تخلّ – في جوهره- عن أصوات جماعية ترفع شعارات التكتل والدفاع عن مواضيع ومواقف تعكس صوت الجماعة أكثر من صوت الفرد.

وبدلا من ذلك، اختار الشعراء المغاربة سبيلا آخر بعدما اعترضتهم الطرق المسدودة، لقد اختاروا الانتماء إلى النص، بما هو انكتاب بدرجة أولى وليست مجرد كتابة تعبيرية أو دلالية أو جمالية، فالانتماء للنص هو ارتماء في أحضان الذات وجعلها تنكتب بموقف فردي يتميز بصوته الخاص، وهو بذلك، يسعى إلى التخلي عن كل التنظيمات التي يمكن أن ينصهر فيها صوته الفردي، اللغة، الأسلوب، رؤيته للوجود والأشياء، مما يعكس الرفض من الداخل لكل المؤسسات واليافطات والشعارات البراقة التي تسعى إلى توحيد صوت الأفراد في صوت جيل، أو تنظيم.

إن النظر إلى شعر الحساسية الجديدة بالمغرب، سيما إلى الأصوات التي علت في التسعينيات أمثال ياسين عدنان ونبيل منصر وعبد اللطيف الوراري ومحمد بشكار ووداد بنموسى وإكرام عبدي.. والشعراء الذين برزوا خلال الألفية الثالثة، من قبيل مصطفى ملح والمعتمد الخراز وإدريس أشهبون وعبد الهادي الروضي ونعيمة فنو وليلى بارع والبتول محجوبي.. يوحي على أن هؤلاء يؤمنون بضرورة التأمل من الداخل وفتح الآفاق للصوت الفردي، فيشكل كل صوت معمار فهمه الخاص بالكون في صورة كونية، لكنهم يختلفون في طريقة بحثهم عن هذا المعنى التائه، ولا يكادون يتفقون على سبيل وحيد أو مبادئ بعينها تمكنهم من الاشتغال داخل إطار أو تنظيم أو مؤسسة أو نظرية، سواء في اللغة أو في الشكل، أو في النوع، بين تفعيلي وقصيدة النثر، بل إنهم في المقابل، يرون في النص خلاصهم ويتآلفون معه إلى حد الانكتاب، لا الكتابة وحدها، فالشاعر الذي يكتب النص، يكتبه النص في عملية إبداعية مركبة، وإلا لن يكون هذا التمايز الجمالي المفرط الخاص بشاعر عن غيره، وبالتالي ننظر إلى الشعر، من مبدإ أن كل شيء يشبه كل شيء بجهة من الجهات، ويختلف معه بجهة من الجهات (مفتاح، 2010). باعتباره مشتركا إنسانيا بدرجة أولى، ثم باعتبار التآلف بين الإنساني والنصي بدرجة ثانية، إضافة إلى الرؤيا الفردية التي تتسم بها جمالية صوت شعري جديد عن غيره من الأصوات الأخرى وجمالياتها.

هذه الجماليات المختلفة في المشهد الشعري المغربي في تجربتها الجديدة، والتي هي في نظري، حالة من الرغبة في تحطيم مفهوم النموذج والتخلي عن السير معه جنبا إلى جنب كما كان رائجا في فترات أخرى سالفة وسمت الشعرية المغربية. وهي أيضا، حالة من المطاردة الدائمة للفهم والتآلف مع الكينونة الفردية وإدراك الذات والعالم والموجودات إنسانيا وإبداعيا، وهذا ما يؤكد التنوع الكبير الحاصل في مستويات الإنتاج الإبداعي المتعدد بتعدد أصحابه، مما يضعنا أمام تساؤل جوهري:

من يكتب الآخر، الشاعر أم الذات؟ أم النص؟

3- الكاتب مكتوبا

هذه الثنائية ليست غريبة بالكامل، سبق أن ناقش رينيه ويليك الموضوع نفسه من جهة النقد، متسائلا ما إذا كان يستطيع أن يكون الشاعر ناقدا، أو الناقد شاعرا (ويليك، 1987) ، غير أننا نتساءل، في ظل تحول مبدأ الكتابة بيد النَّاص، إلى يد النص، وإحساس الشعراء بضرورة التآلف مع النص وحده، فينكتبون معه في صورة من الانتماء الرمزي بما لا يخرج عن الذات التي تسعى أن ترسم طريقها الوحيد وتشكله بأنفاسها الملتهبة بنار الوجود ونار الشعر، نتساءل، إلى أي حد يصبح الشاعر، هو النص نفسه، والنص، يصبح هو الشاعر ذاته، في اتحاد كامل بينهما؟

يمكن أن نقف عند بعض التجارب التي تعكس هذه الحالة الانكتابية الجديدة، بحيث جعل الشعراء من النص خلاصهم الوحيد، وتمردوا على اليافطات الخارجية، بما فيها الجماعة والجيل والتنظيمات الفكرية أو السياسية أو غيرها، إنما يواجهون العالم بموقف خاص، مزودين بالنصوص، والنصوص ذاتها، تعتد بالشعراء.

وإذ أعرض هنا بعض النماذج فإن هذا لا يعني أننا ننطلق منها لبيان آليات الخطاب الشعري التي تتميز بها تجربة هؤلاء، فلا يمكننا حصرهم جميعهم في خانة واحدة، إنما نحاول أن نقارب هذا الشعور بالفردية الذي تلتف حوله أصواتهم. كما لا يعني اقتصارنا على نماذج محددة، أننا نمارس دكتاتورية الانتقاء، بتعبير الناقد بشير القمري، إنما نعرض حالة من العام، من خلال بعض الخاص، أما الأسماء الشعرية المغربية كثيرة الانبثاق في التجربة الجديدة.

ولننظر في ديوان رقصة الطائر البحري للشاعر المعتمد الخراز، وهو يحاول أن يلجأ إلى الشعر باعتباره تآلفا بين الناص والنص، في عملية بين الكتابة والانكتاب، فحينا يكون الشاعر كاتبا، وحينا يكون مكتوبا، يقول في نص "سفر":

أتأبَّطُ حَرفي
وأَمْشِي،
دليلي رُؤاي
وخَطْوي
تُوَزِّعُه الرِّيحُ
فِي شُرُفَاتِ الكَلامْ. (الخراز، 2017)

إن الشاعر في سفر الاكتشاف يكتب النص، كتابة السؤال الذي لا جواب قطعي له، تتعدد المعاني تعدد الكلام، غير أن الشاعر يبين حالة من التمازج بينه، هو الناص، وبين حرفه، هو النص. في هذا المقطع يظهر الشاعر كاتبا، بدرجة أولى، حاملا لهموم الكتابة، ويتنفس بها، كما يدله المجاز إلى اللانهائي. وهما معا، الناص والنص، وجهان لعملة واحدة، تسعى إلى البحث الدائم والمتواصل عن فهم للوجود الإنساني والانعتاق من التيه، علما أن المقطع، يرسم في ذهن المتلقي صورة الشاعر وهو يحمل حرفه ماشيا برؤاه باحثا عن معنى. ولا غرابة، ما دمنا في عصر الصورة، بما هي منطلق جديد أيضا أخذ مساحته من التفكير الإنساني في عصرنا، بل من المنجز الأدبي والفني، والخطابات الذرائعية المختلفة، لا غرابة في أن يرسم الشاعر صورة له ولحرفه متفاعمان، بما أن عالم الصورة، عالم حاشد بالمعاني والأبعاد والدلالات والاحتمالات (شاكر، 2005) هذه الصورة الذهنية التي تولّد لدى المتلقي أكثر من فهم، لكنها بالأساس تُظهر أن الشاعر يعلن نفسه كاتبا لنصه، ويحمله في الآن نفسه، بين يديه، كلاهما ينتمي للآخر، وكلاهما يشكل هوية للآخر.

غير أن هذه الحالة التعبيرية تبدو معكوسة، في مقطع من قصيدة أخرى في الديوان نفسه، حيث تخلى الشاعر عن الكتابة، وصار مكتوبا. بل أصبح هو النص، في مشهد شعري يبين التآلف بينهما إلى أقصى حد، إلى درجة وصلت معها هذه الرغبة في تشكيل الصوت الفردي إلى "موت العنوان" (كريم، الشعر المغربي في الألفية الثالثة: من ظنون الفهم إلى يقين المتاه، 2024).

يتضح لنا الأمر جليا بالوقوف عند هذا المقطع من نص جاء عنوانه بنقاط متتالية تبين عدم رغبة الشاعر في تسمية نصه أو تعيينه بحرف، ذلك لأنه أصبح هو النص نفسه:

.....

لن أسميكِ

لكني سأسمِّي نفسي القصيدةْ (الخراز، 2017)

هكذا، ينكتب الشعراء إلى أقصى حد، فلا عنوان للنص، النص هو الشاعر نفسه، ولا عنوان للناص، فالناص هو القصيدة ذاتها. إنها صورة للانصهار المطلق بين الشاعر والقصيدة، وكلاهما ناص ونص، وكلاهما عنوان للآخر يراهن على خلخلة أفق الانتظار التقليدي المعتاد الذي يتعامل مع العناوين بشكل مدرسي أو ذوقي معلب، ويلقي بنا في تضاريس الغرابة والمفاجأة والأسطرة. هو ما ينتج التنوع في الخلق والتكوين النصي. (القمري، شعرية النص الشعري الجديد بالمغرب: نحو نظرية تفاعلية في فهم علاقة قراءة وتلقي الشعر، 1992)

ولذلك، نراهن في الشعر الجديد بالمغرب، على أنه أصوات متعددة، ولا يمكن أن تتآلف أصواتهم داخل تنظيم شعري، ولا داخل نص أوحد، بل كل يتبنى موقفه الخاص ويدافع عنه. هذه الكتابة التي تنطلق من الذات لتصل المواقف الكونية وما يرتبط بها على مستويات عديدة، كما كتب الشعراء القصيدة، اليوم تكتبهم قصائدهم، وتمنحهم حق الانغماس في ذاتها، لغتها ورؤاها وعمليات الخلق والتكوين والتشكل والبحث الدائم عن الإدراك والفهم والمعنى. فنجد كل شاعر يتغنى بصوته الخاص، وهو صوت النص المتفرد المختلف عن نصوص معاصريه باعتباره كائنا يحيا حياته الوحيدة.

يعود الشاعر المعتمد إلى صوته، الملاذ الوحيد من الغرابة والتيه، بحيث يشكل الصوت الفردي اليوم، معنى من معاني الوجود الإنساني الذي يمكن أن يستكين له الشعراء، أو على الأقل، يستريحون به.

يقول في نص، صوت المسافر:

تائهٌ

غريبٌ

أنا

مُسافرٌ إلى صَوْتي (الخراز، 2017)

لا يدع الشاعر اليوم فتقا بسيطا بينه وبين صوته، وقد أصبحت الغرابة والتيه، من صميم الإحساس بالبعد عن الصوت الفردي للشاعر الذي يمثله النص، باعتباره الملاذ الوحيد من منفى غرابة الانتماء والهوية الدائم، وقد نتمثل هذا المقطع الشعري من زاويتين لتتضح الرؤيا التي يحاول الشاعر أن يحيا بها كاتبا ومكتوبا، وفق شبكة علائقية نوردها كالآتي:

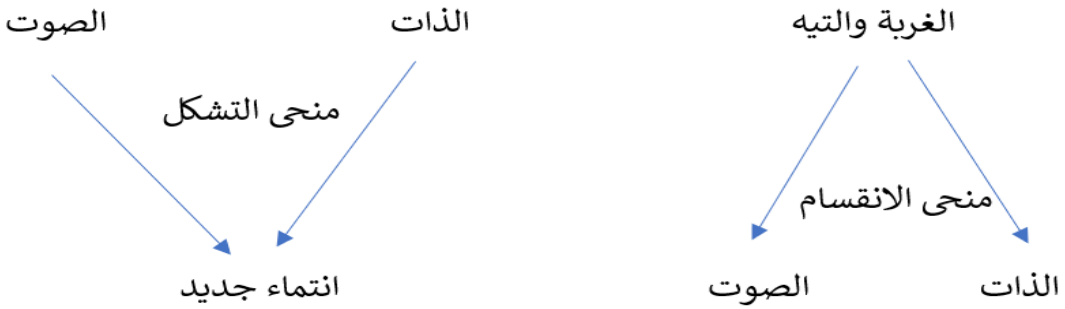

نفهم من هذا المثلث العلائقي الأول، الذي يمثل حالة انقسام، أن أي انشطار بين الذات والنص/ الصوت، تحكمه غربة وجودية جديدة، وتنظر إليه من الأعلى، ما دام الفرد رافضا لأية يافطة بارزة تحتضنه غير صوته المكتوب بماء قلبه، والمنكتب بأنفاس نصه، في حين يكون التآلف بين الصوت/النص والذات، متمثلا في المثلث الثاني، تشكيلا لانتماء جديد يمنح الشاعر حق التعبير والتفكير في مواقفه الفردية التي تمثله ذاتا واحدة ووحيدة، وبذلك تنحدر مستويات الإحساس بالغربة واللاانتماء، لكن يظل الصوت الفردي الممثل للقاعدة، باعتبارها المنطلق الأساس.

وفي حالة أخرى تبين مدى رغبة الشعراء في العودة إلى النص، بل في انكتابهم معه من جديد سواء بشكل رمزي، معنوي مجرد، أو بشكل ملموس من خلال الفعل بالقوة كما يتضح ذلك بالنظر إلى منجز الشاعر مصطفى مَلَح.

لقد عاد الشاعر إلى نصوصه المنشورة في عام 2017 ضمن ديوان "أجراس بعيدة" ليمنحها حياة جديدة، وتمنحه انتماء فكريا وثقافيا ووجوديا ظل ينشده طويلا، فهو لم يكتف بضرورة الانكتاب من الداخل، من خلال تبادل الدور بين النص والناص، إنما سعى إلى ذلك انطلاقا من البنية الخارجية،

واعتمد على إعادة ضبط نصوص منشورة من خلال تغيير عناوينها ورسمها وشكلها، لما لذلك من أثر في مسألة ترتبط بالهوية من جانبي الشاعر ونصه.

ونحن نطلع على المنجز الشعري للشاعر مصطفى مَلَح، وقفنا على ديوانين يجمعهما رابط مشترك، نزعم أنه رابط ملموس أكثر من مجرد، تَمثُّل في احتضانهما لبعض النصوص المكررة، لكن بعناوين مختلفة وشكل مختلف. هما ديوان "أجراس بعيدة" و "أقدام على الحافة". علما أن "أجراس بعيدة" نشر في طبعته الأولى عام 2017، فيما نشر "أقدام على الحافة" سنة 2023، مما يظهر فارقا زمنيا مهما، نحاول عبره أن نتبين حالتي الكتابة والانكتاب التي تتملك الشاعر، ولنبدأ بالعنوان.

إن النظر في عناوين هذه النصوص، هو بدرجة أولى تأمل في أحوال الكتابة، التي يكون فيها الشاعر ناصا، قادرا على خلق النص وتأثيثه، وذلك ما تبينه عملية الكتابة في عناوين نصوص الديوان الأول (أجراس بعيدة)، وهو بدرجة ثانية، تأمل في أحوال الانكتاب، التي يكون فيها الشاعر مكتوبا، هو النص، مخلوق من يد المعنى، ومصنوع من الحرف، وهو ما تظهره عملية الانكتاب في عناوين نصوص الديوان الثاني (أقدام على الحافة).

ولنأخذ مثالا على ذلك، النص نفسه، نشر في أجراس بعيدة بعنوان "كينونة" (ملح، 2017)، وفي ديوان آخر بعنوان "الكائن المنسوج من عدم" (ملح، أقدام على الحافة، 2023). ولا نظن أن هذا الاختيار جاء عشوائيا بعد ما يزيد على ست سنوات زمنا فارقا بين نشره في الديوان الأول وبين إعادة ضبطه في الديوان الثاني. فالكينونة، باعتبار الدلالة، حاول الشاعر أن يتمثلها كمفهوم ويضع تصوراته الإبداعية لحالة إنسانية وتجربة شخصية يحيا بها، أما الكائن المنسوج من عدم، هو تعبير صريح على التوتر الأقصى الذي بلغه الشاعر متأملا في حالات انتماءاته، لا هو كينونة الآن، بل كائن مصنوع من اللاشيء، في تعبير على الرفض والتجاوز لكل انتماء وجودي أو فكري أو رمزي، إلا للنص، وهو ما يمثل حالة العودة وتدويره من جديد، وذلك في الأصل، تدوير وصناعة وخلق جديد، للذات، للناص، عبر النص.

ثانيا، من حيث الشكل، فقد غير في بنيته، مع أنه حافظ على ألفاظه ومعانيه، إنما شتته، وكسر تكتله واتحاده حين عملية الكتابة الأولى، إلى التشظي، والتجزيء حين عملية الكتابة الثانية، وهو تجزيء يبلغ مدى رغبة الشاعر في الانشطار والانقسام والتعبير بصوت فردي، فانطلق من قصيدته، عائدا

إليها، مع أنها عودة لا ترمي إلى الكتابة وحدها، بل إلى الانكتاب أيضا، وهو ما يفسر، إعادة توزيع شكل النص الذي كان في النشر الأول، يهيمن فيه السواد الكبار (مفتاح، مدخل لقراءة النص الشعري، 1997) ، ويقل فيه البياض، وهذا مقطع من النص كما وضعه الشاعر، نستدل به لبيان صحة الفرضية:

قَمَرٌ يُلَوِّحُ لي ونجماتٌ تحرِّضني لأَصعَد. هـل
أغَيِّرُ عشِّيَ الأَرضيَّ؟ هلْ أنْسى وجودي الآدميَّ
وأسْتعيرُ عباءةً نجميَّة؟.. لكنَّ كفَّ الغابــةِ
الخضراءِ تدفعني لأمضيَ في طريقي. أتركُ القمرَ
المرحِّبَ بي وأمضي نحو منحدرٍ. أرى عريـاً
لجسمِ يمامةٍ، وأَرى بجانبها جسد الرَّصاصــةِ
بلَّلَتهُ أصابع القناص. أجمعُ كومةَ الأَعشـابِ من
حولي وأَدفِنُ ما تبقى من هَديلٍ ذابلٍ، وأَعــودُ
بعدئذٍ إلى مساري ضاحكا كالفَجْر، تحملنــي
السَّلاليم السريعة عاليا، يصطادني القمرُ الحبيبُ،
يُنيمني في حضنه القمريَّ، ثم أصير جزْءاً منه، ثم
أخونهُ، فأصيرُ بعدئذٍ أنا القمرَ الوحيدَ: قصيـدةً
ضوئيَّةُ مرفوعةً فوقَ الغيومِ بلا عمــدْ (ملح، أجراس بعيدة، 2017)

يبين شكل الكتابة، دون مضمونها، أن الشاعر ينتظم إلى كتابة مضبوطة ومتناغمة من حيث الأسطر الشعرية، يراعي فيها الشاعر هيمنة السواد على البياض، بحيث لا تقل كلمات سطر واحد عن ست كلمات، وهو ما فسره الناقد محمد مفتاح بالسواد الكبار، أي أن عملية الكتابة، بما هي فعل، هيمنت على عملية الانكتاب التي تضع في اعتباراتها الأساس ترك مساحة أكبر من البياض تُكتب فيها ذات الشاعر، وهو ما تميز به الديوان السابق للشاعر المعتمد الخراز.

ولكن إذا نظرنا في الشكل الجديد الذي وضعه مصطفى ملح في ديوانه الثاني الحامل لنفس النص، يتجلى هذا الاختلاف الحاصل بين مستويات الكتابة والانكتاب، كما يبين هيمنة البياض على السواد في عدد من الأسطر الشعرية.

ونحن بذلك نورد المقطع نفسه من النص كما يلي:

قَمَرٌ يُلَوِّحُ لي.

ونجماتٌ تحرِّضني لأَصعَد..

هل أغَيِّرُ عشِّيَ الأَرضيَّ؟

هلْ أنْسى وجودي الآدميَّ وأسْتعيرُ عباءةً نجميَّة؟

لكنَّ كفَّ الغابةِ الخضراءِ تدفعني لأمضيَ في طريقي،

أتركُ القمرَ المرحِّبَ بي وأمضي نحو منحدرٍ،

أرى عرياً لجسمِ يمامةٍ،

وأَرى بجانبها جسد الرَّصاصةِ بلَّلَتهُ أصابع القناصِ.

أجمعُ كومةَ الأَعشابِ من حولي،

وأَدفِنُ ما تبقى من هَديلٍ ذابلٍ،

وأَعودُ بعدئذٍ إلى مساري ضاحكا كالفَجْر،

يصطادني القمرُ الحبيبُ،

يُنيمني في حضنه القمريَّ،

ثم أصير جزْءاً منه،

ثم أخبو، فأصيرُ بعدئذٍ أنا القمرَ الوحيدَ:

قصيدةً ضوئيَّةُ

مرفوعةً فوقَ الغيومِ بلا عمدْ (ملح، أقدام على الحافة، 2023)

لقد فتح الشاعر لذاته مساحة أخرى في هذا النص، كأنه تأوه، بعد مسافة طويلة من البحث عن المعنى، عن هوية أو دلالة وجودية عميقة، ولا يكون البياض مجرد فراغ في النص، إنما المساحة ذاتها التي يُخلق/يُكتب فيها الناص.

كما أن المضمون، لا يعدو عن هذا المنحى، فقول الشاعر صريح في نهاية المقطع، بكونه قصيدة وحيدة، ضوئية، وفجرا لذاته، نازعا عنه كل انتماء، إلا للقصيدة.

إن الانكتاب الشعري بين الناص والنص يكاد يكون ظاهرة في تجربة الحساسية الجديدة بالمغرب، يحضر الذهن ويمتلك الجوارح والرؤى، ولا يخلو نص من هذا التمازج بين حالتي الكتابة والانكتاب، ليس تناقضا وجدانيا ولا إنسانيا، إنما رغبة في الاكتمال والائتلاف من الداخل بين الشاعر وقصيدته، بين الكاتب والمكتوب. ولننظر في هذا المقطع الشعري الذي يعبر فيه مصطفى ملح عن كتابته وتشكيله للمعنى، يقول:

أكرهُ أن يَعيش بكوكبٍ قمرانِ،

وَحْدي في سَماواتِي أُقشّرُ بَيضَةَ المَعْنَى، (ملح، أقدام على الحافة، 2023)

تتجلى فكرة التفرد والخلق، فالشاعر إله نصه، يخلق معناه وحيدا، حسب إمكانات الفهم التي تسعفه، والمبادئ التي يعتنقها، والإدراك للمواقف في صورته الكونية ومجابهتها بشكل خاص، لا جماعي إطلاقا، ولذلك؛ كثيرا ما يردد الشاعر لفظة، وحدي، متفردا بصوته وحساسيته وجماليات نصه، ولا رغبة له في انتماء آخر، إلا للمعنى، ولذاته. غير أن هذه الحالة الكتابية لن تدوم طويلا، بل يعود ويمنح النص حق تشكيل الشاعر وولادته، ويجعل المتلقي ينظر بطريقة معكوسة حتى لا يدرك أي منهما يكتب الآخر، الناص أم النص، يقول الشاعر:

وأَجبْتُ أخيراً:

أنا مصطفى ابنُ القصيدةِ،

آخرُ طفلٍ يقودُ السفينةَ نحوَ المسارِ الصحيحِ، (ملح، أقدام على الحافة، 2023)

يعلن الشاعر ذاته ابن النص، مكتوبا بيد القصيدة التي سعى، بادئ الأمر، أن يكتبها، وهذه رغبة تتجاوز حدود الكتابة، إلى التآلف والتمازج مع اللغة، وما تحمل من إمكان وإبدال، ولإقامة علاقة الحلول بالتعبير الصوفي، والتوحد بالشيء، أو الحلول فيه (الريسوني، 2012). بل هي رغبة ذات، كائنة وممكنة، كائنة لأنها كاتبة من جهة، وممكنة لأنها مكتوبة من جهة أخرى، تختار أن تصير لغة، وليس الأمر بريئا أو هينا في اختيار اللغة: إنه يتضمن مزاجا وإحالات، تكافلا ما، هيئة معينة ووضعا خاصا. انظروا إلي، شاهدوا من أنا (كيليطو، 2009)

بهذا تكون الشعرية المغربية الجديدة في تقدم وتجاوز دائم، ترفض أن ترتبط بجذر واحد ووحيد، وتسعى إلى أن تعدد أصواتها إلى أقصى حد، تولد فيها النصوص من يد الشعراء، ويولد الشعراء من يد القصائد، هي حالة الانتقال الجديد من الجماعي إلى الفردي، ومن الكتابي إلى الانكتابي، وتكاد هذه المسألة تحضر في شتى النصوص الراهنة، على اختلاف مستويات تناولها، وفهمها، وجمالياتها الخاصة والمتفاوتة من صوت إلى صوت.

إن الشعراء المغاربة اليوم، يتفقون على ضرورة الانتماء للشعر وحده، إنها اشتراكية الانتماء إلى هوس الشعر، ولذة الميتافيزيقا وديمقراطية الاكتشاف، وكأن الأمر يتعلق بأطفال تلدهم أمهم باستمرار، ثم يتوزعون كي يعودوا بألسنة مختلفة، لكنهم يجتمعون في حربهم على لغات الشعر. منهم الذي يسبح في الاتجاهات الأربع، ومنهم من يقتحم المغارات، ومنهم من يعشق الاستماع إلى الريح، ومنهم من يخط في الطين، ومنهم من يرحل ولا يعود إلا مدرجا بجروحه... لكن الأجمل فيهم كلهم، هو الإلحاح على الانبثاق، (القمري، شعرية النص الشعري الجديد بالمغرب: نحو نظرية تفاعلية في فهم علاقة قراءة وتلقي الشعر، 1992) والإلحاح على الولادة مرتين، مرة بيد الوجود الإنساني، وأخرى بيد الشعر. وهذا ما اصطلحنا عليه بالانكتاب، بدل الكتابة، في مستوى آخر من مستويات الشعرية المغربية الراهنة، وفي حساسيتها الجديدة المفعمة بالاختلاف.

مصادر ومراجع

- **أحمد المجاطي. (2002).** ظاهرة الشعر الحديث (الإصدار 1). الدار البيضاء: شركة النشر والتوزيع المدارس.
- **أحمد هاشم الريسوني. (2012).** الشعر العربي المعاصر بالمغرب: جدلية الاختلاف والائتلاف (الإصدار 1). اتحاد كتاب المغرب.
- **أدونيس. (1978).** الثابت والمتحول: بحث في الإتباع والإبداع (الإصدار 1). بيروت: دار العودة.
- **المعتمد الخراز. (2017).** رقصة الطائر البحري (الإصدار 1). الرباط: بيت الشعر بالمغرب.
- **أيوب كريم. (13 03, 2023).** ما المقصود بشعر الراهن؟ القدس العربي.
- **أيوب كريم. (2024).** الشعر المغربي في الألفية الثالثة: من ظنون الفهم إلى يقين المتاه (الإصدار 1). فاس: دار عبور.
- **بشير القمري. (1992).** شعرية النص الشعري الجديد بالمغرب: نحو نظرية تفاعلية في فهم علاقة قراءة وتلقي الشعر. الثقافة المغربية (7)، الصفحات 42-47.
- **بشير القمري. (1996).** مسرح الكتابة: شذرات من خطاب أنطلوجي. الآداب (11-12)، الصفحات 8-13.
- **رينيه ويليك. (1987).** مفاهيم نقدية (الإصدار 1). (محمد عصفور، المترجمون) الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.
- **سعيد إدوارد. (2014).** الثقافة والإمبريالية (الإصدار 4). (كمال أبو ديب، المترجمون) بيروت: دار الآداب.
- **صلاح بوسريف. (1998).** المغايرة والاختلاف في الشعر المغربي المعاصر (الإصدار 1). الدار البيضاء: دار الثقافة.
- **عبد الحميد شاكر. (2005).** عصر الصورة: الإيجابيات والسلبيات. عالم المعرفة (311).
- **عبد الفتاح كيليطو. (2009).** بعيدا عن القريب، قريبا من البعيد: بأية لغة نكتب؟ فكر وفن (91)، الصفحات 59-63.

- **فدوى الزياني. (2015).** سبق النهر بخطوة (الإصدار 1). الرباط: مرسم.
- **محمد السرغيني. (12, 1990).** حوار: الشعر المغربي الحديث والمعاصر، تاريخ وقضايا، في ضوء الشهادة والنقد. دراسات سيميائية أدبية لسانية، 4، الصفحات 7-27.
- **محمد مفتاح. (1997).** مدخل لقراءة النص الشعري. فصول (1)، الصفحات 248-267.
- محمد مفتاح. (2010). مفاهيم موسعة لنظرية شعرية: اللغة الموسيقى الحركة (الإصدار 1، المجلد 2). الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.
- **مصطفى الشليح. (2013).** ذلك الشاعر، الناقد. المناهل (95-96)، الصفحات 13-38.
- **مصطفى ملح. (2017).** أجراس بعيدة (الإصدار 1). أسيف.
- **مصطفى ملح. (2023).** أقدام على الحافة (الإصدار 1). مراكش: بيت الشعر.
- **نازك الملائكة. (1962).** قضايا الشعر المعاصر (الإصدار 1). بغداد: مكتبة النهضة.

الإقناع في الخطاب السياسي:
خطاب رئيس الحكومة في البرلمان حول قطاع الثقافة نموذجا

Persuasion in political discourse: Culture issues in the interventions of the head of government in parliament.

الباحثة: مجدولين العلمي

majdouline_elalami@um5.ac.ma

الأستاذ: محمد الداهي

Dahi53mar@gmail.com

الآداب والعلوم الإنسانية

جامعة محمد الخامس بالرباط

المملكة المغربية

الملخص

تستهدف المقالة البحثية، دراسة الآليات الإقناعية، التي استثمرها رئيس الحكومة عزيز أخنوش، في خطابه السياسي، بمعرض الجواب الذي قدمه في الجلسة الشهرية بالبرلمان، يوم الاثنين 31 يناير 2022، إذ خصصها للجواب على أسئلة مرتبطة بالمسألة الثقافية، باعتبارها من أهم محاور السياسة العامة.

وقد ارتكز هذا الخطاب، على كيفية تنظيم المواضيع وترتيبها، لتحقيق أقصى درجات الإقناع، فمن خلال تحليل الأدلة، والحجج، التي استُخدمت لتعزيز قوة الخطاب وجاذبيته، تبين أن رئيس الحكومة حاول استخدام الخطاب السياسي أداةً لإقناع البرلمانيين بصدقية مضامينه.

ويلاحظ كذلك، بأنه حاول في الآن ذاته إقناع النخب المثقفة، بتوجهات الحكومة في هذا المجال. وبالتالي استغلال هذه المناسبة، لاستمالة عدد من المثقفين، وإقناعهم بالإنجازات الحكومية في مجال الثقافة، بغية التصالح مع العمل الحزبي، والعودة إلى الممارسة السياسية الفعلية، عبر بوابة حزب رئيس الحكومة.

بذلك، فإن تحليل الخطاب السياسي موضوع الدراسة، ساهم في تعميق فهم آليات هذا النمط من الخطاب، وتأثيره على الجمهور، كما كشف عن بعض مكامن التفاعل بين السياسة، والثقافة، كما هي في الواقع المغربي.

كلمات مفتاحية : الخطاب السياسي /الخطاب الثقافي / الإقناع

Abstract:

The research article analyzes the persuasive mechanisms used by Prime Minister Aziz Akhannouch in his political speech during the parliamentary session on January 31, 2022, focused on cultural policies. The study examines how the topics were organized and arranged for maximum persuasion and evaluates the evidence and arguments employed to strengthen and appeal to the audience.

Findings indicate that the Prime Minister used his speech to convince parliamentarians of the credibility of his content while also targeting cultural elites among citizens to endorse the government's cultural policies. This strategy aimed to win over cultural experts and highlight the government's achievements in the cultural sector, thereby fostering reconciliation with political work and encouraging a return to active political engagement through the Prime Minister's party. The analysis deepens the understanding of political discourse mechanisms and their impact, revealing interactions between politics and culture in the Moroccan context.

Keywords: Political Discourse/Culture/ Persuasion

مقدمة

اكتست العلاقة بين الثقافة والسياسة في المغرب، عبر تاريخها الطويل، أوجها عديدة، تراوحت بصفة عامة، بين الانفصال، والاتصال. وتعمق النقاش بشأن طبيعة هذه العلاقة، منذ البدايات الأولى

للتنظيمات الحزبية المغربية، ابتداء من سنة 1936؛ إذ تبلور أنذاك الوعي بالمسألة الثقافية في صفوف الحركة الوطنية، وأسفر عن توجهين متقابلين بخصوص العلاقة بين السياسي والثقافي، إذ انتصر التوجه الأول لموقف تسييس الثقافة والأدب، في حين ذهب التوجه الثاني إلى القول بضرورة الفصل بين السياسة والثقافة، انطلاقا من أن مجال كل منهما لا علاقة له بالآخر، فَلِكُلٍّ مجالُهُ الخاص به..**Source spécifiée non valide.**

واستمر الوضع على حاله، خلال الفترة الممتدة بعد حصول المغرب على الاستقلال، حينما عملت أجيال المثقفين خلال عشرية السبعينيات، من القرن الماضي، على الترافع من أجل إيلاء المسألة الثقافية الاهتمام الذي تستحقه، بما في ذلك الجوانب المرتبطة بالوضع المادي والمعرفي. غير أن هذا التوجه في الخطاب طرأت عليه تغييرات ذات أبعاد سلبية اقتربت أحيانا من الانتكاس، والتراجع، إذ ما ميزها هو التركيز على ما له علاقة بالعلم، أو بالمنهج، والمصطلح فقط، ثم بالشهادات العلمية. في هذا الواقع اصطدم المثقَّف شيئا فشيئا، بمظاهر العزوف عن الواجهات الحزبية، بكل مكتسباتها، ومشاكلها، ملتفتا إلى تحسين وضعه الاجتماعي والمعرفي، دونما انخراط في الممارسة السياسية. ما أثر بشكل أو بآخر على منسوب حضور الشأن الثقافي في البرامج الحزبية وأولوياتها. واستمر عزوف الفاعل الثقافي عن الحقل الحزبي، ونفوره من الانخراط في الممارسة السياسية الفعلية، إلى أن وصل الأمر إلى شبه قطيعة بينهما.

هذا الوضع، فرض علينا طرح مجموعة من الأسئلة الموضوعية، أولها، كيف أثرت القطيعة بين المثقفين والأحزاب السياسية، في واقع المسألة الثقافية، وحضورها باعتبارها سياسة عمومية في البرامج الحزبية؟ بمعنى، هل أثر نفور المثقفين من الحياة السياسية على درجة اهتمام الأحزاب بالشأن الثقافي؟ وإذا افترضنا بأن الأحزاب السياسية أصبحت تعيش فراغا بشريا من حيث الاهتمام بالشأن الثقافي، فهل يعني هذا أنها صارت تعاني من خصاص في مواردها البشرية المهتمة بهذا المجال؟ وبالتالي كيف يمكنها صياغة سياساتها الثقافية؟ ومن أين لها أن تحدد أولوياتها فيما تعلق بهذا المحور؟ وفي مثل هذه الحالة، على أي أساس، ستنبني البرنامج الحكومية، في جزئها المتعلق بالشأن الثقافي؟

إذن، في سياق الإجابة على هذه الأسئلة، ومحاولة التأكد من هذه الفرضيات، تتجه هذه المقالة إلى قراءة الخطاب السياسي (الجريدة، 2022، صفحة 9422) لرئيس الحكومة عزيز أخنوش، في الجلسة

الشهرية بالبرلمان، المخصصة للإجابة على الأسئلة المرتبطة بالسياسة العامة، حول قطاع الثقافة. وذلك بالارتكاز على المحاور الآتية:

الإطار المفاهيمي (أولا)، وتحديد عناصر السياق العام (ثانيا)، واستخراج استراتيجيات الإقناع المستخدمة من قبل رئيس الحكومة(ثالثا).

1. الإطار المفاهيمي

استهدف هذا العمل البحثي جملة من المفاهيم المرتبطة بإشكالية البحث، وبمتغيراتها الأساسية، بدءا من "الخطاب السياسي"، ومرورا بـ"الثقافة"، وصولا إلى "الإقناع".

هكذا، تناولت الدراسات الغربية في عمومها، الخطاب السياسي من مقاربات متنوعة، يصعب جردها جميعها نظرا لما يفرضه علينا السياق، وفي المقابل سيتم التركيز على التحليلات المرتبطة بمباحث البلاغة، وتحليل الخطاب، في المدرسة الفرنسية، والتي من خلالها فتحت البلاغة الجديدة La nouvelle rhétorique الباب على مصراعيه أمام الباحثين في مجال تحليل الخطاب، كما أمدته بالأدوات التي تمكنه من تشريح الخطابات بمختلف ألوانها.

بناء على ما سلف، يندرج مصطلح الخطاب ضمن المحاور التي أنتجتها الدارسات اللسانية الحديثة، حيث شهد تداولا كبيرا في مجالات مختلفة، حتى أضحى يملك دلالاته متقاربة. إلا أنه بعد ظهور كتاب فردنان دي سوسور (Ferdinand de saussure)، "محاضرات في اللسانيات العامة"، بدأ يتردد لفظ الخطاب كثيرا بالاقتران بوصف آخر، مثل الخطاب الثقافي والخطاب الصوفي، والسياسي، والاجتماعي، والتاريخي..**Source spécifiée non valide.**

وقد تعددت تعريفاته، وأوصافه، كونه يجمع بين القول والنص، ونجد ميشيل بيشوه (Pêcheux Michel)، في كتابه "Analyse automatique du discours"(التحليل التلقائي للخطاب) (Pêcheux, 1969)، يعتبر الخطاب السياسي جزءً من بنية اجتماعية أوسع، تتضمن العلاقات الطبقية والأيديولوجية. وَوِفقًا لتصوره، لا يمكن فهم الخطاب السياسي بمعزل عن الإيديولوجيا، التي يشكلها ويعبر عنها؛ فهو يركز على الكيفيات التي يعيد بها الخطابُ إنتاجَ الإيديولوجيا السائدة، و على كيفية بناء الذوات الاجتماعية، عبر اللغة. ما يؤدي بطبيعة الحال، إلى تحول الخطاب السياسي، إلى أداة للهيمنة الإيديولوجية والاجتماعية.

أما باخصوص دومينيك ماينغنو(Maingueneau, 1991, pp. 75-50) في كتابه Analyse du " ''discours، فإنه تناول تحليل الخطاب من زاوية السياق، والممارسات الخطابية. ورأى بأن الخطاب السياسي يجب تحليله ضمن سياقه الاجتماعي، والثقافي، والتاريخي، كما أنه تميز باستخدام استراتيجيات بلاغية، وتنظيم معين للنصوص بهدف تحقيق تأثير خاص على الجمهور. وركز ماينغنو أيضًا على كيفية إنتاج الخطاب السياسي، وكيفية تلقيه، مع الأخذ بعين الاعتبار الأطر المرجعية والثقافية للمجتمع.

ويعتبرماينغنو (Dahi, 2020, p. 10)الاسم الأكثر إشعاعاً، والشخصية الأوفر شهرة، سيما مجال تحليل الخطاب، وفق التوجه الفرنسي. لذا ساهمت أعماله على مدى أربعين عاما، في إرساء أسس هذا التخصص، وتوسيع منظوره، مع مراعاة وحدة الخطاب، وتنوعه، وانغلاقه، وانفتاحه، إلى جانب صياغة مفاهيم أخرى، من قبيل "الخطاب المكون"، لتجنب أي مفهوم متماثل لـ "الجمهور" أو "الخطاب" بحيث (يتم تعريف كل خطاب أدبي، أو ديني، أو فلسفي) من خلال طريقته الفريدة في كونه تأسيسيًا ''.

أما باتريك شارودو (Patrick Charaudeau) فقد تبنى منهجًا مختلفًا في مؤلفه "Le discours politique les Masques Du Pouvoir" (Charaudeau, 2005, pp. 120-100) إذ ركز على التحليل السيميولوجي واللساني للخطاب، فهو يرى بأن الخطاب السياسي عبارة عن عملية تواصلية تهدف إلى التأثير في الجمهور، من خلال بناء واقع اجتماعي معين. لذلك نجده اهتم بدور المتحدث والمستمع في عملية التواصل، وعلى الاستراتيجيات التي يستخدمها السياسيون لإقناع الجمهور. وشدد على أهمية السياق، والموقف الاتصالي، في تحليل الخطاب السياسي، مع الاهتمام بالأهداف التي يسعى المتحدث لتحقيقها من خلال خطابه.

وتبعا لذلك، ونتيجة للمقارنة بين رؤى كل من بيشوه ومينغنو وشارودو نستخلص أنهم اعتمدوا مناهج مختلفة لتحليل الخطاب السياسي؛ فبينما ركز بيشوه على الإيديولوجيا ،والبنية الاجتماعية. نجد أن مينغنو أولى أهمية كبرى للسياق، وللممارسات الخطابية. في حين تبنى شارودو نهجًا سيميولوجيًا ولسانيًا، ركز على التفاعل، والتواصل.

أما فيما يتعلق بمفهوم الثقافة، فقد شكل موضوعَ تعاريف متعددة ومختلفة في عديد من العلوم الإنسانية. ويكفي أن نستدل في ذلك على ما تم القيام به في متم فترة الخمسينات، من القرن الماضي، حين تم التمكن من جرد أزيد من مئة وخمسين من التعاريف المختلفة للثقافة المستعملة في الكتب والمراجع الأكاديمية (كرانغ، 2005، صفحة 14). وعلى الرغم من ذلك، وعلاقة بموضوع هذه الدراسة، يمكن الانطلاق مفاهيميا من أن للثقافة عموما معنيان: الأول هو أن "الثقافة هي الكل" الذي يشمل العقائد والعادات والقوانين والرموز التي تتميز بها جماعة بشرية ما، وهي بذلك ترادف مفهوم التراث. أما الثاني هو أن الثقافة هي ما يخالف الطبيعة، أي ما يخلقه الإنسان عن وعي منه، من فكر، وصناعات، وإبداع، وهي بذلك ترادف مفهوم الإبداع، أو الحداثة بصفة عامة.

ومن خلال استحضار ذلك، سيتم تناول التحديد المفاهيمي للثقافة، انطلاقا من فرضية مؤداها أنه إذا كانت الحكومة لا تخلق الثقافة التي تبقى صنيعة المجتمع وقواه الحية، فإن دورها، إذا ما قررت التدخل في المجال الثقافي، هو توفير الشروط الأساسية لممارستها من تأطير قانوني وخلق التجهيزات الثقافية الضرورية، ودعم الإبداع والمبدعين واحترام حرية التعبير. ... وما إلى ذلك (العلالي، 2007).

وفي التجربة المغربية، نجد أن الحكومة الحالية قد حددت عدة مبادئ لسياستها، في قطاع الثقافة، إذ مرتبطة أساسا بالهوية الوطنية، ذات الروافد المتعددة، والمتنوعة، القائمة على الانفتاح على ثقافات العالم، والاهتمام بالفن والإبداع، ودعمهما ومواكبتهما وفق جدلية الحرية والمسؤولية، والتأكيد على ضرورة استحضار الأمازيغية مكونا ثقافيا لغويا، إلى جانب باقي التعبيرات اللغوية، والمكونات الثقافية المغربية، والعمل على النهوض بالصناعات الثقافية، وإرساء دعائم الاقتصاد الوطني، القائم على وضوح الرؤى ذات الأولوية في السياسات العمومية المتعلقة بالشأن الثقافي "المغرب الثقافي" ، وفق تصورات ذات صلة بالجهوية المتقدمة، انطلاقا من اعتبار الشأن الثقافي "مسؤولية مجتمعية مشتركة" (بهضوض، 2014، صفحة 74).

وفي هذا الإطار، نص الدستور المغربي، المصادق عليه في فاتح يوليوز 2011 على:"المبادئ والقيم والهوية واللغات والتنوع الثقافي، والحقوق والحريات، والتكوين والتربية الفنية، ودعم الإبداع، وضمان الولوج إلى الثقافة، والتعاون الثقافي الدولي". إذ الأمر لا يقتصر على ذلك فقط، بل يتعداه إلى دعم الثقافة، من خلال الأدوار التي تضطلع بها السلطات العمومية عبر مختلف الوسائل المتاحة، بهدف

تحقيق الغايات الكبرى، التي تحقق قيام النموذج التنموي المرتبط بالإبداعات الثقافية والفنية. والسعي إلى النهوض بالمجالات ذات الصلة والعمل على تنظيمها وتطويرها على نحو مستقل، بناء على "أسس ديمقراطية ومهنية مضبوطة" (دستور و المملكة، 2011)

وبخصوص مفهوم الإقناع فإن شارودو يميز بين الاقتناع convaincre، والإقناع persuader فالاقتناع قد يكون باستدلال صوري ذهني، أما الإقناع فعادة يكون بدغدغة العواطف والأهواء.

يستخلص، بناء على هذا التصور، أن الخطاب السياسي، هو خطاب حجاجي، غايته الإقناع، بالارتكاز على ثلاثة أفعال حجاجية يلخصها شارودو**.Source spécifiée non valide**فيما يلي:

- طرح الإشكال: يعد طرح الإشكال نشاطا حجاجيا، يعتمد فيه الفاعل السياسي التركيز على مشكل محدد، يتكفل بمعالجته وتصحيح اختلالاته، حال فوزه في الانتخابات. وطرح الإشكال في الخطاب السياسي يكون بواسطة برامج الأحزاب السياسية، إذ هي التي تعبر عن طرح الفاعلين السياسيين لوجهة نظرهم واقتراحاتهم لإصلاح قطاع ما مثل قطاع التعليم والصحة والاقتصاد. .. الخ. ويختلف طرح الإشكال من حزب سياسي لآخر، تبعا للخلفية الفكرية للفاعل السياسي وأولوياته.
- إشكالات تستدعي التعبير عن الموقف: لا يكتفي الفاعل السياسي بطرح ما يراه من المعالجة، بل يعبر عن موقفه من طروحات الأحزاب المشاركة في الحكومة وما تقترحه من حلول للمشاكل التي تؤرق المواطنين. إن التعبير عن الموقف في الخطاب السياسي، هو تعبير عن رؤية، وعن وجهة نظر سياسية معينة، تحاول أن تقدم أجوبة شافية للإشكالات المطروحة؛ من قبيل مساندته لتحالف سياسي حكومي من عدمه، بحيث تطرح مسألة جوهرية، وهي هل يشاركه الموقف أم لا
- التدليل: فبعد طرح الإشكال والتعبير عن الموقف يحتاج الفاعل السياسي لأدلة وبراهين لتقوية الطروحات المقدمة حتى لا ترتبط بالأهواء والمصالح. كما يناقش شارودو، في كتابه "الإقناع والتأثير في الخطاب السياسي"، التمييز بين الاقتناع والإقناع، مبينًا أن الإقناع يعتمد بشكل أكبر على العوامل النفسية والعاطفية، مقارنة بالاقتناع الذي يعتمد على المنطق والاستدلال. وفي دراسة له بعنوان "الحجاج في الخطاب السياسي" في الصفحات 16-18 من

الكتاب ، يُوضح الأفعال الحجاجية الثلاثة التي يستخدمها الفاعل السياسي: طرح الإشكال، التأطير، والتقييم.

2. السياق العام

يندرج السياق ضمن جملة من العناصر بالغة الأهمية، خصوصا فيما ارتبط ببناء الخطاب من ناحية، وإعادة تشكل عناصر بنائه من لدن المتلقي من ناحية أخرى، فالمتلقي يستند في تأويله للمعاني، وتفسيره لها، على السياقات التي تم فيها إلقاء الخطاب المعني، كما أن الذي يقوم بإلقاء الخطاب يحاول ما أمكن استحضار مختلف العناصر المرتبطة بالسياق، حتى يكون خطابه منسجما ومتلائما معه، من حيث الألفاظ، والأساليب، والمعاني.

بذلك، فإن الخطاب الذي بين أيدينا، هو خطاب ألقاه رئيس الحكومة، السيد عزيز أخنوش، في الجلسة الشهرية المشار إليها سابقا، (والتي استمرت لمدة ثلاث ساعات وثلاث دقائق، ابتداء من الساعة الثانية زوالا، إلى الساعة السادسة مساء) ، وقد تضمن محورا واحدا، بعنوان موضوع السياسة الحكومية في المجال الثقافي، وبالتالي كان السؤال المطروح، علاقة بهذا، هو تأثير السياق العام في مضامين وآليات خطاب رئيس الحكومة من جهة، وتأثيراته كذلك، على المواطن، وعلى النخب الثقافية، من جهة أخرى.

3. الحجج الإقناعية في الخطاب السياسي

على نحو عام، يحمل أي خطاب سياسي، مضامين يراد تحقيقها، وغايات كذلك، وبالتالي لا بد له، أن يتأسس على خطة واضحة، وعلى آليات إقناع قوية، تمكنه من أن يكون خطابا ناجحا، وناجعا في الآن ذاته، وهو ما يطلق عليه " الاستراتيجية الخطابية". وبالعودة، مرة أخرى، إلى مانغينو وشارودو باعتبارهما من أهم الباحثين الذين اهتموا بالاستراتيجية الخطابية، نجد أنهما انطلقا في تصورهما من اعتبار هذه الاستراتيجية قائمة بالأساس، على الخيارات الممكنة للمتخاطبين أثناء الإنتاج اللغوي. " (منغنو، و شارودو، صفحة 533).

كما يرتكز الخطاب السياسي على توظيف مجموعة من الآليات، والنماذج، والأساليب ذات طبيعة إقناعية حجاجية، بهدف إحداث تغيير لدى المتلقي والتأثير فيه، ودفعه إلى القراءة والتمعن في

مضامينه ودلالاته، من أجل الفهم والتأويل، ما يخلق صورا ذهنية جديدة، وتمثلات مستحدثة، تسهم في الدفع بسلوكاته وتصرفاته، إلى وجهة جديدة، مغايرة لما كان عليه الوضع سابقا.

وبالتالي، فالخطاب السياسي يتأسس على عناصر حجاجية، انطلاقا من كون الحجاج أحد أجناس التواصل المتعارف عليها، ويتفرد بالمبادئ التي تحدد طبيعته، وببنيات محددة لأبرز القضايا التداولية المؤثرة، في رسم معالم هويته، تواصليا واجتماعيا؛ بحمله رسائل، ونشره لإيديولوجيات، بصرف النظر عن طبيعتها.

بناء على ما سبق، ومن خلال استحضار عدد من خصائص الخطاب، هل يمكن القول بأن الخطاب السياسي لرئيس الحكومة في هذه الحالة، موضوع الدراسة، إنه قد امتلك استراتيجية واضحة في هذا الباب؟ وفي حالة تحقق ذلك، ماهي العناصر الأساسية المشكلة لهذه الاستراتيجية؟

وظف رئيس الحكومة المغربية في خطابه السياسي استراتيجية إقناعية، مكنته من أن يبني خطابا سياسيا له خصوصيته، من خلال استعماله للغة العربية، وتوظيفه لحجية السلطة بالاستشهاد "الاحتمائي" بمضامين الدستور، وبخطابات جلالة الملك محمد السادس، محاولا في الآن ذاته، إعطاء انطباع للملتقي بأنه يمتلك إطلاعا واسعا، وبأنه متمكن من آليات الخطابة السياسية، كما أن له حظا من الخصائص الكاريزمية للخطيب السياسي.

ونجد جملة من الاستراتيجيات الحجاجية، التي وظفها السيد رئيس الحكومة، مثل حجة السلطة(بنوهاشم، 2014، صفحة 79)المبنية على الواقع، كما قدمها شاييم بيرلمان، وهي نوع من الحجج التي اعتمدت الوقائع والأحداث الفعلية، لتدعيم الأطروحات، أو الإدعاءات المسبقة. كما يتم فيها، استخدام الحقائق الملموسة والموثوقة، من الواقع، باعتبارها أدلة لعرض الحجج، وتدعيم خطابه، بهدف جعله أكثر إقناعًا وقبولاً عند الجمهور.

وتندرج حجية السلطة، ضمن تلك الحجج القوية المبنية على أحداث الواقع، لأنها تعتمد أمورا، يمكن التحقق منها وتجربتها، ما يجعلها تختلف عن الحجج المعتمدة على الافتراضات، أو الاعتقادات الشخصية. ويتم توظيف هذا النوع من الحجج في النقاشات، وفي محاولات الإقناع، لتوفير أساس منطقي وصلب للأفكار المطروحة، حيث تملك تأثيرا كبيرا على المستمع، لأنه بدوره يستطيع التأكد من صحة المعلومات المقدمة له، من خلال التجربة أو الأدلة الواضحة.

يحتوي المقطع المذكور من الخطاب على عدة حجج تستخدم لإقناع المستمعين بموقف الحكومة من تدبير الشأن الثقافي وبأهمية السياسة الثقافية ودورها الحاسم في بناء المجتمع والدولة. وتوضح القراءة التحليلية لهذا المقطع من النص استخدام عدد من الحجج: أولا، ينطلق من حجة السلطة (المرجعية الدستورية)، فالنص يبدأ بالإشارة إلى "أحكام الفصل 100 من الدستور"، مما يعزز من شرعية وقوة الخطاب. إن استخدام الدستور مصدرا مرجعيا يعطي الخطاب مصداقية عالية ويساهم في إقناع المستمعين بأن الموضوع المطروح له أساس قانوني ومؤسسي قوي. ثم انتقل بعد ذلك إلى حجة الضرورة والأهمية: "فليس هناك أدنى شك في أهمية السياسة الثقافية لأي مجتمع"، هذا النوع من الحجج يعتمد على ضرورة الموضوع وأهميته، حيث تقدم السياسة الثقافية بصفتها عاملا لا غنى عنه لتطور المجتمع، باستخدام تعبيرات مثيرة مثل: "ليس هناك أدنى شك" ما يعزز من الشعور بالحتمية والضرورة. ونجده يستعمل أيضا حجة الترابط والتكامل: "عندما تغيب معالم هاته السياسة تضعف معها كافة الروافد المجتمعية الأخرى". هنا يتم استخدام حجة الترابط بين السياسة الثقافية وبقية الروافد المجتمعية، مما يوحي بأن الثقافة هي الأساس الذي تبنى عليه بقية عناصر المجتمع. هذه الحجة تهدف إلى إظهار أن الإهمال في الثقافة سيؤدي إلى ضعف شامل في المجتمع. كما أنه استعمل حجة البناء التأسيسي: "السياسة الثقافية هي البنية التحتية التي تشيد عليها كافة السياسات العمومية". هذه الحجة تقدم الثقافة عنصرا أساسيا وتأسيسيا لبناء السياسات الأخرى، ما يقود إلى ضرورة الاهتمام بها لضمان نجاح السياسات العامة الأخرى. استعمل رئيس الحكومة، أيضا، حجة المواطنة والدولة الاجتماعية: "فإن تحقيق المواطنة الكاملة واستكمال صرح الدولة الاجتماعية... لا يرتبط فقط بمسلسل تطور المجتمع ونمائه الاقتصادي بقدر ما يرتبط بالمنظور الثقافي"؛ إنها حجة تربط بين الثقافة والمواطنة الكاملة وبناء الدولة الاجتماعية، وتجعل من التنمية الثقافية جزء لا يتجزأ من تحقيق هذه المرامي الكبرى. ثم أنه استعمل كذلك حجة الاستثمار في التنوع الثقافي: "الاستثمار في التنوع الثقافي الذي تزخر به بلادنا كثروة وطنية". هذه الحجة تدعو إلى اعتبار التنوع الثقافي ثراء وطنيا، يجب الاستثمار فيه، حيث يُصور التنوع الثقافي عاملا حيويا، يرسخ دعائم المجتمع، ووجوده، ومستقبله.

واستعمل أيضا حجة الاستمرارية والحيوية: "كثروة وطنية تطبع وجودنا الجماعي ومصيرنا المستقبلي بحيوية دائمة". يستخدم النص حجة الاستمرارية والحيوية لإقناع المستمعين بأن الثقافة ليست فقط أمرًا حاليًا، بل هي عنصر دائم يؤثر على مستقبل الأمة بشكل مستمر.

بالتالي، يقود تحليل النص، إلى اكتشاف استخدام مجموعة من الحجج سمتها الأساسية التنوعُ (حجة السلطة، وحجة الضرورة، وحجة الترابط، وحجة البناء التأسيسي، وحجة المواطنة، وحجة الاستثمار، وحجة الاستمرارية) بهدف إقناع المتلقي بأهمية السياسة الثقافية، ودورها الحيوي في بناء المجتمع والدولة. حجج كلها، تهدف إلى إظهار الثقافة، بأنها الأساس الذي تبنى عليه السياسات الأخرى جميعها، وأن الاستثمار فيها، وفي ترسيخ التنوع الثقافي، هو استثمار في مستقبل الأمة.

بناء عليه، فإلى جانب حجة السلطة، كونها إحدى أهم الاستراتيجيات الخطابية، التي وظفها رئيس الحكومة، في إطار حججه الإقناعية، نجده يوظف كذلك حجة النفعية كـ''أسمى حجة نفعية، وحجة النتائج التي تقيم فعلاً، أو حدثاً تبعاً للنتائج الإيجابية أو السلبية '' (Perelman, 1970, p. 100)كما عرفها بيرلمان. وهي حجة ذات أهمية كبرى في الحجاج، كما إنها في تصور بنتام (Bentham)'' الحجة الوحيدة الصالحة حين يتعلق الأمر بتبني معيار ما'' (Perleman, 1977, p. 97)، ويبدو الاستدلال بالنتائج من البداهة إلى درجة أنه لا يحتاج إلى تبرير، فالنتائج قد تكون معاينة أو متوقعة، محققة أو محتملة. وبالتالي فحجة النفعية، التي تبدو وكأنها تختزل قيمة السبب في نتائجه، تعطي الانطباع أن كل القيم هي من المستوى نفسه.

واستعمل رئيس الحكومة، كذلك، استراتيجية طرح الإشكال، باعتبارها إحدى أهم الاستراتيجيات الخطابية، التي تمكن الفاعل السياسي، من تحديد أولوياته الفكرية، والثقافية، والاجتماعية، والاقتصادية في حالة تدبيره للشأن العام، كما يقول باتريك شارودو.

ولقد طرح رئيس الحكومة في خطابه السياسي، الإشكالات التي تعد من الأولويات، والتي يمكن وصفها بأنها تستند إلى تصور حداثي وفق منظور جديد كما حدده: (لا يمكن أن يصبح الرأسمال اللامادي مصدر لإنتاج رأس المال اللامادي دون منظور جديد يؤسس لسياسة عمومية ثقافية قابلة لإنتاج والتسويق داخل المغرب وخارجه)، واعتبار (النهوض المجال الثقافي اختيارا استراتيجيا ورافعة للانفتاح والحوار والتماسك). رابطا بين ذلك وبين أولويات أخرى بالغة الأهمية كـ (الصعود الاقتصادي

والسيادة)، وتحقيق "الرخاء الاقتصادي وللرابط الاجتماعي المتماسك وللقوة الناعمة في المجال الجيوسياسي وموردا للنمو والاستثمار والتشغيل".

كما يرتكز الخطاب السياسي لرئيس الحكومة، من ناحية أخرى على الحجة المؤسسة لبنية الواقع، وهي حجة تمكن من إثبات ما سبق، أو وضع قاعدة عامة، أو خلق قدوة. ومن خلال هذه العينة من الحجج، يبحث بيرلمان في حُجَج التناسب (Analogie) التي تُستخدم تارة في بنية حقيقة مجهولة، وتارة أخرى، في اتخاذ موقف منها، كما يبحث، في الاستعارات، من منظور مختلف، لا يمت بصلة إلى التوجه الشعري، بل يعالجها من منظور بلاغي حجاجي، يظهر إلى أي حد أنها تقوم بتوجيه الفكر.

لذا، وبالعودة لخطابه المذكور سلفا **.Source spécifiée non valide**، كان الحديث عن السياسة الثقافية من وجهة نظر رئيس الحكومة، ليس مجرد "ترف فكري" أو "جلسة خطابية" "ولا هي "مجرد هوامش زائدة لتأثيث أنشطة الحكومة والبرلمان"، بل إنها من الشروط الأساسية لتحقيق "التنمية"، والمساهمة بفعالية في "التنشئة السياسية".

وقد استخدم رئيس الحكومة عبارة "الذاكرة المشتركة" بهدف استحضارها "في سياسات عمومية تتسم بالنجاعة والفعالية والتكامل"، موظفا استراتيجية أخرى يطلق عليها استراتيجية الإيتوس؛ وهومفهوم يمثل استراتيجية خطابيةً، تعمل على مقاربة الخطاب برؤية السير ذاتي، وقد حظي بعناية واضحة في التصورات النظرية الحديثة ضمن البلاغة الجديدة، مع كل من باتريك شارودو، وروث أموسي، ودومينيك مانغينو، الذين نقلوا هذا المفهوم من الدرس البلاغي الحجاجي، إلى الدرس النقدي وتحليل الخطاب؛ إذ طبق دومنيك مانغينو مفهوم الإيتوس على خطابات خالية من أي بعد حجاجي، مما أكسب المفهوم طاقة جديدة جعلت منه آلية إجرائية في تحليل بعض الخطابات، ومنها الخطاب السيرذاتي. ويعتبر الإيتوس في الخطابة عند أرسطو Aristote إلى جانب الباتوس واللوغوس، أحد الركائز الثلاث المتدخلة في بناء الخطاب الإقناعي.

لذا يُمَكن مفهوم "الإيتوس السياسي" ، الفاعل في هذا المجال، من تقديم صورة أخلاقية عن المؤسسة السياسية التي يمثلها (مشبال، 2017، صفحة 176). ويشير إلى الطابع الأخلاقي، والقيمي، الذي يميز سياق الحكم، والسياسة، في مجتمع معين، أو دولة ما. وبالتالي فهو يحيل على القيم، والمعتقدات،

والأخلاقيات العامة، التي تشكل أساس سلوك الجهات الحاكمة، ومحور تصرفاتها، إضافة إلى المؤسسات السياسية في هذا المجتمع.

وقد حاول رئيس الحكومة، إلى جانب ما تقدم، توظيف استراتيجيات إقناع أخرى كالاعتراف بالتقصير، إذ بدأ نص خطابه بالاعتراف بوجود مواطن تقصير، وأوجه قصور، بهدف خلق انطباع يظهر تواضعه، وشفافيته، ويعزز من مصداقيته أمام الجمهور. لأن الاعتراف بالمشكلات يمكن أن يولد ثقة أكبر لدى المواطنين، لأنهم يرون أن الرئيس يدرك التحديات بواقعية لا لبس فيها.

ووظف أيضا استراتيجية الالتزام بالإصلاح من خلال التأكيد على التزام الحكومة بالعمل على إصلاح النقاط الضعيفة وتجاوزها، والهدف هنا هو الاقتناع بجدية الرئيس وحرصه على تحسين الوضع، مما يساهم في بناء صورة إيجابية عنه بصفته قائدا ملتزما بتحقيق التغيير الإيجابي.

هكذا إذن، ومن خلال هذه المرتكزات، يمكن القول أن رئيس الحكومة سعى لبناء إيتوس قائم على الشفافية، والالتزام، والفعالية، والتكامل، والاحترام، والاهتمام بالذاكرة الجمعية، والثقافة المشتركة. وفي نهاية المطاف، فإن غاية هذا النهج، هي تعزيز الثقة لدى الجمهور، وتقوية مصداقيته عندهم.

خاتمة

نخلص، مما تقدم، إلى أن الخطاب السياسي للسيد رئيس الحكومة مبني على رؤية دقيقة، ومرتبة، لإقناع المتلقي. وذلك من خلال تقديم الأدلة، والحجج، بما تحوزه من قوة لتعزيز خطابه، وتوفير الجاذبية لمحتواه. كما تبين أنه حاول استخدام الخطاب السياسي أداة فعالة، لإقناع البرلمانيين، بصِدقية مضامينه، ووضوح أهدافه. وفي الآن ذاته، يلاحظُ بأنه سعى إلى إقناع النخب المثقفة، من

المواطنات، والمواطنين، بتوجهات الحكومة في المجال الثقافي، وبالتالي استغلال الفرصة لاستمالة عدد منهم، وإقناعهم بالإنجازات الحكومية في هذا المجال.

وعليه، فإن تحليل الخطاب السياسي، الذي نحن بصدده، يظهر بأنه أسهم في تعميق فهم آليات الخطاب السياسي بصفة عامة، وتأثيره على الجمهور، كما كشَفَ عن بعض مكامن التفاعل بين السياسة والثقافة في المجتمع المغربي.

لذا فإن الحديث عن السياسة الثقافية من منظور رئيس الحكومة، ليس مجرد "ترف فكري"، أو "جلسة خطابية"، " ولا هي " مجرد هوامش زائدة، لتأثيث أنشطة الحكومة والبرلمان"، بل هي شرط أساسي، وضروري، لتحقيق "التنمية"، والمساهمة بفعالية في "التنشئة السياسية".

من هذا المنطلق، فقد حاول رئيس الحكومة، عبر خطابه المدروس، الإجابة عن التساؤلات المطروحة، بشكل يوحي بوجود إرادة حكومية، لتلبية مصالح الناس، وتحقيق احتياجاتهم، والاستجابة لتطلعاتهم. كما يلاحظ بأنه جسد مترابط مدعوم بالفعل والإنجاز، بغية استقطاب الرأي العام، وتوجيهه فيما يخدم مصالح الوطن، مع الأخذ بعين الاعتبار السياق العام الذي نعيش فيه، والقيم المعروفة، والتمثلات الممكنة، والمدرك الجماعي السائد.

قائمة المصادر والمراجع

باللغة العربية:

- الجريدة الرسمية الجريدة 9 فبراير .(2022, الجريدة الرسمية السنة الاولى .تاريخ الاسترداد 10 نونبر2024 ,، من الجريدة الرسمية السنة الأولى: file:///C:/Users/pc/Downloads/bo-cdr-143-09022022_230925_134236%20(2).pdf

- الحسين بنوهاشم .(2014) .نظرية الحجاج عند شاييم بيرلمان .بيروت :دار الكتاب الجديد المتحدة.

- باتريك منغنو،، و شارودو دومينيك .معجم تحليل الخطاب .

- دستور، و المملكة .(2011) .دستور المملكة المغربية الفصل.26

- مايك كرانغ .(2005) .المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، المحرر، و سعيد منتاق، المترجمون الكويت، الجغرافيا الثقافية :سلسلة عالم المعرفة.

- محمد بهضوض .(2014) .الفكر الثقافي أسئلة الثقافة في المغرب .الرباط :سلسلة أبحاث، منشورات وزارة الثقافة.

- محمد عبد الوهاب العلالي .(2007) .الدولة والثقافة السياسات الثقافية العمومية إلى أين ؟ الثقافة والإتصال والمجتمع .الرباط :منشورات خمائل.

- محمد مشبال .(2017) .بلاغة الحجاج مقاربة بلاغية حجاجية لتحليل الخطابات .القاهرة :دار كنوز المعرفة للنشروالتوزيع.

- محسن أفطيط. (2019/2020). الثقافة في برامج الأحزاب السياسية بالمغرب أحزاب الاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية, العدالة والتنمية,الأصالة والمعاصرة تحديدا. فاس, المغرب.

- عبد الهادي بن ظافر الشهري. (2004). استراتيجيات الخطاب -مقاربة لغوية تداولية. بنغازي: دار الكتاب الجديد. ص 34

- عبد الوهاب صديقي. (2022). بلاغة المغالطة في الخطاب السياسي دراسة في أليات الاقناع واستراتيجيات التأثير. القاهرة: دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع.

باللغات الأجنبية:

- Charaudeau, P. (2005). *Le discours politique : les masques du pouvoir.* paris: Vuibert.

- Dahi, M. (2020). *Les défis de l'analyse du discours : Entretien avec Dominique Maingueneau.* Tanger: Virgule.
- Maingueneau, D. (1991). *L'Analyse du discours.* Paris: Hachette.
- Pêcheux, M. (1969). *Analyse automatique du discours.* Paris: Dunod.
- Perelman, C. (1970). *L'argument pragmatique" in le champ de l'argumentation.* Bruxelles: Presses Universitaires de Bruxelles.
- Perleman, C. (1977). *L'empire rhétorique, Rhétorique et argumentation.* Paris: Librairie Philosophie J.Vri.

التوليد الآلي لجذور المفردة العربية: مقاربة صواتية-حاسوبية

The Automated Generation of Arabic Word Roots: A Phonology-Computational Approach

الباحث: محمد المودن
stu.med.23@gmail.com
الأستاذ: محمد التاقي
takimed1964@gmail.com
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
جامعة محمد الخامس بالرباط
المملكة المغربية

الملخص:

يتأطر هذا العمل ضمن الجهود التي تسعى لفهم بنية الكلمة في اللغة العربية، وتوليدها آليا، وهذا ما سيؤدي إلى إمكانية هندسة برامج صرفية تعتمد على دوال رياضية، بدل الاعتماد على قواعد بيانات مخَزِّنة لمعاجم عربية ضخمة. ونسعى في هذا المقال، إلى بيان دور المبادئ الصواتية في توليد الجذور الثلاثية لهذه المفردة، انطلاقا من فرضية وجود مبادئ صواتية تتحكم في هذا التوليد؛ وهي مبادئ يمكن استنباطها باعتماد نظرية هندسة السمات في الصواتة اللاخطية.

وقد توصلنا في النهاية إلى وجود مبدأ صواتي عام، بالإضافة إلى مبادئ صواتية خاصة، مما أسعفنا في صياغة قواعد تضبط تكوين الجذور الثلاثية من الصوامت الثمانية والعشرين التي يشهدها نسق العربية. ويمكن تحويل هذه القواعد إلى دالة رياضية تساعدنا على توليد الجذور الثلاثية التي يسمح بها نظام العربية. وتُبين لنا سبب استحالة توليد جذور أخرى.

الكلمات المفاتيح: الجذر، المفردة، هندسة السمات، الصواتة، الصرف.

Abstract: The goal of this study is to understand the structure of Arabic words and to automate their generation. Instead of relying on extensive dictionary-style databases, this approach aims to enable the programming of inflectional systems using mathematical functions. Based on the assumption that

phonological principles exist and govern this generation, the specific aim of this study is to examine how these principles contribute to the formation of trilateral roots in Arabic. The concept of feature geometry in non-linear phonology is employed to derive these principles. The study concludes that the production of trilateral roots from the twenty-eight consonants of the Arabic language is governed by a general phonological principle, alongside specialized phonological rules. These rules can be translated into mathematical functions that facilitate the generation of valid trilateral roots within the Arabic linguistic system, while also explaining why certain roots are not permissible.

Keywords: Root, word, feature geometry, phonology, morphology.

المقدمة:

يقتضي مبدأ الإحصاء وقوانين الاحتمالات في الرياضيات أن يكون تشكيل الجذور الثلاثية في اللسان العربي المعيار هو (21952) جذرا؛ إذا علمنا أن عدد صوامت اللسان العربي هو (28) صامتا[1]، وأن الجذر الثلاثي يتشكل من ثلاثة صوامت، فإنه يمكننا اختيار أي صامت من عدد الصوامت المتاحة في الموقع الأول للجذر، وبالتالي فإن عدد الاحتمالات الممكنة للموقع الأول للجذر هو (28) احتمالا. وهكذا الأمر بالنسبة للموقع الثاني من مواقع الجذر الثلاثي؛ إذ يمكننا اختيار أي صامت من الصوامت الثمانية والعشرين المتاحة، وعليه فإن عدد الاحتمالات الممكنة هي (28) احتمالا، وهو الاحتمال نفسه بالنسبة للموقع الصامتي الثالث من مواقع الجذر الثلاثي. وبما أن هذه الاحتمالات مستقلة فيمكننا ضربها معاً للحصول على عدد الاحتمالات الممكنة الإجمالي؛ الذي نعبر عنه رياضيا كالآتي:

$$3^{28} = 28 \times 28 \times 28 = 21952$$

لا يسع الباحث في اللسان العربي إلا أن يكَوّن تصورا حافلا بافتراضات إذا ما علم أن عدد الجذور الثلاثية الواردة في معجم لسان العرب لابن منظور هو (6516)[2]، أي ما يعادل نسبة (29.70%) من مجموع الجذور المحتملة (21952). وما دامت هذه النسبة لم تبلغ (100%) أو أقل منها بقليل فثمة أسباب وراء هذا الورود، وهو ما يدفعنا إلى افتراض وجود مبادئ ضابطة لتشكيل هذه الجذور في اللسان العربي. ويحق لنا أن نتساءل: ألا يمكن للمبادئ الصواتية أن تكون وراء هذا التشكيل؟ وإذا كان الأمر كذلك فكيف نفسر توليد الجذور الثلاثية من الصوامت في اللسان العربي المعيار؟

ننطلق في هذا المقال من فرضية مفادها وجود مبادئ تتحكم في توليد الجذر الثلاثي في اللسان العربي من مجموع الصوامت الثمانية والعشرين؛ بحيث نعتقد أن ترتيبها في الجذر العربي ليس اعتباطيا، إنما يخضع لجملة من المبادئ الصواتية. ولذلك سنحاول فهم بنية الجذر الثلاثي المجرد في اللسان العربي، انطلاقا من تبني تصور نظرية هندسة السمات (Features Geometry) التي تبلورت في منتصف الثمانينات من القرن المنصرم؛ بدءا مع كليمنتس (1985) مع مقاله: "هندسة

---

1 - باعتبار الألف ليس صامتا لكونه لا يُنطق.

2 - انظر: المودن، محمد، دراسة صرف-صواتية حاسوبية للمصادر الثلاثية المجردة الواردة في معجم لسان العرب لابن منظور، (2024)، أطروحة لنيل الدكتوراه في اللسانيات وقضايا اللغة العربية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط.

السمات الصواتية"، قبل أن يبين مككارثي (1988) قصوره، خاصة الشكل الذي تأخذه شجرة السمات، مقترحا نماذج بديلة في مككارثي (1989،1988أ،1989ب، 1994،1991). وسنعتمد كذلك على تصورات الوادي (2020،2004).

إن الإجابة عن الإشكالية التي طرحناها في هذا المقال تقتضي أن نعرض لنظرية هندسة السمات وتوليد القطع الصوتية؛ حتى نضع القارئ في السياق الصواتي المؤطر للمقال. قبل الانتقال إلى الكشف عن المبدأ الصواتي العام المسؤول عن توليد الجذور الثلاثية في اللغة العربية، ثم المبادئ الصواتية الخاصة، وتوصيفها على شكل خوارزميات لبناء برنامج آلي مولد للجذر الثلاثي المجرد في اللسان العربي. ونوظف في كل ذلك المنهج اللساني التوليدي.

1. المبادئ الصواتية لتوليد الجذر الثلاثي

1.1 نظرية هندسة السمات وتوليد القطع الصوتية:

تجدر الإشارة إلى أن ما يهمنا من نظرية هندسة السمات هو القاسم المشترك بين نماذج مكارثي الهندسية الذي يميزها عن الصواتة الكلاسيكية؛ وهو ما لخصه الوادي (2020) فيما يأتي[1] :

- اعتماد شجرة سمات ترتب فيها السمات ترتيبا هرميا تحت عدد من العجر؛ فعجرة الجذر، تشرف على عجرة الموضع، المتفرعة في بعض النماذج إلى عجرة الفم، وعجرة الحلق.
- بدل التفريق بين سمات الصوامت والصوائت توصف معا السمات ذاتها، خلافا للصواتة الكلاسيكية.
- الصوتيات التي تشرف عليها العجرة نفسها تتقاسم الخصائص النطقية ذاتها، وتشترك في الأحكام الصواتية نفسها، وتشكل صنفا صواتيا طبيعيا.
- تقليص عدد مخارج الصوتيات بتجميعها حول الأعضاء النطقية المتحركة بدل توزيعها على الأعضاء الثابتة والمتحركة.

[1] - انظر: الوادي محمد، أبحاث صرافية وصواتية في اللغة العربية، (2020)، ص268.

نعني بالأعضاء النطقية المتحركة، الشفتين، وطرف اللسان، وظهره، وجذره، والحلق، والحنجرة، ولذلك نجد في النموذج الهندسي لمكارثي (1988-1994) تصنيفا للصوتيات العربية حسب أعضائها النطقية المتحركة، وهذا ما عبر عنه الوادي (2022) في (1)

(1) تصنيف للصوتيات العربية، حسب الوادي (2022).

labials	/ ف، ب، م /	شفويـــات
coronals sonorants	/ ل، ر، ن /	تاجيات رنانة
coronals obstruents	/ ث، ذ، ت، د، س، ز، ظ، ط، ض، ص، ش/	تاجيات حاجزية
dorsals sonorants	/ و، ي /	ظهريات رنانة
dorsals obstruents	/ ك، ج، ق /	ظهريات حاجزية
gutturals	/ ء، هـ ع، ح، غ، خ /	حلقيات

نلاحظ أن تصنيف الصوامت وأصوات اللين (العلة) في اللسان العربي يتم حسب تصور الصواتة اللاخطية عبر ست عجر، تجمع بين عناصر كل عجرة علاقات صواتية تشترك في سمة واحدة على الأقل، وكل عنصر يختلف عن الآخر بسمة مميزة، فإذا أخذنا عجرة الشفويات (ف،ب،م)، على سبيل المثال، يمكن أن نمثل هندسيا لتوليد الصامت (ف) كالآتي:

(2) التمثيل الهندسي لتوليد الصامت (ف).

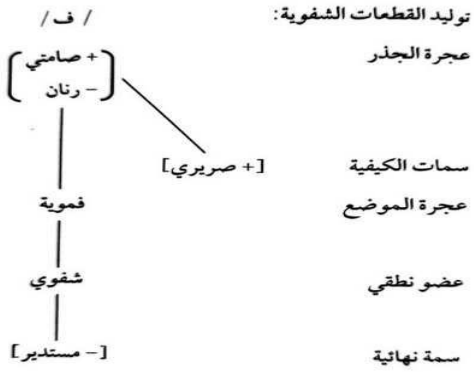

يمثل التمثيل (2) نموذجا لشجرة السمات لتوليد العناصر الصامتية والصائتية وأصوات اللين في اللسان العربي. ويوضح توليدا للصامت الشفوي (ف)، كما يمكّن من توليد جميع أصوات الألسن الطبيعية؛ وذلك بانتقاء سمتي عجرة الجذر اللتين تكونان في غالب الأحيان(+/-صامتي)، و(+/-رنان)

فحسب كنيستوفيتش (1994) Kinstowicz تحدد هاتان السمتان ثلاثة أصناف صواتية في الألسن الطبيعية: الحاجزيات باعتبارها (+صامتي، -رنان)، والرنينيات باعتبارها (+صامتي، +رنان) وأخيرا الصوائت وأصوات اللين (-صامتي، +رنان)[1].

ثم تأتي سمات الكيفية وهي السمة المرتبطة بكيفية النطق، وهي أربع سمات أساسية حسب هالي وساجي (1992-1995)، وهالي وأندرو (2000) والوادي (2020،2004) نذكرها كالآتي:

سمة (+/-استمراري) التي تنفذ بواسطة أعضاء نطقية متحركة وهي:

- "شفوي: /ف،م/.
- تاجي: /ش،س،ص،زث،ذ،ط/.
- ظهري: /غ،خ/.
- جذري: /ع،ح/.
- حنجري: /ه/ "[2].

وسمة (+/-أنفي) التي دافع عنها الوادي (2004) عنها باعتبارها سمة حرة (Free Feature) تنفذ في اللسان العربي عن طريق ثلاثة أعضاء هي: الشفوي والتاجي والظهري، ثم سمة (+/-جانبي) التي ذكرت في أعمال هندسية من قبيل كليمنتس (1985)، ومكارثي (1988)، والوادي (2004) الذي ربط هذه السمة بكيفية النطق معتبرا إياها في اللسان العربي أنها تنفذ عن طريق عضو نطقي واحد، هو التاجي. وتولّد صامتا نخروبيا جانبيا هو: (اللام) [3]، وهو الصامت الوحيد في اللسان العربي.

وأخيرا سمة (+/-صريري) التي قال عنها الوادي: "سمة حرة، كذلك، لأن إنتاجها غير مقيد بعضو نطقي محدد، بل تنفذ هذه السمة بواسطة عدة أعضاء نطقية متحركة"[4]، ومثال هذه الأعضاء:

- شفوي: /ف/.
- تاجي: /ض،ش،س،ز،ص/.

---

[1] -see: Generative Phonology: Description and Theory, Kenstowicz, and Kisseberth, (1979), Academic Press, p: 242.

[2] - الوادي محمد، بناء الجذر الصواتي في اللغة العربية، (2004)، ص210.

[3] - لمزيد من المعلومات انظر: الوادي محمد، بناء الجذر الصواتي في اللغة العربية، (2004)، ص: 210-211، والوادي محمد، أبحاث صرافية وصواتية في اللغة العربية، (2020)، صص2676-277.

[4] - الوادي محمد، بناء الجذر الصواتي في اللغة العربية، (2004)، ص 210.

- جذري: /ح/...

وبالعودة إلى عجرة الموضع فإننا نجد السمات المميِّزة عند مكارثي (1981) تُشرف عليها عجرة الجذر، بحيث تكون كل صرفية **(morphem)** عبارة عن مصفوفة من السمات المشكلة للقطع المستقلة، وترتبط بعجرة الجذر (root node)[1]؛ ويكون التمثيل الصوري للصرفية حسب مكارثي كما في (3)[2]

(3) التمثيل الصوري للصرفية حسب مكارثي (1981).

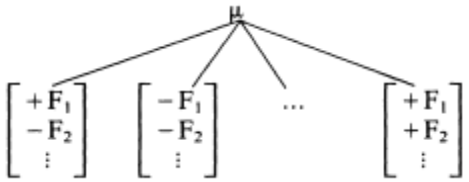

نلاحظ في (3) أن كل عجرة (μ) تشمل مصفوفة من السمات فهي صرفية، وسواء أكانت هذه الصرفية ضمن خط الجذر أم الزيادة، فإن عجرة الجذر تشرف عليها؛ لأنهما تشكلان صرفية، رغم أن التمثيل يكون مستقلا لكل منهما. وخلاصة ما قدمه مكارثي (1981) هو ما عبر عنه ادروا (2013) بقوله: "تبقى الفكرة الأساسية في تمثيل الصرفية: هي استبدال الحدود عند تشومسكي وهالي (1986) بعجرة الجذر"[3].

نستنتج أن النماذج الصواتية الهندسية التي تندرج ضمن الصواتة اللاخطية تتميز عن باقي الطروحات اللغوية القديمة أو المعيار بالنقاط التي لخصها الوادي (2004-2020) فيما يأتي:

- اعتماد شجرة السمات ترتب ترتيبا هرميا، ويشرف عليها عدد من العجر.
- وصف الصوامت والصوائت بالسمات نفسها، على عكس أوصاف الصواتة الخطية التي تفرد كلا بسمات خاصة.

[1] - See: McCarthy, j , A prosodic theory of nonconcatenative morphology, (1981), Linguistic Inquiry, . P. 376.

[2] - See: McCarthy, j, A prosodic theory of nonconcatenative morphology, (1981), Linguistic Inquiry, p. 377

[3] - ادروا يوسف، الأفعال المضعفة في اللغة العربية، دراسة صرف صواتية مستقلة القطع، (2013)، ص72.

- تقليص عدد مخارج الأصوات بتجميعها حول الأعضاء النطقية المتحركة (الشفتان، طرف اللسان، وظهره، وجذره، ثم الحلق، والحنجرة) بعد أن كانت توزع على الأعضاء الثابتة والمتحركة[1].

لكن بقي هناك اختلاف حول شجرة السمات **(**feature tree**)** في النماذج الصواتية الهندسية التي اطلعنا عليها[2]؛ غير أنه اختلاف لا يعدو أن يكون اختلافا حول موضع سمة معينة تحت عجرة ما، أو تفريع لإحدى العجر الأربع (عجرة الجذر (root node) أو عجرة الموضع (place node) أو عجرة الفم (oral node) أو عجرة الحلق (pharyngeal node) وكل ذلك يرجع إلى طبيعة تصنيف أصوات الألسن الطبيعية.

يدفعنا ما سبق إلى الاقتصار على عمل نماذج مكارثي (1988-1989أ-1989ب-1991-1994) والوادي (2004) الذي دافع عنه في الوادي (2020)، لاعتبارات منها: أن مككارثي اشتغل على الألسن السامية، وأن الوادي ركز على بناء الجذر الصواتي في اللسان العربي. ولن نقف عند تفاصيل هذه النماذج، وسنحيل على هذه الأعمال للتوسع.

لقد ناقش مكارثي (1994) تصورا مفاده أن المجموعة الصوتية الحلقية (gutturals) في الألسن السامية تندرج ضمن الصنف الصواتي الطبيعي (natural class)؛ ولهذا اقترح تفريعا لعجرة الجذر إلى عجرة موضعية، وعجرة حنجرية، كما في (4)[3] .

(4) التمثيل لتفريع عجرة الجذر، حسب مكارثي (1994).

---

[1] - ينظر:

- الوادي محمد، بناء الجذر الصواتي في اللغة العربية، (2004)، ص187.

- الوادي محمد، أبحاث صواتية وصرافية في اللغة العربية، (2020)، صص268-269.

[2] - نحو: كليمنتس (1985)، ومكارثي (1988-1989أ-1989ب-1991-1994)، وهالي وبرت وأندرو (2000)، والوادي (2004، 2020)، وبوعناني (2010).

[3] - see: McCarthy, J. The phonetics and phonology of Semitic pharyngeals, Phonological Structure and Phonetic, (1994), P.223.

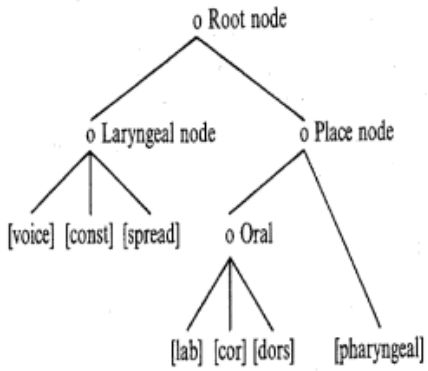

نسجل أن مكارثي جعل عجرة الجذر (Root node) تشرف على عجرة الموضع (Place node) وعجرة الحنجرية (Laryngeal node)، كما فرع عجرة الموضع إلى عجرة فموية (Oral) المسؤولة عن إنتاج المجموعة الصوتية الشفوية (lab) والمجموعة التاجية **(cor)** ثم المجموعة الظهرية (dors).

وانتقد الوادي (2004-2020) تصنيف مكارثي (1994) لكونه يرى أن الاعتماد على الخصائص النطقية للصوتيات غير كاف لنِسبة صوتيات ما إلى سمة معينة، أو وضعها تحت عجرة في شجرة سمات ما. وإنما يجب رصد طبيعة العلاقات الصواتية المشتركة بين هذه الصوتيات، لكون الأصناف الصواتية الطبيعة الواردة في الألسن الطبيعة تتقاسم الأحكام الصواتية نحو القواعد والقيود، علاوة على خصائص نطقية معينة. وبناء على هذا الطرح رأى الوادي أن ليس في القيود والقواعد الصواتية ما يبرر وضع مكارثي (1994) للحلقيات في اللسان العربي تحت عجرة الحلق في شجرة السمات[1].

إن القصد من النماذج الصواتية الهندسية هو تفسير كيفية توليد القطعات في شجرة السمات، بحيث تصبح شجرة السمات مولدا قطعيا (segment generator) يولد جميع أصوات الألسن الطبيعية، وهو ما يوضحه الوادي بقوله: "وذلك انطلاقا من اختيار القيمة التي تأخذها سمتا جذر الشجرة، وتحديد السمة الحرة التي ترتبط بجذرها، ثم تعيين العجرة التي تنتهي غليها القطعة المولدة (عجرة الفم أو عجرة الحلق)، ثم تبيين العضو النطقي، والسمة النهائية التي يشرف عليها هذا العضو"[2].

[1] - ينظر: الوادي محمد، أبحاث صواتية وصرافية في اللغة العربية، (2020)، صص 282-283.

[2] - المرجع نفسه، ص 288.

غير أننا نروم تجاوز توليد القطعة الصوتية إلى توليد الجذر بأكمله، الجذر الثلاثي خاصة، باعتباره مصفوفة من القطع الصوتية تحكمها مبادئ صواتية. نذكرها تباعا كالآتي:

2.1 المبدأ الصواتي العام:

يمكن أن نستنتج، بالعودة إلى أعمال أودن (1988)، ومكارثي (1994)، والوادي (2004)، أن المبادئ الصواتية العامة قائمة على مبدأ المحيط الإجباري (ocp)[1] الذي يمنع تجاور عنصرين متماثلين على مستوى طبقة من الطبقات؛ أي أنه يقتضي منع التأليف بين الصوامت التي تضم سمات متماثلة. خاصة على مستوى الموقع الأول والثاني من الجذر الثلاثي، وبناء على هذا المبدأ فإن نسق اللسان العربي المعيار لا يقبل جذورا ثلاثية من نمط الجذور المعبر عنها في (5)

(5) التمثيل للجذر الثلاثي.

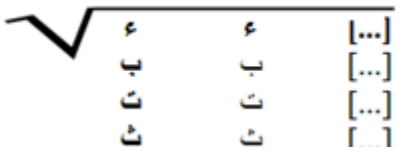

تؤكد العودة إلى معجم لسان العرب لابن منظور صحة التوصيف الوارد في (5). وقد تركنا الموقع الصامتي الثالث في الجذر فارغا [...] لأن اللسان العربي المعيار يسمح بانتشار العنصر الصامتي الثاني ليملأ ما بعده (العنصر الصامتي الثالث)، وبالتالي نكون أمام جذر ثنائي تكرر ثاني عناصره، وهو ما نورده في الجدول الآتي:

(الجدول1: أمثلة من الجذور الثلاثية المكررة العنصر الصامتي الثاني (المضعفة))

نسخه الأصواتي	الجذر
btt	ب ث ث
bŠŠ	ب ش ش
bll	ب ل ل
tmm	ت م م

1 - see: McCarthy, J, OCP Effects: Gemination and Antigemination, (1986), Linguistic Inquiry, p209.

نستنتج أن توليد الجذر الثلاثي للمفردة في اللسان العربي يتطلب احترام مبدأ المحيط الإجباري العام الذي لا يقبل أن تتطابق صوامت الموقع الأول والثاني للجذر، وهو ما يمكن أن تعبر عن هذه القاعدة بدالة رياضية نصوغها كالآتي:

- قاعدة منع تكرار حرفين متطابقين في الموقع الأول والثاني للجذر الثلاثي:

$$f(x) = not\ (x[0] == x[1])$$

3.1 المبادئ الصواتية الخاصة:

يمكن أن نخلص، في إطار هندسة السمات، إلى أن هناك مبادئ صواتية خاصة مسؤولة عن توليد الجذور الثلاثية، ليس في اللسان العربي فحسب، بل في جميع الألسن الطبيعية السامية، إذ يتعلق الأمر بكل مجموعة صوتية. وتنص هذه النظرية على أن عجرة الموضع (Place Node) تتفرع إلى عجرة الفم (oral node) المشرفة على الأعضاء المتدخلة لإنتاج الصوامت المنتجة داخل تجويف الفم؛ وهي[1]:

- مجموعة الصوامت الشفوية وهي: (ف،ب،م)، ويمثل لها في شجرة السمات بسمة [شفوي].
- مجموعة الصوامت التاجية؛ وهي: (ر، ل، ن، ت، د، ط، ث، ذ، ظ، ش، ض، س، ص، ز)، ويمثل لها في شجرة السمات بسمة [تاجي].
- مجموعة الصوامت الظهرية التي تنتج عبر الحاجبيات، وهي: (و، ي، ج، ق، ك)، ويمثل لها في شجرة السمات بسمة [ظهري].

ثم عجرة الحلق (pharyngeal node)، المشرفة على الأعضاء المتدخلة لإنتاج مجموعة الصوامت التي تنتج بين الحلق والحنجرة التي تضم المجموعات الآتية[2]:

- مجموعة الصوامت الجذرية، وهي: (ح، ع)، ويمثل لها في شجرة السمات بسمة [جذري].
- مجموعة الصوامت الحنجرية، وهي: (ء، هـ)، ويمثل لها في شجرة السمات بسمة [حنجري].
- مجموعة الصوامت الظهرية، وهي: (خ، غ)، ويمثل لها في شجرة السمات بسمة [ظهري].

1 - See: McCarthy, John J. 1991. Semitic gutturals and distinctive feature theory. In Bernard Comrie & Mushira Eid (eds.) Perspectives on Arabic linguistics III, 63–91. Amsterdam & Philadelphia: John Benjamins.

2 - See: McCarthy, John J. 1991. Semitic gutturals and distinctive feature theory..

جدير بالذكر أن تقسيم عجرة الموضع إلى عجرتين له مبررات يوضحها الوادي (2004) بقوله: "ونعتقد أن انشطار عجرة الموضع إلى عجرة فموية وعجرة حلقية ليس له ما يبرره على المستوى الأصواتي فحسب، وإنما له ما يبرره على المستوى الصواتي أيضا، ذلك أن هناك قواعد صواتية في اللغة العربية، وفي لغات أخرى، يكون مجال تطبيقها إما عجرة الفم أو عجرة الحلق، وهناك قيود تعمل على مستوى الأعضاء النطقية التي تشرف عليها إما عجرة الفم أو عجرة الحلق"[1]، وهذا ما قصدناه بالمبادئ الصواتية الخاصة؛ أي القوانين التي تشتغل حسب كل عجرة، أو عناصر داخل عجرة ما. وسنكشف، في قادم الصفحات، عن القوانين الصواتية والصوتية المسؤولة عن توليد الجذر الثلاثي في اللسان العربي، بعدما كشفنا عن المبدأ الصواتي العام.

1.3.1 مبدأ المحيط الإجباري وعجرة الفم:

تعد مجموعة الصوامت المندرجة تحت كل عجرة، في نظرية هندسة السمات، صنفا صواتيا طبيعيا، في الألسن الطبيعية، بناء على وجود قوانين صوتية وصواتية ناظمة لها؛ أي أن عجرة الفم تنطوي على قوانين مسؤولة عن توليد الجذور الثلاثية في الألسن السامية، واللسان العربي المعيار، تحديدا. وتذهب هذه النظرية إلى أن القيود الصواتية قد تعمل في مجال دون آخر؛ ولتخصيص مجال اشتغال القيود الصواتية نظر أصحاب النماذج الصواتية إلى الصوامت العربية على شكل مجموعات صوتية، تشكل صنفا صواتيا طبيعيا، فقسموا صوامت عجرة الفم إلى المجموعات الآتية:

- مجموعة الظهريات، وتنقسم إلى ظهريات رنانة (و، ي)، وظهريات حاجزية التي تتفرع إلى ظهريات حاجزية استمرارية (غ، خ)، وظهريات حاجزية غير استمرارية (ق، ج، ك).
- مجموعة التاجيات، وتتفرع إلى تاجيات رنانة (ل، ر، ن)، وتاجيات غير رنانة، التي تتفرع بدورها إلى تاجيات غير رنانة، غير استمرارية أو انفجارية (ت، د، ط)، وتاجيات غير رنانة استمرارية، أو احتكاكية، التي تتفرع إلى تاجيات غير رنانة استمرارية صريرية (ش، ض، س، ز، ص)، وتاجيات غير رنانة استمرارية غير صريرية (ث، ذ، ظ).

[1] - بناء الجذر الصواتي في اللغة العربية، محمد الوادي، (2004)، ص270.

- مجموعة الشفويات، وتتفرع إلى الشفويات الرنانة التي تضم صامتا واحدا (م)، والشفويات غير الرنانة، التي تتفرع بدورها إلى الشفويات غير الرنانة الصريرية، التي تضم صامتا واحدا (ف)، وأخيرا الشفويات غير الرنانة، غير الصريرية، التي تضم، بدورها، صامتا وحدا (ب).

وبالعودة إلى مجموعة الظهريات فإن مكارثي (1989-1994) يرى أن الصوامت التي تنتمي للعضو النطقي نفسه، وتشترك في سمة من سمات الجذر، تخرق مبدأ المحيط الإجباري، ولا ترد على مستوى الجذر ذاته، أي تصبح لاحنة ولا يقبلها اللسان العربي. ويمكن أن نرمز لهذا القانون صوريا كما في (6).

(6)[1] التمثيل لحالة خرق مبدأ المحيط الإجباري.

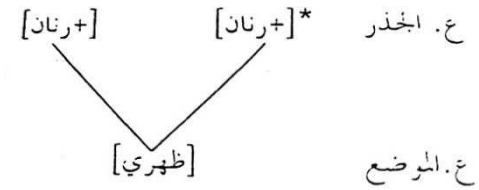

يعد هذا الجذر حسب مكارثي والوادي لاحنا في اللسان العربي لأنه يخرق مبدأ المحيط الإجباري؛ حيث سجّل وجود صامتين يتقاسمان السمة نفسها (+رنان) على مستوى الخط ذاته، وبناء على هذا المبدأ فإن الصوامت الظهرية الرنانة لا ترد في الجذور الثلاثية، في اللسان العربي المعيار، وبعبارة أخرى لا يمنع التأليف على مستوى الجذر بين الصوامت الآتية (و.ي).

ويمكن أن نؤكد هذا بالنظر إلى المعاجم العربية، بالإضافة إلى ما عبر عنه ابن منظور في مادة (ويس) بقوله: "امتنعوا من استعمال الفعل من الوَيْس لأَن القياس نفاه"[2]، وبالتالي يمكن أن نخلص إلى أن الظهريات الرنانة لا تأتلف على مستوى الموقع الأول والثاني من الجذر الثلاثي في اللسان العربي المعيار. ونعبر عن هذا الاستنتاج كالآتي: الجذر الثلاثي في اللسان العربي الذي يحتوي على ظهريات رنانة (و،ي) لاحن؛ بحكم مبدأ المحيط الإجباري الذي يمنع تجاور عناصر تشترك في السمة ذاتها.

وإذا ما تأملنا هذا المبدأ فإنه سيسري على جميع صوامت مجموعة الظهريات الحاجزية؛ بحيث سيمنع التأليف بين صوامت الظهريات الحاجزية الاستمرارية (غ، خ)، ثم الأمر نفسه بالنسبة

[1] - المرجع نفسه، ص 303.

[2] - ابن منظور، معجم لسان العرب، مادة، ويس.

للظهريات الحاجزية غير الاستمرارية (ق، ج، ك)، فنخلص إذا، إلى أن الجذر الثلاثي في اللسان العربي الذي يحتوي على ظهريات حاجزية استمرارية، (غ، خ)، أو على ظهريات حاجزية غير استمرارية (ق، ج، ك) لاحن؛ بحكم مبدأ المحيط الإجباري الذي يمنع تجاور عناصر تشترك في السمة ذاتها داخل المجموعة الصوتية ذاتها. ويمكن تعديل الاستنتاج السابق لنجمع جميع القواعد المسؤولة عن توليد الجذر الثلاثي في اللسان العربي المعيار، على مستوى مجموعة الصوامت الظهرية، وصياغته كالآتي:

لا تأتلف الصوامت الظهرية الرنانة (و،ي) على مستوى الموقع الأول والثاني للجذر الثلاثي في اللسان العربي المعيار، وكذلك، الأمر نفسه، بالنسبة لصوامت الظهريات الحاجزية الاستمرارية (غ،خ)، والقانون ذاته يسري على صوامت الظهريات الحاجزية غير الاستمرارية (ق، ج، ك). وهو ما يمكن أن نعبر عنه رياضيا كالآتي:

- قاعدة الظهريات الرنانة:

f(x) = not (x[0] in ['ي' ,'و'] and x[1] in ['ي' ,'و'])

- قاعدة الظهريات الحاجزية الاستمرارية:

f(x) = not (x[0] in ['خ' ,'غ'] and x[1] in ['خ' ,'غ'])

- قاعدة الظهريات الحاجزية غير الاستمرارية:

f(x) = not (x[0] in ['ك' ,'ج' ,'ق'] and x[1] in ['ك' ,'ج' ,'ق'])

ويقبل اللسان العربي أن تأتلف هذه الصوامت على مستوى الموقع الثاني والثالث، أو على مستوى الموقع الأول والثالث من الجذر الثلاثي؛ ولذلك مبررات صواتية؛ يبررها مبدأ الانتشار، ومبدأ ربط الأطراف كما اقترحته مورا يب[1] Moira Yip(1988) ، وهو الذي يسمح بتوليد جذور من قبيل: الجذور الموسومة باللفيف المفروق على مستوى الظهريات الرنانة (وقي، وشي، وعي)، أو الجذور

1 - Moira Yip, (1988), Template morphology and the direction of association, Natural Language & Linguistic Theory volume 6, pages551–577

المنضوية تحت الظهريات الحاجزية غير الاستمرارية (جبج[1]، كشك[2]، كثج[3]...)، أو الجذور المتصفة بالظهريات الحاجزية الاستمرارية، وإن لم يرد في لسان العرب إلا هذين الجذرين: (خوخ[4]، غوغ[5]).

وبتطبيق قانون **(ocp)** فإنه يفترض ألا يكون توليد كل جذر من جذور صوامت كل مجموعة من الموجموعات الصوتية الفرعية التي تندرج ضمن المجموعة الصامتية الكبرى التاجية السالفة الذكر غير ممكن. ولفحص هذه الفرضية نستدعي معطيات قاعدة بيانات هذه الأطروحة، وتكون النتائج كالآتي:

- على مستوى التاجيات الرنانة، نجد هذه الصوامت (ل، ر، ن) محققة في الجذور العربية ثلاثا وعشرين مرة، من مجموع (6516)، بما نسبته (0.35%)، كما يمكن تسجيلا ملاحظات حول هذه الجذور بملاحظة أن جذرين فقط يولّدان مفردات في العربية هما (رنق، ونرش)، في حين أن باقي الجذور إما دخيلة مثل (نرس، نرج)، أو ليست معيارية (لهجات) نحو: (نرد، نرز)، أو حكاية صوت، نحو: (رنأ، رنم، رنن)، أو جذور لأسماء جامدة؛ نحو: (نرو، رند، لنج). وقد تفطن ابن منظور إلى أن هذه الجذور ليست طبيعية، ولا تحترم نسق اللسان العربي، وهو ما نستشفه من قوله في جذر (نرش) إن ابن دريد لم يلحقه[6]، وقوله في (نرز): " ولم يجئ في كلام العرب نون بعدها راء إلا هذا "[7]، مع العلم أنه أدرج في معجمه جذورا من هذا القبيل دون هذا التعليق، من قبيل: (نرد، نرب، نرس، نرو، نرج). وبناء على هذه المعطيات النادرة يمكن أن نصوغ الاستنتاج الآتي: لا تأتلف الصوامت التاجية الرنانة (ل، ر، ن) على مستوى الموقع الأول والثاني للجذر الثلاثي في اللسان العربي المعيار. ويمكن أن نعبر عن هذا الاستنتاج على شكل قاعدة رياضية؛ وهي:

- قاعدة التاجيات الرنانة:

---

[1] - جبج: التهذيب: قد جَبَجَ إذا عظم جسمُه بعد ضَعْفٍ. ينظر ابن منظور، معجم لسان العرب، مادة جبج.

[2] - كشك: الكشك: ماء الشعير. ينظر: معجم لسان العرب، ابن منظور، مادة: كشك

[3] - كثج: التهذيب: كَثَجَ الرجلُ إذا أَكلَ من الطعام ما يَكفيه، ينظر: ابن منظور، معجم لسان العرب، مادة: كثج

[4] - خوخ: الخَوْخَةُ: واحدة الخَوخِ. والخَوْخَةُ: كُوَّة في البيت تؤَدِّي إليه الضوء. والخَوْخة: مُخْتَرَقٌ ما بين كل دارين لم ينصب عليها باب،بلغة أَهل الحجاز...ينظر: ابن منظور، معجم لسان العرب، مادة: خوخ

[5] - الغاغُ: الحَبَقُ، واحدته غاغةٌ، والغاغةُ: نبات يشبه الهربُون، ينظر: ابن منظور، معجم لسان العرب، مادة: غوغ

[6] - ينظر: ابن منظور، معجم لسان العرب، مادة: نرش.

[7] - المعجم نفسه، مادة: نرز.

f(x) = not (x[0] in ['ن', 'ر', 'ل'] and x[1] in ['ن', 'ر', 'ل'])

أما على مستوى مجموعة التاجيات الانفجارية؛ فقد تحققت الجذور التي موقعها الصامتي الأول والثاني أحد هذه الصوامت (ت، د، ط)، في معجم لسان العرب لابن منظور خمس مرات، من مجموع (6516)؛ أي ما نسبته (0.07%)، ووصف ابن منظور مجملها بالمهمل الذي أنكره المعجميون العرب القدامى، وهي أربعة جذور: (تطو، تطأ، دطر، طتأ)، أو بالجذور التي وقع لبس في فهم طبيعتها، وهي جذر (طدي) الذي يعتقد أن أصله (وطد)، وهو جذر جامد لا نجد له مفردات في اللسان العربي المعيار. وعلى هذا الأساس يمكن أن نصوغ الاستنتاج الآتي: لا تأتلف الصوامت التاجية الانفجارية (ت، د، ط)، على مستوى الموقع الأول والثاني للجذر الثلاثي في اللسان العربي المعيار. ونعبر عنه كالآتي:

- قاعدة التاجيات الانفجارية:

f(x) = not (x[0] in ['ط', 'د', 'ت'] and x[1] in ['ط', 'د', 'ت'])

ولا يختلف الأمر كثيرا على مستوى التاجيات الصريرية؛ إذ تحققت الجذور التي موقعها الصامتي الأول والثاني أحد هذه الصوامت (ش، ض، س، ز، ص)، أربع عشرة مرة، من مجموع (6516)؛ أي ما نسبته (0.21%)، مع تسجيل أن أغلب هذه الجذور جامدة، وعليه يمكن أن نصوغ الاستنتاج الآتي: لا تأتلف الصوامت التاجية الصريرية (ش، ض، س، ز، ص)، على مستوى الموقع الأول والثاني للجذر الثلاثي في اللسان العربي المعيار. الأمر الذي نعيد صياغته كالآتي:

- قاعدة التاجيات الصريرية:

f(x) = not (x[0] in ['ص', 'ز', 'س', 'ض', 'ش'] and x[1] in ['ص', 'ز', 'س', 'ض', 'ش'])

ويسري المبدأ بدوره على مستوى التاجيات غير صريرية (ث، ذ، ظ) لم يتحقق أي جذر ثلاثي يضم على مستوى الموقع الأول والثاني أحد الصوامت التاجية غير الصريرية. وبناء على هذا يمكن أن نصوغ الاستنتاج الآتي: لا تأتلف الصوامت التاجية غير الصريرية (ث، ذ، ظ)، على مستوى الموقع الأول والثاني للجذر الثلاثي في اللسان العربي المعيار. ونورده كالآتي:

- قاعدة التاجيات غير الصريرية:

f(x) = not (x[0] in ['ظ' ,'ذ' ,'ث'] and x[1] in ['ظ' ,'ذ' ,'ث'])

وبملاحظتنا لمجموعة الشفويات التي تشرف عليها عجرة الفم، وفحص مدى سريان قانون (ocp) على صوامت مجموعات عجرة الفم في اللسان العربي، فإننا نجد أن الشفويات الرنانة تضم صامتا واحدا (م)، والشفويات غير الرنانة، والشفويات الصريرية تضم صامتا واحدا (ف)، وأخيرا الشفويات غير الصريرية تضم بدورها، صامتا وحدا (ب)؛ ما يعني أن مجموعة الشفويات تضم صامتا واحدا على مستوى كل مجموعة فرعية، مما يدل على احتمال إمكانية التأليف بين هذه الصوامت (ف، ب، م) على مستوى الموقع الأول والثاني للجذر الثلاثي في اللسان العربي

غير أننا سجلنا، انطلاقا من تأمل الجذور الثلاثية الواردة في معجم لسان العرب، أن عدد الجذور الشفوية المحققة باعتبار الموقع الأول والثاني لعناصر الجذر، هو أربعة جذور فقط، كما أنها جذور دخيلة (بمم) أو غير معيارية (لهجية) نحو (فمم، مبد)، ويمكن أن نبرر صواتيا عمل قانون (ocp) على مستوى السمة المميزة لكل مجموعة شفوية بالاستناد إلى أعمال دريشر (1989)، وسلكرك (1989)، وباديجيت (1989) التي تنص على ما عبر عنه الوادي (2004) بقوله: "إن أية صورنة لقيود التأليف في اللغة العربية تطمح لتفسير الإمكانات الممكنة وغير الممكنة في هذا البناء، ينبغي أن تخصص المجال الذي تعمل فيه هذه القيود في سياق معين أو في سمة معينة"[1]

وعلى هذا الأساس فإن قانون (ocp) عمل على مستوى عجرة النطق في مجموعة الشفويات، وبالتالي فإن المانع من التأليف بين صوامت هذه المجموعة هو اتحادها في سمة [+شفوي]، في حين عمل على مستوى سمات الجذر، أو سمات الكيفية في باقي عناصر المجموعات المنضوية تحت عجرة الفم في اللسان العربي المعيار. ويمكن أن نصوغ الاستنتاج المتعلق بمجموعة صوامت الشفويات في الآتي: لا تأتلف الصوامت الشفوية (ف، ب، م)، على مستوى الموقع الأول والثاني للجذر الثلاثي في اللسان العربي المعيار. وعلى شكل دالة رياضية نصوغها على منوال الدوال السابقة كالآتي:

- قاعدة الشفويات:

f(x) = not (x[0] in ['م' ,'ب' ,'ف'] and x[1] in ['م' ,'ب' ,'ف'])

[1] - الوادي محمد، بناء الجذر الصواتي في اللغة العربية، (2004)، ص 338.

2.3.1 مبدأ المحيط الإجباري وعجرة الحلق:

نذكر بأن عجرة الحلق تشرف على الأعضاء المتدخلة لإنتاج مجموعة الصوامت التي تنتج بين الحلق والحنجرة، وتضم مجموعتين؛ هما: مجموعة الصوامت الجذرية، وهي: (ح، ع)، ويمثل لها في شجرة السمات بسمة [+جذري]، ومجموعة الصوامت الحنجرية، وهي: (ء، هـ)، ويمثل لها في شجرة السمات بسمة [+حنجري]؛ وحيث إن مبدأ (ocp) يسري على عجرة الفم ومجموعاتها الصامتية، فإنه يحتمل أن يسري على هذه العجرة أيضا.

مكننا فحص مدى سريان مبدأ المحيط الإجباري الخاص على الصوامت الحلقية في اللسان العربي المعيار من تسجيل أن الصوامت الحنجرية حققت ثمانية جذور، سبعة منها حل فيها الصمات (ء) على مستوى الموقع الأول لعناصر الجذر الثلاثي، والصامت (هـ) على مستوى الموقع الثاني، وجذرا واحدا حل فيه الصامت (هـ) على مستوى الموقع الأول متبوعا بالصامت (ء) على مستوى الموقع الثاني. وهو ما نورده في الجدول الآتي:

(الجدول 2: الجذور الثلاثية التي تضم الصوامت الحلقية في معجم لسان العرب)

معناه المعجمي الوارد في لسان العرب	نسخه	الجذر
أها : أَها : حكاية صوتِ الضَّحِك.	ʔhy	ء هـ ي
أهب : الأُهْبَةُ : العُدَّةُ.تَأَهَّبَ : اسْتَعَدَّ	ʔhb	ء هـ ب
أهر : الأَهَرَةُ، بالتحريك : متاع البيت.	ʔhr	ء هـ ر
أهق : الأَيْهُقانُ : الجَرْجِيرُ، وفي الصحاح : الجرجير البرّيّ،	ʔhq	ء هـ ق
أهل : الأَهْل : أَهل الرجل وأَهْلُ الدار، وكذلك الأَهْلة	ʔhl	ء هـ ل
أهن : الإهانُ : عُرْجُونُ الثَّمرةِ، والجمع آهِنَة وأُهُنٌ.	ʔhn	ء هـ ن
أهه : الأَهَّةُ : التَّحَزُّنُ. وقد أَهَّ أَهّاً وأَهَّةً.	ʔhh	ء هـ هـ
هأن : المُهْوَأَنُّ : المكانُ البعيد، وهو مثال لم يذكره سيبويه.	hʔn	هـ ء ن

وبغض النظر عن هذا الورود الضئيل الذي لا يتجاوز نسبة (0.12٪) فإن تدقيق النظر في طبيعة هذه الجذور يسفر عن كونها حكاية صوت (أها، أهه)، أو اسم نبات أو مكان (أهق، أهن، هأن)... وهو ما يؤكد سريان مبدأ المحيط الإجباري الخاص على مجموعة الصوامت الحنجرية، وبناء عليه يمكن أن نصوغ الاستنتاج الآتي: لا تأتلف الصوامت الحلقية الحنجرية (ء، هـ) على مستوى الموقع الأول والثاني للجذر الثلاثي في اللسان العربي المعيار.

أما بخصوص مجموعة الصوامت الجذرية، (ح، ع)، فقد حققت جذرا ثلاثيا وحيدا هو (ح ع ل)[1]، مما يؤكد سريان مبدأ المحيط الإجباري الخاص على مجموعة الصوامت الجذرية بقوة، على مستوى الموقع الأول والثاني للذر الثلاثي في اللسان العربي المعيار، الأمر الذي يجعلنا نخلص إلى صياغة الاستنتاج الآتي: لا تأتلف الصوامت الحلقية الجذرية (ع، ح) على مستوى الموقع الأول والثاني للجذر الثلاثي في اللسان العربي المعيار. ويمكن أن نعبر عن هذين الاستنتاجين كالآتي:

- قاعدة الحلقيات الحنجرية:

f(x) = not (x[0] in ['ء', 'ه'] and x[1] in ['ء', 'ه'])

- قاعدة الحلقيات الجذرية:

f(x) = not (x[0] in ['ح', 'ع'] and x[1] in ['ح', 'ع'])

ويمكن أن نعبر بصورة رياضية عن الشروط اللازمة لتوليد الجذر الثلاثي في اللسان العربي المعيار، والتي تم التوصل إليها سلفا، كما في الدالة الآتية:

(7) دالة رياضية تعبر عن قوانين تكوين الجذر الثلاثي في اللسان العربي المعيار

```
f(x) = ¬(x[0] = x[1] ∨
(x[0] ∈ ['و', 'ي'] ∧ x[1] ∈ ['و', 'ي']) ∨
(x[0] ∈ ['غ', 'خ'] ∧ x[1] ∈ ['غ', 'خ']) ∨
(x[0] ∈ ['ق', 'ج', 'ك'] ∧ x[1] ∈ ['ق', 'ج', 'ك']) ∨
(x[0] ∈ ['ل', 'ر', 'ن'] ∧ x[1] ∈ ['ل', 'ر', 'ن']) ∨
(x[0] ∈ ['ت', 'د', 'ط'] ∧ x[1] ∈ ['ت', 'د', 'ط']) ∨
(x[0] ∈ ['ش', 'ض', 'س', 'ز', 'ص'] ∧ x[1] ∈ ['ش', 'ض', 'س', 'ز', 'ص']) ∨
(x[0] ∈ ['ث', 'ذ', 'ظ'] ∧ x[1] ∈ ['ث', 'ذ', 'ظ']) ∨
(x[0] ∈ ['ف', 'ب', 'م'] ∧ x[1] ∈ ['ف', 'ب', 'م']) ∨
(x[0] ∈ ['ء', 'ه'] ∧ x[1] ∈ ['ء', 'ه']) ∨
(x[0] ∈ ['ح', 'ع'] ∧ x[1] ∈ ['ح', 'ع']))
```

تستخدم الدالة الشروط المذكورة سلفا لتحديد ما إذا كانت الحروف الثلاثة التي يدُخلها المستعمل يمكن أن تكون جذرا ثلاثيا مجردا للمفردات في اللسان العربي، أو أن نظامه لا يقبل ذلك النمط من الصوامت لتكوين الجذر الثلاثي، فإذا تضمن الإدخال خطأ واحدا فإن عملية توليد الجذر

[1] - حعل : ابن بري : حَيْعَل الرجلُ إذا قال حَيَّ على الصلاة، ينظر: ابن منظور، معجم لسان العرب، مادة: حعل.

لن تكتمل، فبحسب قوانين الصواتة اللاخطية، لا يوجد جذر ثلاثي لا تُعبّر عنه الدالة (2)، وإن وُجِد فمن النادر أو الدخيل أو المعرب. مما لا يسمح المجال بالتفصيل فيه.

خلاصة القول يمكن أن نلاحظ أن هذه الدالة تتضمن مجموعات صامتية، وتتدخل الدالة لتفحص العنصر الصامتي الذي يوجد على مستوى الموقع الأول والثاني للجذر الُمدخل من طرف مستخدم البرنامج، وتتم إجراءات المقارنة وفقًا للشروط المتضمنة في الدالة الرياضية (7). وفي حالة كان الصامت الأول والثاني تنطبق عليه أيًا من الشروط المذكورة، فسيكون التوليد خاطئا؛ أي أن الجذر لاحن في اللسان العربي. وإلا فستكون النتيجة صحيحة؛ أي أن الجذر مستعمل أو يمكن استعماله في اللسان ذاته.

على سبيل المثال، إذا تم إدخال الصوامت "ك ت ب" في مكان الإدخال على البرنامج، فستكون القيمة المعادة "صحيحة"، لأن الحرف الصامت الأول "ك" غير مكرر في الموقع الثاني للجذر، ولا يوجد أي عنصر صامتي من عناصر مجموعته (ق،ج،ك) على مستوى الموقع الثاني للجذر، والأمر نفسه بالنسبة للصامت (ت) الذي لم يخرق، بدوره أي قانون من قوانين التأليف بين الجذور الثلاثية في اللسان العربي المعيار.

وإن بإمكان هذه الدالة أن تسعفنا في الشروع لبلورة برنامج لتوليد الجذر الثلاثي في اللسان العربي، عن طريق تحويل هذه الدالة إلى أكواد برمجية، وهو ما يؤكد مدى أهمية القوانين الصواتية والصوتية في توليد المفردة العربية.

2. توصيف المولد الآلي للجذور الثلاثية في اللسان العربي

عملنا على ترجمة الدالة الرياضية (7) إلى أكواد برمجية بلغة بايثون (Python)، وعملنا بالخطوات الثلاث الواردة في (2.1) من هذا المقال، فخلصنا إلى برنامج يولد آليا الجذور الثلاثية التي يسمح بها نظام اللسان العربي المعيار، وذلك بفحص الحروف المدخلة من المستعمل ومدى موافقتها للدالة (2)، دون أن يتضمن البرنامج أي لائحة معجمة، أو قاعدة بيانات مخزنة للجذور الثلاثية التي تتضمنها المعاجم العربية الورقية أو الإلكترونية. وهو ما يبينه الشرط البرمجي الآتي:

```
if (root[0] == root[1] or
    (root[0] in ['و', 'ي'] and root[1] in ['و', 'ي']) or
    (root[0] in ['غ', 'خ'] and root[1] in ['غ', 'خ']) or
    (root[0] in ['ق', 'ج', 'ك'] and root[1] in ['ق', 'ج', 'ك']) or
    (root[0] in ['ل', 'ر', 'ن'] and root[1] in ['ل', 'ر', 'ن']) or
    (root[0] in ['ت', 'د', 'ط'] and root[1] in ['ت', 'د', 'ط']) or
    (root[0] in ['ش', 'ض', 'س', 'ز', 'ص'] and root[1] in ['ش', 'ض', 'س', 'ز', 'ص']) or
    (root[0] in ['ث', 'ذ', 'ظ'] and root[1] in ['ث', 'ذ', 'ظ']) or
    (root[0] in ['ف', 'ب', 'م'] and root[1] in ['ف', 'ب', 'م']) or
    (root[0] in ['ء', 'ه'] and root[1] in ['ء', 'ه']) or
    (root[0] in ['ح', 'ع'] and root[1] in ['ح', 'ع'])):
```

يتضمن الشرط البرمجي السالف الخلاصات التي توصلنا إليها سلفا، وهو كما يلاحظ القارئ أنه عبارة عن شرط يفحص مدى سلامة الجذر الثلاثي للمفردة العربية، وقد مكننا هذا الشرط البرمجي من بلورة البرنامج الآتي:

(8) صورة للبرنامج الآلي المولد للجذر الثلاثي في اللسان العربي المعيار

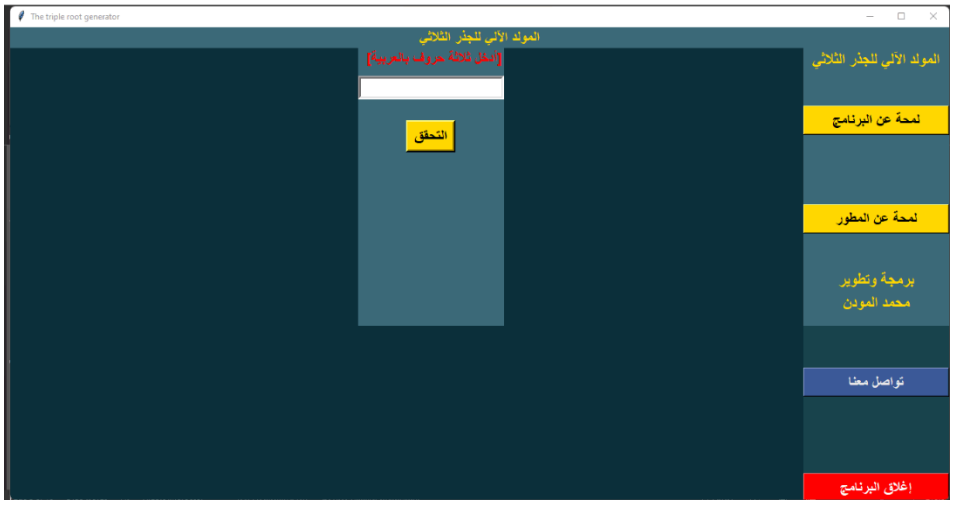

تُظهر (8) صورة للبرنامج الآلي المولد للجذور الثلاثية في اللسان العربي المعيار، وتعد خانة الإدخال التي تظهر في وسط الصورة أهم ما في البرنامج؛ إذ من خلالها، يُدخل مستعمل البرنامج ثلاثة حروف، كما تنص على ذلك التعليمة باللون الأحمر "أدخل ثلاثة حروف بالعربية". ثم زر التحقق الذي يتكفل بنقل الحروف المدخلة وعرضها على الدالة الرياضية المعبر عنها في (7)، فإذا احترمت

كل شروطها تظهر للمستعمل رسالة تقول: "الجذر صحيح، حسب قوانين هندسة السمات في الصواتة اللاخطية".

أما إذا اختل أي شرط من شروط الدالة (7) فإن ذلك يعني أن الحروف المدخلة لا يمكن أن تولد جذر ثلاثيا للمفردة في اللسان العربي المعيار، وبالتالي تظهر للمستعمل رسالة تقول: "هناك قوانين صواتية تمنع من تكوين هذا الجذر في اللسان العربي المعيار". أما باقي الأزرار فهي تعطي معلومات إضافية عن البرنامج، كلمحة عن البرنامج، أو لمحة عن المبرمج والمطور له، ثم زر للتواصل معنا قصد تلقي ملاحظات المستخدمين، أو للإجابة عن تساؤلاتهم....

ويمكن أن نقدم أمثلة لاستخدام البرنامج مع محاولات اختبار حروف معينة، وهو ما سنُظهره في (9)أ، و(9)ب.

(9) أمثلة عن فحص مدى سلامة نتائج البرنامج

أ

ب

يستطيع القارئ أن يلاحظ أن البرنامج اشتغل بنجاح مع الإدخالين معا؛ حيث أعطى نتيجة إيجابية مع إدخال (9)أ الذي قدم فيه المستخدم ثلاثة حروف هي: (ع م ل) فكان الخرج هو أن الجذر صحيح حسب قوانين هندسة السمات في الصواتة اللاخطية. أما الإدخال في (9)ب فكانت نتيجته خاطئة لأن الحروف الثلاثة المدخلة (ض ض ب) تخرق شرطا من شروط الدالة (7)؛ وهو تكرار الصامت (ض) على مستوى الموقع الأول والثاني للجذر الثلاثي. وهو ما لا يسمح به مبدأ (ocp) في الصواتة اللاخطية، كما أسلفنا.

3. حدود المولد الآلي للجذور الثلاثية في اللسان العربي وآفاقه

يركز المولد الآلي للجذور الثلاثية في اللسان العربي على إنشاء برنامج يولد الجذور الثلاثية للمفردة العربية بناءً على قواعد صواتية رياضية حاسوبية؛ حيث قمنا بتحويل القواعد الصواتية إلى أدوات رياضية وبرمجية كما أسلفنا. واتضح أنه من خلال دالة برمجية مصورنة يمكن للبرنامج التحقق من مدى إمكانية توليد جذر ثلاثي ما من عدمه.

ورغم فعالية هذا الطرح في تحويل المعرفة النظرية إلى برنامج عملي، إلا أن له حدودا يمكن أن نختزلها في تركيزه على الجذور الثلاثية فقط، ورغم كونها الأكثر استعمالا في العربية، فإنه وجب التعامل مع باقي الجذور المجردة والمزيدة على حد سواء، حتى يتسنى لنا الانتقال إلى التعامل مع المفردة العربية بمختلف أبنيتها، وبالتالي التعامل مع النصوص العربية ومعالجتها معالجة آلية.

وهنا وجبت الإشارة إلى أن هذا البحث يُعَدّ لبنة في مشروع يتقاسمه العديد من الباحثين الشباب[1]، بإشراف الأستاذ محمد التاقي لسنوات طوال. وهو مشروع يروم مقاربة القضايا العالقة في التصريف العربي برؤية جديدة وأدوات اشتغال معاصرة، دون أن يكون له أي موقف سلبي من الدرس التراثي اللغوي؛ إذ يجعل من التراكم المعرفي سبيلا لتطوير البحث اللساني لخدمة قضايا الألسن الطبيعية جمعاء[2].

وبناء على ذلك فإن هذا البرنامج يفتح آفاقا جديدة لنقل المعرفة اللسانية إلى تطبيقات عملية تشمل معالجة جميع الجذور المجردة والمزيدة، مما سيجعل البرنامج قادرا على التعامل مع كافة أنواع الجذور. والانتقال إلى مستوى أعمق يبين العلاقات القائمة بين الجذور والعناصر الصائتية والصيغ الصرفية.

ونتطلع إلى تطوير برنامج يسهم في معالجة النصوص العربية بشكل يحاكي ما يحدث في دماغ المتكلم العربي، انطلاقا من التصور التوليدي للقدرة والإنجاز، ولا يخفى على الباحثين والمهتمين أن مثل هذه البرامج تسعف في توظيفها في تطبيقات تعليمية، حيث يمكن برمجة تطبيقات تفاعلية تساعد على تعليم وتعلم المعجم العربي.

---

1 - أمثال: الفتاك (2023)، ودهاب (2023)، والرزاقي (2023)، وبغداد (2024)، وغيرهم...

2 - انظر: المودن، محمد، دراسة صرف-صواتية حاسوبية للمصادر الثلاثية المجردة الواردة في معجم لسان العرب لابن منظور، (2024)، أطروحة لنيل الدكتوراه في اللسانيات وقضايا اللغة العربية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط. ص9.

كما يمكن للبرنامج أن يكون مرجعا للباحثين في مجال الدراسات اللسانية، انطلاقا من توفير برامج تمكن من فحص فرضيات البحث، وتقديم نتائج بدقة وسرعة[1]، بدل البحث في المعاجم العربية الورقية الضخمة، وما يترتب على ذلك من استنزاف للجهد، وهدر للوقت، كما نتطلع إلى القدرة على تحليل بيانات ضخمة من العربية المعاصرة، مثل النصوص المنشورة على وسائل التواصل الاجتماعي أو المواقع الإلكترونية. وفي الأخير نعمل على إمكانية دمج البرنامج مع تقنيات الذكاء الاصطناعي. وهذا ما سنشتغل عليه في قادم الأبحاث.

خاتمة:

يتضح جليا، أن اعتمادنا نظرية هندسة السمات مدخلا أساسا لتطوير البحث الصرفي العربي، له ما يبرره. فقد حاولنا في هذا المقال بناء برنامج يحاكي ما يحدث في دماغ المتكلم العربي ليقوم بتوليد الجذور الثلاثية التي يسمح بها نظام اللسان العربي، بناء على قواعد صورية، على شكل دوال رياضية، مستنبطة من دراستنا لآليات تشكيل المفردة العربية، ويمكننا إجمالا تلخيص أهم ما توصلنا إليه في الآتي:

- إن المعالجة الآلية للمفردة في اللسان العربي تقتضي الإلمام بالنظريات الصرف صواتية ما بعد المعيار؛ لكون التوصيف العربي القديم لآليات تشكيل المفردات غير كاف، لأنه لم تكن دواعي لهفي زمن التقعيد.
- إن من شأن تطبيق مبادئ الصواتية الخطية أن يسفر عن استنباط قواعد صواتية تتحكم في تشكيل الجذور الثلاثية في اللسان العربي المعيار، وأنها قواعد قابلة للصورنة.
- توجد دوال تتحكم في تشكيل المفردة العربية انطلاقا من الكشف عن دالة تشكيل الجذور الثلاثية.
- برمجة برامج صرافية تحاكي ما يحدث في دماغ المتكلم العربي، انطلاقا من مبدأ اللسانيات التوليدية القاضي بكون عقل الإنسان أشبه بالحاسوب؛ إذ يعتمد على التوليد بدل الاستدعاء من معاجم مخزنة في الدماغ، من شأنه أن ييسر عملية تعليم العربية ورقمنتها، بشكل ينسجم وطبيعة التحديات المعاصرة.

1 - انظر: المودن، محمد .مقاربة صواتية للتوليد الآلي للجذور الثلاثية في اللسان العربي المعيار، (2023)، مجلة دليل الآداب واللغات، (2)، (2)، 9-25.

لائحة المصادر والمراجع:

باللغة العربية:

مقالات في مجلات:

- **المودن، محمد .(2023) .**مقاربة صواتية للتوليد الآلي للجذور الثلاثية في اللسان العربي المعيار. مجلة دليل الآداب واللغات، (2)، (2)، 9-25.

كتب:

- **ادروا، يوسف. (2013).** الأفعال المضعفة في اللغة العربية، دراسة صرف صواتية مستقلة القطع. عالم الكتب الحديث، الأردن.

- **ابن منظور. (ط2005).** معجم لسان العرب. دار صادر، بيروت.

- **الوادي، محمد. (2020).** أبحاث صرافية وصواتية في اللغة العربية. كنوز المعرفة، عمان.

أطاريح جامعية:

- **المودن، محمد، (2024)،** دراسة صرف-صواتية حاسوبية للمصادر الثلاثية المجردة الواردة في معجم لسان العرب لابن منظور، أطروحة لنيل الدكتوراه في اللسانيات وقضايا اللغة العربية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط.

- **الوادي، محمد. (2004).** بناء الجذر الصواتي في اللغة العربية. أطروحة لنيل دكتوراه الدولة في اللسانيات، جامعة مولاي إسماعيل، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مكناس-المغرب.

باللغات الأجنبية

- Kenstowicz, and Kisseberth. (1979). Generative Phonology: Description and Theory. Academic Press.

- McCarthy, J. (1981). A prosodic theory of nonconcatenative morphology. Linguistic Inquiry, Vol. 12, No. 3.

- McCarthy, J. (1986). OCP Effects: Gemination and Antigemination. Linguistic Inquiry, Vol. 17, No. 2, p209.

- McCarthy, J. (1994). The phonetics and phonology of Semitic pharyngeals. In Phonological Structure and Phonetic Form: Papers in Laboratory Phonology III, 86.
- McCarthy, John J. (1991). Semitic gutturals and distinctive feature theory. In Bernard Comrie & Mushira Eid (eds.), Perspectives on Arabic linguistics III, 63–91. Amsterdam & Philadelphia: John Benjamins.
- Yip, Moira. (1988). Template morphology and the direction of association. Natural Language & Linguistic Theory, Vol. 6.

منهج العلم في الإبستمولوجيا البوبرية

The method of science in Popperian epistemology

الباحث: مولود البيكم
مختبر الإنسان والمجتمعات والقيم
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
جامعة ابن طفيل، القنيطرة
المملكة المغربية
mouloud.elbikam@uit.ac.ma
الأستاذ أحمد مصلح
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
جامعة ابن طفيل، القنيطرة
المملكة المغربية
ahmed.moslih@uit.ac.ma

الملخص

تعتبر إشكالية منهج العلم إشكالية أساسية ضمن النسق الإبستمولوجي والفلسفي لكارل بوبر، حيث استغرقت تفكيره، وقد شكل نقده للاستقراء، بوصفه منهجاً للعلوم، لحظة تأسيس وتفكير في بناء تصور ميتودولوجي يميز العلم عن اللاعلم من جهة، ومنطق المعرفة عن سيكولوجيتها من جهة أخرى، وكان لزاماً في هذا السياق استبعاد الذاتية Subjectivisme التي قد تفسد على العلم موضوعيته، واتخاذ "القرارات المنهجية" التي تحسم في معالجة الإشكالات والقضايا العلمية وفق المنهج النقدي وهو منهج المحاولة واستبعاد الأخطاء الذي يُناظِر "الداروينية البيولوجية" ويمكن من حل المشاكل التي تواجه الكائن الحي في الطبيعة والعالِم في مختبره من أجل اختيار أحسن الحلول واستبعاد الخطأ، إنه منهج يجعل المعرفة تسير في حلقات متتالية، وكل حلقة تبدأ من سابقتها تؤدي إلى لاحقتها، وكل نتيجة تخلق بدورها إشكالاً يستدعي التفكير فيه، وهذا هو جوهر المنهج العلمي باعتباره منهج لا يستقر على حقيقة مطلقة، ولا يسقط في فكر يقيني جامد، بل يجعل كل معرفة علمية تُفند نفسها إذا توفرت شروط تفنيدها ودحضها.

الكلمات المفاتيح: المنهج، الاستقراء، كارل بوبر، الخطأ، الدحض.

ABSTRACT

The issue of the method of science within Karl Popper's epistemological and philosophical paradigm is fundamental, as it consumed his thinking, and his critique of induction as a method of science constituted a moment of establishment and reflection in building a methodological conception that distinguishes science from non-science on the one hand, and the logic of knowledge from its psychology on the other hand. In this context, it was necessary to exclude subjectivism that may spoil the objectivity of science, and to make 'methodological decisions' that determine the treatment of scientific issues and questions according to the critical method, which is the method of trying and excluding errors. It is an approach that makes knowledge proceed in successive loops, each loop starting from the previous one and leading to the next, and each result in turn creates an issue that requires reflection, and this is the essence of the scientific method as a method that does not settle on an absolute truth, nor does it fall into a rigid certainty, but rather makes every scientific knowledge disprove itself if the conditions for its disbelief and refutation are met.

Keywords: Method, induction, Karl Popper, error, refutation.

المقدمة

يمثل المنهج مَعْلَماً أو مجموع الرؤى والتصورات التي يتم تشكيلها حول العالم، والهادفة لمعرفته بأدوات نظرية وعقلية ليست معزولة، وإنما تؤسس لفهم دقيق حول الأشياء، إنها أدوات حالَّةٌ في الواقع، مندمجة في مشكلاته وظواهره، ويعرفه لالاند André Lalande بكونه "طريق نصل من خلاله وبه إلى نتيجة معينة، حتى وإن كانت هذه الطريق لم تتحدد من قبل تحديداً إرادياً ومترواياً" (لالاند، 2001) بمعنى أنه مَعْلَمٌ يستدعي التسلح بمنطق عقلي صارم، وبنية مفاهيمية واستدلالية مترابطة ومنسجمة، ضمن برنامج ينظم مسبقاً سلسلة عمليات ينبغي إتمامها، وتدل على بعض الأخطاء الواجب تفاديها، بغاية بلوغ نتيجة معينة.

أما المنهج العلمي، فيمثل مجموع الخطوات المنهجية التي يسعى من خلالها الباحث إلى بناء معرفة علمية دقيقة بالظواهر، وهو المعنى الذي استغرق الفكر المعاصر، ويعرفه كارل بوبر Karl popper بكونه "سيرورة عقلانية تقترب من الحقيقة وتساعد على ذلك"(Popper, 2019) وهو سيرورة نظرية تتضمن أدوات ومفاهيم وخطاطات وطرق تمكن من فهم الظواهر والقضايا على نحو أفضل، ومعرفة ترابطاتها وتشابكاتها المختلفة.

وإذا كانت العلوم بصيغتها الكلاسيكية لا سيما العلوم التجريبية كما تحددت صورتها خلال القرن السابع عشر مع "فرنسيس بيكون" وغيره من الفلاسفة التجريبيين، قد قامت على المنهج الاستقرائي، فكيف يمكن للاستقراء أن يكون مبدئاً للعلم وأساساً دقيقاً له؟ هل يمكن اعتبار الاستقراء معياراً كافياً للحكم على معرفة الظواهر؟ هل المعرفة الناتجة عن الاستقراء موضوعية أم ذاتية؟ ألا يمكن الحديث عن معيار بديل للاستقراء؟

1. أهمية الاستقراء وحدوده

يحمل الاستقراء في اللغة معاني التتبع ومعرفة الحالات المتنوعة التي تظهر فيها الأشياء، والمفضية إلى معرفة بخصائصها، "و يُقال استقراء عندما يقود البحث في عدة أمور خاصة إلى معرفة حقيقية عامة. مثاله، عندما بانَ في بحار كثيرة أن ماءها مالح، وفي أنهر كثيرة أن ماءها

عذب، كان الاستنتاج عموماً بأن ماء البحر مالح وأن ماء الأنهر عذب"(لالاند، 2001). يظهر من خلال هذا التعريف أن الاستقراء يقوم على عمليات ملاحظة لعناصر جزئية متفرقة لا يظهر أن بينها رابط، لكن يقود تحليل روابطها، إلى استنتاج معرفة عامة، أو قانون يربط بينها، ويجعل إمكانية التعميم ممكنة، إنه مسار فكري يتضمن في عناصره عمليات استدلالية وتنبؤية، وقد حدد فرنسيس بيكون Francis Bacon السبيل الوحيد إلى معرفة صور الطبيعة forme de nature بتطبيق المنهج الاستقرائي عبر إجراء سلسلة من التجارب على الظواهر التي تتبدى فيها الطبيعة البسيطة، ثم القيام بتسجيل نتائج هذه التجارب ضمن سجل تصنيفي يتكون من ثلاثة لوائح، تُنظَّم فيه المعلومات المستقاة تنظيماً يتيح معرفة صور هذه الطبيعة البسيطة، ولم يكن الاستقراء سوى منهجاً يقود إلى وضع قوانين عامة عبر عملية تعميم تكون بمثابة حكم ينطبق على الظواهر الطبيعية، وهي تبقى غير يقينية واحتمالية Probabilité يقول بوبر:" حسب المشكلة التقليدية للاستقراء، سأضع صيغة له انطلاقاً من طرح السؤال التالي: ما الذي يبرر الاعتقاد بأن المستقبل مماثل للماضي؟ ما الذي يبرر الاستدلالات الاستقرائية؟ صيغ مثل هذه، هي معيبة لعدة أسباب منها الافتراض المسبق أن المستقبل سيكون مماثلاً للماضي، وهو افتراض أعتبره من منظوري الخاص افتراضا خاطئاً إلا إذا أخذنا كلمة "مماثل" Semblable بمعنى مرن يجعل "الافتراض المسبق" فارغاً ومجرداً

La présupposition vide من المعنى. كما أن هناك افتراضاً آخر يتمثل في أن هناك استدلالات استقرائية، وكذلك قواعد استدلالية، وهذا الافتراض لا ينبغي أن يتم دون نقد"(Popper، 2019). يطرح الاستقراء صعوبة ترتبط بمدى صدقية أحكامه وتعميماته القائمة على افتراض المماثلة، وهو افتراض مسبق وقبلي، وليس قائماً على منطق عقلاني منسجم مع المعطيات التجريبية، كما أنه يطرح قضايا السببية والانتظام الموجودين في الطبيعة، فإذا كان الافتراض بأن المستقبل سيأتي عندما يزول الحاضر وفق مبادئ السببية la causalité وانتظام الطبيعة uniformité de la nature (هيوم، 2008) فإن هذه المبادئ

ليست سلسلة استدلالات تجريبية وُجدت في الطبيعة بواسطة تعميمات منطقية وعقلية، وإنما هي أسس موجودة في الحس المشترك (Popper Le sens commun، 2019)لذي يمثل نظرية في المعرفة يمثلها بوبر بالدلو أو السلة l'esprit seau حيث تقوم الحواس خاصة البصر، بجمع المعلومات وتعبئتها في هذا الدلو، وإذا أردنا اكتساب المعرفة بأي شيء، فما علينا إلا أن نفتح عيوننا وحواسنا، حيث أن رؤية الحس المشترك تعكس عملية التعبئة المعرفية، وهي عملية قائمة على انتظارات أو توقعاتdes attentes وتطرح الاعتقاد بوجود نُظم معينة لبعض الظواهر والقوانين الطبيعية، الأمر الذي يقود إلى كيفية نشأة هذه التوقعات والمعتقدات، فكيف تتشكل هذه التوقعات؟

تنشأ هذه الانتظارات أو التوقعات، وفق رؤية الحس المشترك، من خلال تكرار الملاحظات التي حدثت في الماضي، فإذا تم الاعتقاد بأن الشمس ستشرق غداً فإن سبب ذلك هو شروقها في الماضي، حيث أنه وُجدت ملاحظات متكررة، وهي الكفيلة بتفسير نشأة الاعتقاد وتبريره. يستدعي البحث في الاستقراء مقاربة مشكلتين وهما: مشكلة منطقية Le problème logique متعلقة بتبرير صحة معطيات الاستقراء، بمعنى مدى وجود التعليل الكافي للانتقال من الحالات المتكررة التي وقعت في التجربة إلى الحكم على الحالات التي لم تُعرف من قبل، ومشكلة سيكولوجية Le problème psychologique ترتبط بالتكرار وأثره السيكولوجي، ويمكن التعبير عن هذه المشكلة عبر صياغة السؤال التالي : لماذا يتم التوقع بشكل وثوقي و مطلق أن الحالات التي لم تقع في التجربة بشكل مسبق سوف تطابق تلك التي وقعت سلفاً؟

يجيب هيوم D.Hume بقوله" إن العادة la coutume أو الأُلفة Habitude هي المبدأ الذي يجعل الإنسان يعتقد في انتظام الحوادث والوقائع، وهو مبدأ من مبادئ الطبيعة الإنسانية يقره الكل ومعروف بمفاعيله"(هيوم، 2008).

ارتبطت مسألة الاستقراء بالتساؤل عن مدى صحة قوانين الطبيعة، حيث يظهر التناقض الظاهري بين الطرح التجريبي الأساسي من جهة -أي أن التجربة وحدها هي التي تستطيع البث

في صحة أو خطأ العبارات الواقعية-والوعي بعدم صحة البراهين الاستقرائية المعممة من جهة أخرى.

إن حصر الاستقراء في الحس المشترك وربطه بالعادة يجعل الفهم "الهيومي" فاقدا للدقة العلمية فضلاً عن الصرامة الفلسفية والمنطقية، فهذا الفهم يمكن نفيه على ثلاثة مستويات: تجريبية ومنطقية وسيكولوجية.

يقوم النقد في المستوى التجريبي على أن التكرار لا يُرسخ الاعتقاد بالقانون ولا يبني معرفة حوله، بل يوهم الوعي بحقيقة شيء زائف "فمثلاً في حالة القيام بعزف قطعة موسيقية صعبة على البيانو يبدأ العازف مركزاً وعيه وإحساسه، وبعد قدر كافٍ من التكرار يعزف دون انتباه لقانون"

(Popper, Conjectures and refutations 1976) يساهم التكرار في جعل العمل يمر آلياً ومرناً، لكنه يمحو الوعي بالقانون، ويخلق العادة بوصفها ممارسة سلوكية يومية، والاعتقاد Croyance لا ينبغي استعماله للدلالة على اليقين في القانون، وإنما ينبغي استبداله بلفظ "نظرية تفسيرية" théorie explicative وبدلاً من لفظ "الانطباع"impression نستعمل "كشفاً أو بيان ملاحظة"

Enoncé d’observation أما الصياغة المنطقية النقدية للاستقراء فيمكن ترجمتها كما يلي : "هل يمكن تعليل القول بأن صدق نظرية كلية تفسيرية يقوم على أسباب تجريبية مثل افتراضنا صدق قضايا اختبار أو قضايا ملاحظة تستند إلى التجربة؟"(Popper,La Connaissance Objective, 2019) والجواب أنه لا يمكن تبرير ذلك، لأن أي عدد ممكن من قضايا الاختبار الصادقة، لا يمكن أن يكون مبررا لصدق النظرية، فالتجربة سواء كانت تتعلق بالملاحظة أو بنتيجة تجريبية يمكن اعتبارها قضية جزئية (حيث إنه يمكن معرفة صدق القضية الكلية من التجربة)، فذلك يعني إرجاع صدق القضية الكلية إلى صدق القضية الجزئية دون سند منطقي.

لقد استند هذا التصور إلى عنصر التكرار القائم على التماثل Similarity أو التشابه Resemblance لكنه لم يُدرك وجود تكرار في تسلسل الأحداث التي لا تقبل التفكير أو البحث، وتفرض نفسها بحكم كثرة تكرارها مثل دقات الساعة المنزلية، فالتكرار لا يمكن أن يكون كاملاً، حيث أن الحالات المتصورة ذهنياً ليست من جنس هويتها Pefect Sameness بل يمكن إجمالاً أن تكون حالات تماثل Similarity لذلك تكون فقط من وجهة نظر معينة، وهي سابقة على إدراك التكرار ثم تحكم بعد ذلك البناء المنطقي لإدراكه (بوبر، 2007). إن وضع قوانين علمية مسبقة باعتبارها أوليات منطقية اعتماداً على إدراك المتماثلات Analogies أي على إدراك ما يتم الحكم عليه بكونه تكرارات، من الناحية المنطقية، يشكل سبقاً منطقياً للفروض والتوقعات من النظريات والتخمينات Conjectures الموجودة قبل أن تكون تكرارات، لذلك تكون الافتراضات العلمية سابقة منطقياً وزمانياً على إدراك الملاحظات المتكررة.[1]

يظهر النقد السيكولوجي لمسألة الاستقراء في التأكيد على أن التماثل هو نتاج تجارب تتضمن تفسيرات أو توقعات، لهذا يستحيل شرح هذه التفسيرات باعتبارها نتاج تكرار متعدد، إذ أن التكرار يجب أن يكون مؤسساً على التماثل، فالتوقعات التي يمارسها الذهن هي الأساس الذي يقوم عليه التكرار، وليس نتيجة له، وصيغة التكرار لا يمكن الدفاع عنها بأي شكل من الأشكال، وهذه الاعتقادات هي في جزء منها اعتقادات فطرية أو تعديلات لاحقة والناتجة عن "منهج المحاولة واستبعاد الخطأ".

بناءً على ذلك، فإن الاعتقاد البراغماتي بنتائج محددة للعلم ليس عقلانياً، لأنه لا يوجد شيء أكثر عقلانية من "منهج المناقشة النقدية" الذي هو منهج العلم، وسيكون من غير العقلاني قبول أي نتيجة علمية على أنها يقينية، ولكن بالمقابل، لا يوجد أفضل من الفعل التطبيقي

[1]تنبغي الإشارة إلى أنه لا يمكننا القول إن منهج الاستقراء عقلاني تبعاً لمقاييس المنطق الاستقرائي، فهذا دور منطقي وموقف لا نقدي، لأنه يعني إدخال السؤال عن الواقعة Fact أي واقعة وجود الاستقراء بوصفه منهج للعلم، والسؤال عن التعليل Justification أو الصحة Validity في الهوية ذاتها، لذلك سيعيد بوبر صياغة مشكلة الاستقراء في قالب المنطق الموضوعي، بحيث لا تكون مسألة الاستقراء مسألة اعتقاد ذاتي بل هي مسألة العلاقة المنطقية البحتة بين العبارات المفردة، أي أوصاف للوقائع المفردة القابلة للملاحظة Descriptions of observable singular facts وبين النظريات الكلية.

L'action pratique الذي بفضله يتقدم البحث العلمي، وتبعاً لذلك يستحيل التمييز في الاستقراء بين افتراض علمي واعتقادات ظنية، فهاذان العنصران قائمان على أسس غير منطقية وغير علمية، لذلك كان الاستقراء عاجزاً منطقياً عن الاختيار بين الافتراضات المتنافسة وتفضيل "الافتراض " Le Supposition الأكثر صدقاً يطرح التساؤل التالي: هل يمكن تبرير عملية المفاضلة Préférence بين النظريات الكلية المتنافسة اعتماداً على أسباب امبريقية ؟ [1]يعتبر بوبر أن ذلك أمر ممكن إذا تم التوصل إلى تفنيد بعض الفرضيات المتعارضة، ويصبح من الضروري الإبقاء على الفرضيات التي لم يتم تفنيدها بعد، وهي التي يتم التمسك بها مؤقتاً بوصفها تمثل حدود التقدم العلمي حتى اللحظة الراهنة.

إنه منهج "التفضيل العقلاني"Rational Preferences الذي يتحول إلى لاعقلاني، فقط حين يبحث عن اليقين والحقيقة العلمية المطلقة، لكن التخلي عن مطلب اليقين أو الصدق، لا يعني إطلاقاً التخلي عن البحث عن الصدق، إذ أن البحث العلمي محكوم بأفكار الصدق والوضوح والترابط المنطقي، والاستقراء تغيب فيه هذه العناصر، فهو "لا يصف ما يفعله العلماء في الواقع ولا هو يصف ما يجب أن يفعلوه"(Magee, 1971)، وربما النقاش الدائر بين بوبر و"هيلاري بوتنام" Hillary Putnam يتلخص في أهمية الملاحظة ودورها، حيث أن المنهج الاستقرائي ينظر للملاحظة الحسية باعتبارها نقطة البداية التي توصل إلى الافتراض Le Supposition وبالمقابل فإن الافتراض هو الدافع للملاحظة حيث يكون قد نشأ في الذهن مسبقاً، ويدفعه ذلك إلى عملية الملاحظة التي قد تؤيد الافتراض أو تفنده.

يعتبر هيلاري بوتنام أن الاستخدام "البوبري" لمفهوم الاستقراء "يسير في اتجاه فهمه بكونه منهجاً للتحقق من صحة القوانين العامة General Laws أو إظهار صحتها أو حتى احتمال

---

[1]يقول بوبر:" سأفترض أن المنظر أو الباحث Le Théoricien المهتم أساساً بالحقيقة، وخصوصاً باكتشاف النظريات الصحيحة، لكن بمجرد أن يستوعب تماماً حقيقة أننا لا نستطيع أبداً أن نبرر تجريبياً-أي عن طريق البيانات التجريبية-إثبات صحة نظرية علمية ما، وأننا لذلك نواجه دائماً، في أفضل الحالات، مسألة أي الافتراضات المناسب تفضيلها على غيرها تجريبياً. لذا يحق للباحث النظر في الأسئلة التالية: ما هي "مبادئ التفضيل" Les principes de préférence التي يجب اعتمادها؟ هل بعض النظريات أفضل من غيرها"(Popper،La Connaissance Objective ، 2019).

صحتها على أساس بيانات الرصد أو الملاحظة The Basic of observational أو البيانات التجريبية Experimental data أو ما يسمى بالبيانات الأساسية" Basic Statements (Putnam, 1979) في هذا السياق يجب أن يكون مبدأ الاستقراء إما تركيبياً مسبقاً أو أن يكون مبرراً بمبدأ أعلى مستوى، لكن المسار الأخير يؤدي بالضرورة إلى سلسلة لامتناهية من المبادئ، لذلك لا ينبغي إنكار أن العلماء يضعون قوانين عامة، ولا أنهم يختبرون هذه القوانين ضد "بيانات الملاحظة"، ولكن الإشكال يبقى في أنه عندما يقَيِّم عالِم قانوناً عاماً ما، فإن هذا العالِم لا يؤكد بذلك أن هذا القانون صحيح أو محتمل، فعبارة "لقد أيدت هذا القانون إلى درجة عالية"[1]- والقول هنا لبوتنام- تعني فقط "لقد أخضعت هذا القانون لاختبارات قاسية وصمد أمامها"، إذ أن القوانين العلمية قابلة للتفنيد وليست قابلة للتحقق منها، وبما أن العلماء لا يحاولون حتى التحقق من القوانين، بل يحاولون تفنيدها فقط "لا تنشأ مشكلة هيوم بالنسبة للعلماء التجريبيين"(Putnam, 1979).

إن درجة تأييد أو تعزيز Degree of corroboration العبارة العلمية تعتمد على قسوة اختباراتها وصمودها أمام الاختبارات، أي على درجة قابليتها للاختبار التي بدورها تتناسب تناسباً منتظماً مع غزارة المحتوى المعرفي، أي تناسب عكسي مع درجة احتماليتها، لذلك طالما تم البحث عن درجة عالية من التأييد أو التعزيز، فإن ذلك يعني البحث عن محتوى معرفي عالي أي احتمالية منخفضة وضعيفة.

يعتمد معيار التأييد أو التعزيز على منطق الاحتمالات وهو منطق "كارناب"R.Carnap الذي سعى نحو بناء نظام منطقي للاستقراء يتضمن قواعد دقيقة تسمح بإيجاد قيمة حسابية لدرجة التأييد بحيث يصبح من الممكن، مثلاً، القول بأن القانون الأول حاصل على ثمانية درجات

---

[1] يستعمل بوبر كلمة تأييد أو تعزيز Corroboration بدلاً من عبارة "درجة الإثبات" Degree of confirmation حيث يرى أن مصطلح "درجة الإثبات" تم شيوعه في الأوساط الأكاديمية خاصة في مناقشات "حلقة فيينا" نتيجة الترجمة التي قام بها كارناب في كتابه "القابلية للاختبار والمعنى" Testability and meaning ومن شأن استعمال "درجة الإثبات" أن تولد فهماً بكون النظريات العلمية محتملة الصحة بدرجة كبيرة أو ضعيفة، وهذا قد يسقطنا في معيار التحقق أو الإثبات وهو منطق الاستقراء، بينما لفظ التعزيز أفضل كونه يترك الباب مفتوحاً أمام الباحث على الدوام، لإدخال تحسينات على نظرياته أو تفنيدها عن طريق تجارب من نوع جديد، إلا أنه لم يحدث قط أن تم تفنيد نظرية ما بسبب انهيار فجائي لأحد قوانينها المعززة أو أن أعطت التجارب القديمة يوماً ما نتائج جديدة، فالتجارب الجديدة وحدها هي التي تحسم أمر النظرية.

تأييد، بينما القانون الثاني حاصل على درجتين فقط، وذلك بدلاً من القول بأن هذا القانون "جيد التأسيس"Well Established بينما يستند الآخر إلى بنيات واهية "وهذا الإجراء مشروع، وأن ما أطلقت عليه اسم درجة التأييد إنما هو الاحتمال المنطقي"(1955, Carnap).

والموقف في الاستقراء يختلف تماماً عما هو عليه في الاستنباط، إذ لا يتعين أبداً صدق نتيجة استقرائية، حتى إذا افترضنا أن المقدمات صادقة، وأن الاستدلال هو استدلال صحيح، فإن النتيجة يمكن، مع ذلك، أن تكون كاذبة، وأحياناً يستعمل كارناب عبارة "الاحتمال الاستقرائي" inductive probability عوض عبارة "الاحتمال المنطقي" Logical probability لكون هذا النوع من الاحتمال، هو ما يعنيه حقاً عندما يتم إجراء استدلالٍ استقرائي. يفضي هذا التصور إلى أن "حكم التقييم" Valuation Rule يصدر وفق مبدأ الاستقراء الذي يُرجع الاحتمالات إلى الفرضيات المستقرأة، "إلا أننا هنا نجد أنفسنا أمام أمرين: إما أن نعزو إلى مبدأ الاستقراء نفسه احتمالاً وسيأخذ التقهقر اللامتناهي حينئذ مجراه أو نصفه بالصحيح وهو حكم قبلي"(بوبر، منطق الكشف العلمي، 1986) وهكذا فإن الاحتمال بصيغته "الكارنابية" لا يمكن أن يفسر الإجراء الاستقرائي مادامت المشاكل التي تكمن في أحدهما تحديداً هي المشاكل التي يتضمنها الآخر، وذلك مرتبط بالتبعات الموجودة في كلتا الحالتين حيث تبعد كثيراً عن المقدمات المعطاة، لذلك يمكن القول إنه لا يمكن إنشاء مفهوم لاحتمال الفرضيات وتفسيره بوصفه قيمة "يقينية" الفرضية على غرار مفاهيم الصحيح والخاطئ.

ينتهي بوبر إلى رفض الاستقراء منهجاً ومبدأً، حيث أنه لا يُسلّم بالمنطق الذي يشتغل به العلم وطريقة تقدمه، وقد اعتقد البعض أن بوبر فشل في تقديم حل لمشكلة الاستقراء (Antony, 1980) إلا أن الرهان هو إثبات مدى عدم صحة الاستقراء بوصفه معياراً للتمييز بين النظريات العلمية، وعن الحاجة لمنهج مغاير للمنهج الاستقرائي يعبر بصدق عما يحدث في النظريات العلمية المعاصرة. فما هي ملامح المنهج البديل؟

2. منطق أو منهج الكشف العلمي

يرتبط التساؤل عن المنهج العلمي وقواعده بمسألة نمو العلم Growth of science لذلك فمنهج العلم هو المنهج النقدي، منهج المحاولة واستبعاد الخطأ، منهج اقتراح الفرضيات وتعريضها للنقد والاختبار من أجل تبين مواضع الخطأ فيها، فالخاصية المميزة للعلم التجريبي هي إمكانية تفنيد عباراته (نقطة فاصلة) حيث أن نظرية بوبر المنهجية ستكون قائمة على التفنيد La Réfutation وضرورة تطبيقه، عبر عرض النظريات المفسرة من أجل نقدها وكشف عيوبها المنهجية والعلمية، ويتيح قابلية العلم المستمرة للتقدم، فتكون قواعده قواعد مباراة، أما الذي يقر أن العبارات العلمية متحققة بصورة نهائية لا تستدعي اختبارات أخرى، ويمكن اعتبارها متحققة بصورة نهائية، فإنه يفتح الباب أمام جمود العلم والمعرفة وإطلاقية المعنى.

من هنا كانت نظرية بوبر المنهجية وثيقة الصلة بنظريته في المعرفة، كما تبلورت في كتابه "المعرفة الموضوعية" وهذا جعل اكتساب المعرفة في نظر بوبر يتم بمنهج المحاولة واستبعاد الخطأ، وهو منهج مستقى من المعيش البيولوجي للكائن الحي، حيث أن أنماط السلوك أياً كانت، ليست إلا محاولة لحل مشكلة معينة، لذا لم تكن المعرفة سوى حلاً للمشاكل؛ "لابد أن يبدأ أي موقف بمشكلة محددة، لتكن P_1 تأتي بعد ذلك محاولة حل اختباري لهذه المشكلة TT ، يتخذ الآن النقد دوراً أساسياً في مناقشة هذا الحل المقترح، فيتم استبعاد الخطأ منه EE/L'élimination de l'erreur، بعد حذف الخطأ يبرز موقف جديد، وأي موقف لا بد وأن يحتوي على مشاكل، إذن الموقف ينتهي بمشكلة جديدة". (Popper, La Connaissance Objective, 2019) بناءً على هذا النحو تسير المعرفة في حلقات متسلسلة تبدأ بمشكلة وتنتهي بأخرى، لكنها ليست حلقة دائرية، فهي لا تنتهي من حيث بدأت، بل تنتهي بموقف جديد ومشاكل جديدة، وهو ما يضمن التقدم المستمر للمعرفة.

إن هذه الصياغة: $P_1 \rightarrow TT \rightarrow EE \rightarrow P_2$ فيها عنصر مفقود، حيث قد تُقترح حلول كثيرة، ينبغي اختبارها جميعاً حتى الوصول إلى أفضل P_2 ممكنة، ويمكن تحويل هذه الصياغة لتتخذ

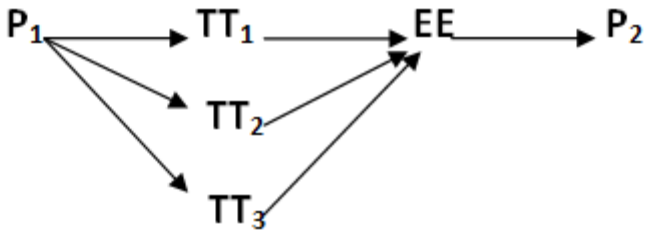

هذا الشكل:

يناظر منهج المحاولة والخطأ رؤية الداروينية البيولوجية، فحل المشاكل نشاط أولي، مشكلته الأولى هي البقاء، إذ أن كل الكائنات تعكف دائماً على حل المشاكل، وكل النتائج التطورية التي طرأت على الحياة إنما هي إشارة لذلك التشكيل الذي بدأ مع أول شكل للحياة، والذي تعتبر الكائنات الحية امتداداً له.

تترتب عن منهج المحاولة والخطأ نتائج أساسية تظهر في أن الخطأ يدخل في صميم كل محاولة علمية أو معرفية، بحيث يستحيل استبعاده فهو طريق التعلم، إنه ليس نتيجة، بل هو الصياغة ذاتها، أما النتيجة الحقيقية فهي وحدة المناهج، إذ ليست هناك خطوات محددة يتبعها العالِم وأخرى يتبعها الفيلسوف، فالأسلوب في جوهره واحد لجميع الباحثين والمفكرين: المنهج النقدي الذي يمكنهم من استبعاد الخطأ من محاولتهم، وصياغة هذا المنهج تجعل المعرفة تسير في حلقات متسلسلة ومتصلة، كل حلقة تبدأ من سابقتها وتؤدي إلى لاحقتها، طالما تبدأ بمشكلة وتنتهي بأخرى ، وبالمقابل فإن اعتبار كل حلقة معرفية، مهما كانت متقدمة، لابد وأن تنتهي هي الأخرى إلى مشكلة، تدخل في حلقة أخرى، ما يعني أن الجهود المعرفية لابد وأن تكون دوماً في حاجة إلى استئناف المسير، وهو ما يجعل إمكانية التقدم المستمرة متاحة.

بالطبع ليس من اليسير دمج أو إدماج فكرة المحاولة واستبعاد الخطأ البسيطة ضمن المنهج التجريبي المركب، لكن يمكن اعتبارها الأصل والأساس الذي تفرعت عنه شتى التركيبات داخل

خطواته، حيث يمثل منهج المحاولة والخطأ أسلوب التعلم، أسلوب تعرف الكائن على بيئته، وقد تطور قليلاً حتى بدأ في اتخاذ اسمه الجديد المنهج العلمي التجريبي الحديث.

إن هذه الصياغة: $P_1 \rightarrow TT \rightarrow EE \rightarrow P_2$ تجعل نمو المعرفة العلمية ينطلق من المشاكل القديمة إلى المشاكل الجديدة، بواسطة الافتراضات الحدسية وتفنيداتها، بواسطة التعديلات والتحسينات المستمرة للموقف الراهن، والحلول المطروحة لمشاكله، مما يجعل تطور العلم لولبياً وليس خطياً، إنه منهج التصحيح الذاتي الذي يجعل العلم يصحح نفسه بنفسه تصحيحاً مستمراً استمرارية البحث العلمي، طالما أن النظريات كلها مجرد حدوس افتراضية، تتفاوت في درجة اقترابها من الصدق، وأن العالِم، حتى ولو توصل جدلاً، إلى نظرية صادقة، فلا هذا المنهج ولا ذاك يمكّنه من إقامة صدق النظرية العلمية.

بناءً على ما سبق، يمكن صياغة التصور المنهجي العلمي من خلال العناصر التالية:

- مشكلة البحث والتي تحمل في ثناياها منطقاً مفسراً للظواهر.
- الحل أو الحلول نظرية جديدة.
- استخلاص القضايا القابلة للاختبار من هذا الحل أو النظرية الجديدة.
- تجريب هذه النظرية، أي محاولة تفنيدها عبر تعريضها لاختبارات دقيقة تكشف مدى صلاحيتها.
- اختيار أفضل الحلول الممكنة، أي النظرية الأفضل شرحا والأكثر تفسيراً وصدقاً (Magee, 1971).

لم يكن منهج بوبر إلا منهجاً استنباطياً يعتمد على التوصل إلى نتائج بطريقة منطقية بحتة في مقابل منهج الاستقراء الذي يعتمد على البيانات والوقائع الجزئية بالدرجة الأولى، وقواعد المنهج هي تلك المعايير التي يسترشد بها العالِم عندما يكون منهمكاً بالكشف العلمي، وهذه القواعد تختلف عن القواعد المنطقية الخالصة في كونها مبادئ تواضع عليها العلماء لكي تحكم

ما يسميه بوبر "مباراة العلم"[1] Game of Science هذه "المباراة" هي اختبار استنباطي للنظريات، من هنا فإن منهج اختبار النظرية من الناحية النقدية يكون تبعاً لنتائج الاختبارات، ويمكن حصر أساليب إجراء هذا الاختبار في أربع خطوات منهجية:

أولاً: مقارنة النتائج الاستنباطية بعضها ببعض، وذلك في أفق استبعاد التناقض الداخلي للنظرية، وهذا يفرض التأكد من اتساقها.

ثانياً: فحص النظرية نفسها فحصاً منطقياً مع "تحديد ما إذا كان لها خاصية النظرية الإمبريقية أو العلمية، أو ما إذا كان لها على سبيل المثال، خاصية تحصيل الحاصل"(بوبر، منطق الكشف العلمي، 1986).

ثالثاً: مقارنة النظرية بالنظريات الأخرى في البناء المعرفي، لمعرفة مدى اتساقها وتحقيقها للأهداف العلمية المحددة.

رابعاً: اختبار النظرية تجريبياً، أي عن طريق التطبيقات التجريبية للنتائج المستنبطة منها.[2]

وبالنظر إلى هذه الأساليب، يمكن القول إن المنهج المتبع أساساً هو الاختبارات الاستنباطية، ورغم أن الأهمية القصوى للملاحظة والتجريب تبرز في هذه الخطوة، فإنها هي التي تفصل القول أولاً في قبول أو رفض النظريات المتسقة منطقياً، إن اتفقت الملاحظات مع النتائج المستنبطة من النظرية التي تم التسليم بها مؤقتاً وإن تناقضت تم استبعادها.

ومهما كانت نتيجة الاختبار، فلابد أن العالِم قد تعلم منها شيئاً، فإذا فشل الاختبار، عرف الباحث أن حله هو الأكثر ملائمة وهو أفضل ما لدينا حتى الآن ينبغي الأخذ به، أما إذا نجح النقد

---

[1] إن هذا التعبير ينبني على تصور معين لنمو المعرفة العلمية الخالية من التنبؤات والتوقعات أو الأحكام المسبقة، فالمعرفة تتميز بنتائج تأتي كطفرات تعكس حدوس العلماء وتأويلاتهم، حيث أن كل المباريات لا تُعرف نتيجتها مسبقاً.

[2] ليس هناك اختلاف كبير وواضح في استخدام بوبر للألفاظ التالية: نظرية Theory فرضية Hypothesis قضية Statement حيث تشير جميعها إلى ما يقصده بوبر بالنظرية العلمية التي يُعرفها بقوله: "إن النظريات العلمية هي قضايا كلية تشبه التمثلات اللغوية في كونها أنساقاً من العلاقات أو الرموز، ومن ثم فإنني لا أظن من المُجدي أن أعبر عن الاختلافات بين النظريات الكلية والقضايا الكلية بالقول إن الأخيرة مجردة بينما النظريات هي مجرد صيغ أو صور رمزية لأنه قد يمكن قول نفس الشيء حتى في أكثر القضايا تجريداً"(بوبر، منطق الكشف العلمي، 1986)

وتم تفنيد النظرية فقد أدرك الباحث الشيء الكثير عن مشكلته، فيتم الإلمام بها أكثر، وفي هذه الخطوة يتركز دور التفنيد ومنطقه.

تبدو قابلية العبارات أو أنساق العبارات للاختبار التجريبي هي التي تعطيها صفة العلمية، حيث لا تستطيع التنبؤ بما يوجد في المحتوى الواقعي والتجريبي، إذ تقدم العبارة معطيات عن العالم التجريبي فقط إذا كان من الممكن أن تتصادم مع التجربة، فالخضوع للاختبار وإمكانية التفنيد التجريبي هو ما يميز الصورة المنطقية للقضية العلمية عن بقية الصور المنطقية لسائر القضايا التركيبية التي تتخذ الشكل المنطقي التالي: أ هي ب.

إن القابلية للتفنيد هي المعيار الذي يحدد مفهوم العلم التجريبي الطبيعي، العلم الذي يقدم مضمون إخباري ومحتوى معرفي ومنهج مفسر للعالم التجريبي، وتعتمد الخاصية العلمية للقضية على إمكانية إثبات كذبها بواسطة أدلة تجريبية من الوقائع الامبريقية أي الإمكانية التجريبية وليس المنطقية فحسب، "إذ أن المحاكمة العلمية The Scientifc Trial لا تفترض إمكانية الملاحظة فحسب بل وإنجازها أيضاً، وبناءً عليه، يمكن تمييز العلم التجريبي بأن العبارة العلمية على قدر ما تتحدث عن الواقع وتخبر عنه، فإنها يجب أن تكون قابلة للتفنيد، وعلى قدر ما لا يمكن تفنيدها، فإنها لا تتحدث عن الواقع"

(Popper, Un ended Ouest: An intellectual Autobiography, 1976) ومثال ذلك القول بأن كل البجع أبيض، فهذه العبارة تتضمن تعميماً بأن جميع هذه الأنواع من الطيور ذات لون واحد، وهو تعميم ليس مطلقاً وصدقيته ليست حقيقية في كل الحالات، إذ يكفي أن توجد بجعة واحدة في لون مختلف، ضمن سياق تجريبي معين تكون كافية لتفنيد هذه العبارة، وتعتبر عبارات العلم التجريبي هي فقط التي يمكن إثبات كذبها، لأنها تتحدث عن الواقع الذي يمكن الرجوع إليه ومقارنتها به، لذلك فهي في موقع حرج وحساس، كونها تُختبر باستمرار في قدرتها التفسيرية، لذلك فإن مشكلة الأساس التجريبي The problem of empirical Basis لا ترتبط بقضايا الملاحظة ولا "بقضايا البروتوكول" بل "بالقضايا الأساسية" Basic Statements.

تمثل "القضايا الأساسية" عنصراً مهماً في تحديد ما إذا كانت النظرية قابلة للتفنيد، أم لا، إنها تمثل "في الشكل المادي للكلام، قضايا تقرر أن الحادثة القابلة للملاحظة تحدث في قطاع معين من المكان والزمان"(بوبر، منطق الكشف العلمي، 1986) لكن القضايا الأساسية ليست مؤسسة على التجربة بهذه البساطة، إذ لا توجد أية تجربة محضة وفريدة، فكل عبارة لها خاصية النظرية "حتى أبسط عبارة (هنا كوب ماء) حيث أن كلمة كوب هي كلمة كلية تشير إلى أجسام تنتظم جميعها تحت ما يشبه القانون الذي ينظم سلوكها وسلوكنا إزاءها وإزاء كل ما يتخذ اسم الكوب".

(1976, Popper,Conjectures and refutations)

إن القضايا والعبارات الخاصة والدالة على الوقائع المفردة الجزئية ليست أقل تجريداً من النظريات العلمية الكلية، إذ أنه ليس هناك أي فارق منطقي بين عبارة: "كل البجع أبيض" وبين عبارة "لكل فرد رد فعل مساوٍ له في المقدار ومعاكس له في الاتجاه" مادامت أسبقية التوقعات على أي مدرك حسي، ليست في العلم فحسب، بل في الحياة بصفة عامة تجعل الطابع الفرضي الاحتمالي لعبارات العلم أمراً منطبقاً على سائر العبارات.

إن "القضايا الأساسية" يمكن قبولها بوصفها نتيجة تواضع أو اتفاق، ويتم الوصول إليه وفقاً لإجراء تحكمه قواعد "تخبرنا بأنه لا يجب أن نقبل "القضايا الأساسية" الشاردة، أي القضايا الغير مترابطة من الناحية المنطقية، وتخبرنا كذلك بأننا ينبغي أن نقبل القضايا الأساسية عن طريق اختبار النظريات"(بوبر، منطق الكشف العلمي، 1986).

إن مشكلة "القضايا الأساسية" عميقة حيث أوضح فرايزG.F. Freis أنها تجعل البحث العلمي محاصراً بثلاث أخطار وهي: الاعتماد الوثوقي للعبارات والارتداد اللامتناهي Infinite Regress والنزعة السيكولوجية Psychologisme فإذا لم يتم قبول القضايا الأساسية قبولاً مطلقاً، فإنه يلزم تبريرها بواسطة عبارات منطقية أخرى، وهذا سيؤدي إلى الارتداد اللامتناهي، أما إذا تم تبرير العبارات بالمدركات الحسية، حيث توجد المعرفة الفورية Immediate Knowledge

التي يمكن بواسطتها تبرير معرفة وسيطة Mediate Knowledge معرفة معبر عنها في رموز وسيطة، فيكون التأصيل التجريبي للعلم في الإقرار بأن قضاياه الأساسية مجرد معرفة وسيطة انتقلت من المعرفة الفورية.

يمكن تجنب هذه الأخطار عن طريق الفصل الحاسم بين الجانب السيكولوجي والجانب المنطقي داخل "القضايا الأساسية" والعبارات العلمية، وهذا ما يجعل منطق العلم لا يحتاج لجمل البروتوكول بالمعنى الذي حدده "كارناب" R.Carnap و"نويراث" Otto Neurath بوصفها مدركات حسية، وإنما بوصفها دراسة سيكولوجية لكيفية بناء هذه المدركات.

إن دور "القضايا الأساسية" يتمثل في اعتبار النظرية علمية أو غير علمية، ومن ثم قبولها أو رفضها، تعزيزها أو تفنيدها. لقد كان لمنهج الاختيار بين الفرضيات المتنافسة قيمة هامة في الاستبعاد المنظم Systemetic elimination الذي يعتبر من أهم القواعد المنهجية في البحث العلمي، وطالما أن النظرية قابلة للتفنيد، فإن ذلك يعني أن عناصرها المفنَّدة المحتملة ليست فارغة، بل لابد أن تكون النظرية أكثر قابلية للتفنيد كلما كانت عناصرها المفندة كثيرة، لأن ذلك يعني أنها تقول الشيء الكثير عن عالم التجربة، فيتم استبعاد أكبر مجموعة من القضايا الأساسية، وإثباتها وتثبيت مجموعة أخرى؛ فالنظرية ذات المحتوى الغزير يمكن تفنيدها بسهولة لأن قابليتها للتفنيد عالية كونها تسمح للعالم التجريبي فقط بمدى ضيق جداً من الاحتمالات، فتستبعد تقريباً كل الأحداث الممكنة التصور، أي الممكنة تجريبياً حيث تقدم الكثير عن عالم التجربة.

خاتمة

ختاماً، إن منهج العلم في الابستمولوجيا البوبرية هدفه هو المناقشة النقدية للنظريات العلمية وبناء المعرفة ونظامها الداخلي ومدى تماسك منطقها، وهو أمر لا يتم إلا باستبعاد معايير التحقق والاستقراء التي لا تقدم صورة حقيقية عن المدركات والوقائع الحسية، ومن تم كان لزاماً البدء بتفكيك الأسس المعرفية والخلفيات النظرية للمناهج السائدة في العلم ولاسيما منهج الاستقراء، وضرورة وضع منهج جديد قائم على المحاولة واستبعاد الخطأ، حيث يتم الانطلاق من مشكلة مروراً باقتراح الحلول ونقدها وصولاً إلى مشكل جديد وهكذا بدون انقطاع. هذه السيرورة هي التي تشكل حركية العلم وحيويته، حيث أن تاريخ العلوم قائم على التفنيد والتجاوز، ونمو المعرفة العلمية قائم على النقد.

وقد شكلت حوارات بوبر مع الفلسفة الوضعية بتياراتها فرصة لمعرفة مدى أهمية منطق الكشف العلمي وأدواته وآلياته في الاستدلال والبناء المنهجي، الذي يفترض معرفة بالمناهج، ويمكن المجازفة بالقول أن المنهج في كل العلوم والمعارف يستلهم روحه من أسلوب حل المشكلات. لقد كانت صيغة كارل بوبر في مسألة المنهج $P_1 \rightarrow TT \rightarrow EE \rightarrow P_2$ بتعميمها على جميع الأنشطة البشرية، دافعاً لجعل السلوك البشري موجه لحل المشكلات.

وأخيراً، فإن ما يزيد من أهمية النقد، هو أن نظرية بوبر المنهجية والمعرفية تؤكد أنه لا يمكن البدء من فراغ، وإنما تفترض الانطلاق من تراث معرفي مسبق لابد من إثرائه.

المصادر والمراجع:

بالعربية:

-أندريه لالاند، الموسوعة الفلسفية، ترجمة خليل أحمد خليل، الجزء الثاني، منشورات عويدات، بيروت-باريس، الطبعة الثانية 2001.

-ديفيد هيوم، تحقيق في الذهن البشري، ترجمة محمد محجوب، المنظمة العربية للترجمة، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى 2008.

-كارل بوبر، منطق البحث العلمي، ترجمة محمد البغدادي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت-لبنان، الطبعة العاشرة 2007.

-كارل بوبر، منطق الكشف العلمي، ترجمة ماهر عبد القادر محمد، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى 1986.

باللغات الأجنبية:

- Francis Bacon, (1857).Novum Organum, Trad. Lorquet, (Hachette, paris).

- Hillary Putnam. (1979), Mathematics Matter and Method, philosophical papers. (Volum 1. Second edition Cambridge university press).

- Karl Popper (2019) .La Connaissance Objective, (traduit de l'anglais et préfacé par Jean-Jacques Rosat).Champs essais, Paris.

- Karl Popper (1976),Conjectures and refutations : the Growth of scientific knowledge. (Routledge and Kegan Paul) reprinted fourth edition, London.

- Karl Popper (1976). Un endedQuest : An Intellectual Authobiography, (William Collins Sons and Co). Ltd. Glasgow.
- Karl Popper(1980).O'hear Antony, (Routledge&Kegan Paul), London.
- Rudolf Carnap, (1955), An introduction to the Philosophy of science, (edited by Martin Gardner, Dover Publications, INC., New York First published under the title Philosophical Foundations of Physics).